

الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الزنادقة المتفيهقة

(رد على الطاعنين في المذاهب الأربعة والعقيدة الأشعرية والتصوف)

ويليه

جواب عن مقالات الشيخ مظهر النقشبندي

(في بيان إشكالات كلام العارفين وتوجيهها)



تأليف

شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني

المتوفى سنة ١٣٢٣هـ

حققه

عدنان بن عبد الله زهار

مراجعة وتصحيح

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني



الفجر الصادق المشرق المفلق

في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق

(رد على الطاعنين في المذاهب الأربعة والعقيدة الأشعرية والتصوف)

ويليه

جواب عن

مقالات الشيخ مظهر النقشبندي

(في بيان إشكالات كلام العارفين وتوجيهها)

تأليف

شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني

المتوفى سنة ١٣٢٣هـ

حققه

عدنان بن عبد الله زهار

مراجعة وتصحيح

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title	: **Al-fajer al-ṣâdiq al-mušriq al-mufliq fī ibṭāl turrahāt al-ṭarṭār al-mutašaddiq al-mutafayhiq** Followed by: Jawāb ʿan maqālāt al-šayḫ Muẓhar al-Naqšabandi	الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق ويليه: جواب عن مقالات الشيخ مظهر النقشبندي	**الكتاب**
Classification:	Theology and Sufism	: علم كلام وتصوف	**التصنيف**
Author	:Jaʿfar ben Idrīs al-Kattāni	: شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني	**المؤلف**
Editor	:ʿAdnān ben ʿAbdullah Zuhār	: عدنان بن عبدالله زهار	**المحقق**
Revision	:Muḥammad Ḥamzah ben ʿAli al-kattāni	: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني	**مراجعة**
Publisher	:Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah	: دار الكتب العلميـــة ـ بـيروت	**الناشر**
Pages	:256	256	**عدد الصفحات:**
Year	:2009	2009:	**سنة الطباعة**
Printed in	:Lebanon	: لبنان	**بلد الطباعة**
Edition	:1st	: الأولى	**الطبعة**



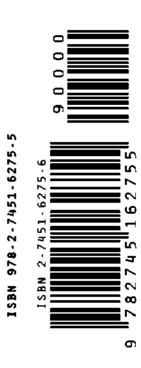
Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة **لدار الكتب العلمية** بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.



ISBN 978-2-7451-6275-5
ISBN 2-7451-6275-6

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة بقلم الدكتور الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد القائل: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"، وعلى آله الأطهار الأخيار، وصحابته النجوم الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...

أما بعد؛ فيجد القارئ بين يديه هاتين الرسالتين الصغيرتي الحجم، الكبيرتي القدر: "الفجر الصادق، المشرق المفلق، في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق"، و"الجواب عن مقالات الشيخ مظهر النقشبندي". كلاهما لأحد أعلام المغرب والمشرق، من أجمع الناس على فضله، ومتانة علمه، وقوة دينه وغيرته على الشريعة، وندرة اطلاعه؛ وهو: الشريف أبو المواهب جعفر بن إدريس بن الطائع الكتاني الإدريسي الحسني، المتوفى – رحمه الله – عام 1323 بفاس، والمدفون ضجيع الإمام الدراس بن إسماعيل بها.

بين يدي الرسالة الأولى

موضوع الرسالة الأولى: "الفجر الصادق، المشرق المفلق، في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق". وهو بالخصوص في الدفاع عن العقيدة الأشعرية، والمذهبية.

إذ قد شهد القرن المنصرم هجمة عالمية على العالم الإسلامي، عسكرية، وحضارية، وفكرية، وكان المغرب حينها في مرحلة دفاع عن النفس، وقد تكالبت أوروبا على أطرافه، وبدأت تهدده وقد احتلت شرقه – الجزائر – وجنوبه – شنقيط – وبدأت تنفث عيونها في البلاد، المتمثلين في أرباب الحمايات والجنسيات الأجنبية الذين كانوا يعيثون في الأرض فسادا، ولا تملك الدولة سيطرة عليهم[1].

---

(1) لمؤلف هذين الرسالتين الإمام جعفر الكتاني مؤلف حافل في الموضوع، طبع مرتين آخرهما بدار الكتب العلمية، بتحقيقنا أنا وأخي العلامة محمد الحسن الكتاني - فك الله أسره - بعنوان: "الدواهي المدهية للفرق المحمية". هي أوسع ما ألف في الموضوع.

فانبرى العلماء وذووا الرأي لمحاربة تلك الهجمة الشرسة، ودونوا الفتاوى حول العلاقات التجارية المغربية – الأجنبية، والدعوة لنصرة المجاهدين جنوب البلاد[1]، والدعوة لتوحيد الطوائف الصوفية[2]، والتنسيق بين جهود الممالك الإسلامية في المشرق والمغرب[3]. وانبرت طائفة أخرى، من بقايا الفارين من الدولة العثمانية، بالتعاون مع علماء ومفكرين مغاربة – على رأسهم الزاوية الكتانية – للعمل على تحضير البلاد، وإنشاء دساتير وأنظمة إدارية من أجل تنظيم الحياة، والقيام بأجهزة الدولة وتوحيد المجتمع من أجل الصمود أمام التحديات الداخلية والخارجية[4].

تنظيمات المجتمع المغربي:

- وقد كان المجتمع منظما عن طريق "المخزن"؛ وهو: الملك ونظامه من جيش وشرطة وقواد وباشوات..إلخ.

- وعن طريق الأشراف الممثلين في نقابة الأشراف، والذين كانوا يعتبرون حصن الإسلام، وصورة النبي صلى الله عليه وسلم في المجتمع، والمرجع لحل كافة الخصامات والشجارات الواقعة.

- وعن طريق العلماء الممثلين في أساتذة جامعة القرويين بفاس وفروعها في شتى مدن المغرب، ومنهم: القضاة والعدول، والموظفون الذين يمثلون الطبقة المثقفة والمفكرة في البلاد، والتي لها ولاء لكبار المرجعيات الدينية.

وكانت تلك المرجعيات ملتزمة بمدرسة فقهية؛ وهي: المذهب المالكي،

---

(1) لصاحب هذين الرسالتين فتاوى وأجوبة حول هذا الموضوع.

(2) ممن ألف في هذا الموضوع شيخ الإسلام ماء العينين الشنقيطي، وله فيه: "إعلام الراوي بأني مخاوي". طبعت بمؤسسة مربيه ربه.

(3) من أهم من اشتهر بهذه الجهود في المغرب ابن أخت صاحب هذين الرسالتين: الإمام أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد، انظر: "ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد" بقلم نجله الإمام محمد الباقر الكتاني، تحقيق الدكتورة نورد الهدى الكتاني، طباعة دار ابن حزم – بيروت.

(4) انظر المجلد الثاني من "مظاهر يقظة المغرب الحديث" لشيخنا العلامة محمد المنوني رحمه الله تعالى.

بشتى أطيافه واختياراته، وبعقيدة تجمع المجتمع؛ وهي: العقيدة الأشعرية، معتقدين أن بها مدرستين: مدرسة السلف؛ وهي: مدرسة أهل الحديث، ومدرسة الخلف.

- كما كان المجتمع منظما – أيضا – بمرجعيات روحية ممثلة في الطرق الصوفية، التي كانت مدارس تربي الناس، وتأوي المنقطعين، وتنشر معالم الدين، وتجيش القبائل ضد المحتل، خاصة في المناطق النائية.

وكان بين تلك التكتلات تقارب وتباعد، عن طريقه تشكلت الحركة والتاريخ الاجتماعي بالمغرب، وتجلت عنه المعارك السياسية والعسكرية والفكرية، والتكتلات والتفرقات، واستقرت بها أعراف وطقوس ومسلّمات ميزت المجتمع عن غيره، وشكلت الرابط الأساس بين سائر متفرقاته.

وكان داخل تلك المدارس والتنظيمات اختلافات طبيعية، بعضها مقبول وبعضها منبوذ، ولكن إثر كونها في النطاق العلمي، ونطاق الاحترام المتبادل، فإنها – في الجملة – لم تشكل خطرا على الهوية المغربية، والانسجام النسيجي للمجتمع.

كان التفاعل بين تلك الشرائح الأربعة، والانسجام التدافعي بينها – وهي صورة للتكتلات الأساسية في العالم الإسلامي ككل – مثال حاجز منيع في وجه الاستعمار والاختراق الغربي والشرقي ضد الإسلام، انصهرت فيه الهجمة المغولية شرقًا، والهجمة الصليبية وسطا على مر الدهور والأيام. فلا غرابة أن تكون الفكرة الأساس عند أي عمل منظم يرمي لمحو الإسلام، واختراقه، ونشر الفرقة بين أهله هي: ضرب هذه التوازنات، وإضعافها حتى تتلاشى أو تكون في حكم المتلاشي.

مذكرات "همفر":

ولقد وقفت على مذكرات مهمة منسوبة لجاسوس بريطاني مسمى "همفر"، كان له دور كبير في الجاسوسية في بلاد تركيا والعراق ونجد في القرن الثاني عشر الهجري، دون مذكراته، التي ذكر فيها أنه وقف على كتاب من نحو ألف صفحة للاستخبارات البريطانية تحت عنوان: "كيف نحطم الإسلام"، جاء فيها سبر لنقاط الضعف في العالم الإسلامي، ونقاط القوة، ومن ثمة كيف يمكن اختراقها، ونظرا للأهمية القصوى لذلك فيما نحن بصدده، فإنني أورد المهم منها، فقد جاء فيها:

"*فمن نقاط الضعف فيهم – يعني: المسلمين:* الاختلاف بين السنة والشيعة، والاختلاف بين الحكام والشعوب، والاختلاف بين حكومتي (الأتراك والفرس) والاختلاف بين العشائر، والاختلاف بين العلماء والحكومة.

ومن نقاط الضعف فيهم: الجهل والأمية التي تكاد تستوعب كل المسلمين إلا نادرا.

ومن نقاط الضعف فيهم: خمول الروح وذبول المعرفة وفقدان الوعي.

ومن نقاط الضعف فيهم: ترك الدنيا كليا والتعلق بالآخرة والعمل لها وحدها.

ومن نقاط الضعف فيهم: دكتاتورية الحكام والاستبداد الشامل.

ومن نقاط الضعف فيهم: عدم أمن الطرق وانقطاع المواصلات إلا بقدر قليل.

ومن نقاط الضعف فيهم: تدهور الصحة العامة حتى إن الطاعون والوباء يجتاحان البلاد بصورة مستمرة تقريبا، يجرفان عشرات الألوف في كل وجبة.

ومن نقاط الضعف فيهم: خراب البلاد وانسداد الأنهر وقلة المزارع.

ومن نقاط الضعف فيهم: الفوضى في كل شؤون الإدارة، فلا نظام ولا مقاييس ولا موازين ولا قوانين، فإنهم وإن كانوا كثيري الاعتزاز بالقرآن إلا أن العمل بقوانينه يكاد يكون معدوما.

ومن نقاط الضعف فيهم: تدهور الاقتصاد تدهورا مشينا، فالفقر في كل مكان.

ومن نقاط الضعف فيهم: عدم وجود جيوش نظامية بمعنى الكلمة وعدم وجود السلاح الكافي، ورداءة الموجود منه.

ومن نقاط الضعف فيهم: احتقار المرأة وهضم حقها.

ومن نقاط الضعف فيهم: الوساخة والقذارة في الأسواق والشوارع والأجسام وفي كل مكان".

ثم استعرض نقاط القوة قائلا:

"*أما نقاط القوة التي ذكرها الكتاب وأمر بهدمها فهي:*

"أنهم لا يعيرون الاهتمام بالقوميات، والإقليميات واللغات والألوان وسوابق البلاد.

ويحرم عندهم الربا، والاحتكار، والبغاء، والخمر، والخنزير.

ويتعلقون بعلمائهم أشد التعلق.

ويحترم طائفة كبيرة من السنة (الخليفة) ويعتبرونه مثالا للرسول تجب طاعته كما تجب طاعة الله والرسول.

ويوجبون الجهاد.

ويرى أهل الشيعة نجاسة غير المسلم مهما كانت عقيدته.

ويعتقدون أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه.

ويرى أهل الشيعة حرمة بناء الكنائس في بلاد المسلمين.

ويرى أكثر المسلمين وجوب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

ويمارسون العبادات (الصلاة ـ الصوم ـ الحج) ونحوها ممارسة شديدة.

ويرى أهل الشيعة وجوب إعطاء الخمس، بدفعه إلى علمائهم.

ويتمسكون بالعقيدة الإسلامية تمسكا شديدا.

ويربون أولادهم تربية دقيقة على طريقة الآباء والأجداد، حتى ليستحيل الفصل الأبناء عن الآباء.

والمرأة عندهم في حجاب شديد حتى لا يمكن تسريب الفساد إليها.

وعندهم: صلاة الجماعة التي تجمعهم في كل يوم مرات.

وعندهم: المقابر للنبي وآله والصالحين فتكون مركز تجمعهم وانطلاقهم.

وفي أوساطهم كثرة من المنتسبين إلى الرسول (وأولاده) فتذكر بالرسول، ويجعل الرسول حيا في أعينهم.

وعند أهل الشيعة (الحسينيات) التي تجمعهم في مواسم خاصة فيقوى الواعظ الإيماني في نفوسهم ويحرضهم على العمل الصالح.

وعندهم: يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعندهم: استحباب الزواج وكثرة النسل وتعدد الزوجات.

وعندهم: أن من هدى إنسانا إلى الإسلام كان له خير من أن يملك كل الدنيا.

وعندهم: أن من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها.

وعندهم: تقييم كبير للقرآن الكريم والحديث وأن اتباعهما يوجب الجنة والثواب".

ثم أوصى الكتاب بتوسيع نقاط الضعف وطمس نقاط القوة، وذكر الأدلة الكافية لكيفية ذلك. يقول الكتاب في ما يمكن أن يعمل من أجل توسيع نقاط الضعف الآتي:

"إن الاختلافات يمكن تكبيرها بتكثير سوء الظن بين الفئات المتنازعة ونشر الكتب التي تطعن في هذه الفئة وتلك الفئة، واللازم بذل المال الكافي في سبيل التخريب والتفرقة.

والجهل: يمكن إبقاؤهم عليه بالمنع عن فتح المدارس ونشر الكتب، وإحراق ما يمكن إحراقه من الكتب، وصرف الناس عن إدخال أولادهم في المدارس الدينية بتلفيق الاتهامات ضد رجال الدين.

ويمكن إبقاؤهم في حالة اللاوعي بتزيين الجنة أمامهم وأنهم غير مكلفين بالحياة الدنيا، وتوسيع حلقات التصوف، وترويج الكتب الآمرة بالزهد مثل كتاب "إحياء العلوم" للغزالي ومنظومات (المثنوي) وكتب (ابن العربي).

ويمكن تقوية دكتاتورية الحكام ببيان أنهم ظل الله في الأرض وأن أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وبني أمية وبني العباس كلهم جاؤوا إلى الحكم بطريق القوة والسيف وحكموا فرديا. (فأبو بكر) جاء للحكم بسيف عمر وإرهابه وإحراقه للبيوت التي لم ترضخ للطاعة كبيت فاطمة بنت محمد. وعمر جاء إلى الحكم بوصية أبي بكر. وعثمان جاء إلى الحكم بأمر عمر. وعلي جاء إلى الحكم بانتخاب الثوار له. ومعاوية جاء إلى الحكم بالسيف، ثم توارث بنو أمية الحكم، والسفاح جاء إلى الحكم بالسيف، ثم توارث بنو العباس الحكم...كل ذلك دليل على أن الحكم في الإسلام دكتاتوري.

ويمكن الإبقاء على عدم أمن السبل بإلهاء الحكام عن معاقبة اللصوص وتقوية جانب اللصوص وإعطائهم السلاح وإغرائهم بالعمل المستمر في طريق اللصوصية والغش.

ويمكن الإبقاء على حالتهم اللاصحية بنشر مذهب (القدر) فيهم وأن كل ذلك من الله، فلا فائدة من العلاج، ألم يقل الله تعالى في القرآن: ﴿ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝ ﴾[الشعراء/ 79، 80]، وألم يقل: ﴿ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝ ﴾[الشعراء/ 81]. فالشفاء بيد الله، والموت بيد الله، فلا

سبيل للشفاء بدون إرادته، ولا مهرب من الموت الذي هو قضاء الله وقدره .

والإبقاء على الخراب يساعد بما ذكرناه سابقا.

ويمكن الإبقاء على الفوضى ببيان أن الإسلام دين العبادة ولا نظام فيه، ولذا لم يكن لمحمد ولا لخلفائه وزراء ولا أنظمة ولا إدارات ولا قوانين.

أما تدهور الاقتصاد؛ فهو نتيجة طبيعية لما تقدم من التدهورات، ويمكن زيادته بإحراق المحاصيل، وإغراق البواخر التجارية، وإحراق الأسواق، وكسر السدود باستيلاء الماء على المزارع، وعلى البلاد، وإلقاء السم في المشارب العامة.

ويمكن إلهاء الحكام في الفساد والخمر والقمار، وبتبذير الأموال في الأمور الشخصية لكي لا يبقى المال الكافي للسلاح ولأرزاق الجيش.

ويمكن إشاعة أن الإسلام احتقر المرأة، أليس في القرآن: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ [النساء/ 34]؟، وأليس في السنة: "المرأة شر كلها؟".

أما الوساخة والقذارة؛ فهي نتيجة طبيعية لشح الماء، فاللازم الحيلولة دون زيادة الماء في البلاد بأي اسم كان.

أما ما أوصاه الكتاب عن طمس نقاط القوة؛ فقد أوصى الكتاب:

بلزوم إحياء النعرات القومية، والإقليمية واللغوية واللونية...وغير ذلك بين المسلمين، كما أوصى بلزوم جلب اهتمام المسلمين إلى سوابق حضارات بلادهم، وأبطال شخصياتهم قبل الإسلام، كإحياء الفرعونية في مصر، وإحياء الثنوية في فارس، وإحياء البابلية في العراق...إلى آخر القائمة الطويلة التي وضعها الكتاب بهذا الشأن.

كما يلزم إشاعة الأمور الأربعة التالية: الخمر والقمار والبغاء ولحم الخنزير إن جهرا وإن سرا.

ثم أوصى الكتاب بلزوم التعاون الوثيق مع اليهود والنصارى والمجوس والصابئة الذين يقطنون في بلاد الإسلام في سبيل إحياء هذه الأمور وجعل مرتب من خزينة (وزارة المستعمرات) لأجل الموظفين الذين ينشرون هذه الأمور بين المسلمين. وجعل جوائز وإغراءات لكل من تمكن من أن يوسع من دوائر هذه الأمور الأربعة أكثر فأكثر. وأوصى الكتاب بلزوم حماية ممثلي حكومة بريطانيا العظمى لهذه الأمور علنا وسرا، وضرورة بذل ما يمكن في سبيل إنقاذ كل من يقع

تحت وطأة عقاب المسلمين من الذين ينشرون هذه الأمور الأربعة. كما أوصى الكتاب بنشر(الربا) بكل صوره، فإنه بالإضافة إلى أنه هدم للاقتصاد الوطني، يساهم في جرأة المسلمين على خرق قوانين القرآن، ومن خرق قانونا سهل عليه خرق سائر القوانين. وقد أوصى الكتاب أنه: من اللازم أن يبين للمسلمين أن الحرام هو: الربا المضاعف، حيث يقول القرآن: ﴿ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ﴾ [آل عمران/ 130]. وليس الربا بكل صوره حرام.

كما يجب إضعاف صلة المسلمين بعلمائهم بإلصاق التهم بالعلماء، وإدخال بعض العملاء في زي العلماء، ثم يرتكبون المحرمات ليشتبه كل رجل دين عندهم هل إنه عالم أم عميل؟. ومن المؤكد إدخال أمثال هؤلاء العملاء في الأزهر والآستانة والنجف وكربلاء.

ومن طرق إضعاف صلة المسلمين بعلمائهم: فتح المدارس لدراسة أطفال المسلمين بواسطة عملاء الوزارة ليربوا الأطفال على كره العلماء، وعلى كره الخليفة وذكر مساوئه وأنه منشغل بالملذات، وبصرف أموال الشعب في الفساد والترف، فهو ليس مثل الرسول في أي شأن من الشؤون.

ويلزم التشكيك في أمر الجهاد، وأنه كان أمرا وقتيا انقضى بانقضاء زمانه.

ويلزم إخراج فكرة نجاسة الكفار عن نفوس أهل الشيعة، وبيان أن الله قال في القرآن: ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴾ [المائدة/ 5]. وأن الرسول كان له زوجة يهودية وهي: صفية، وزوجة نصرانية وهي: مارية، ولا يمكن أن تكون زوجة الرسول نجسة.

ويلزم أن يعتقد المسلمون أن: قصد الرسول بالإسلام: (الدين) سواء كانت يهودية أو نصرانية، لا (المحمدية) بدليل أن القرآن يسمي كل أهل دين مسلما، ففي القرآن أن يوسف النبي قال: ﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا ﴾ [يوسف/ 101]، وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [البقرة/ 128]، وقال يعقوب النبي لبنيه: ﴿ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة/ 132].

وكيف تحرم الكنائس والرسول وخلفاؤه لم يهدموها، بل احترموها؟، وفي القرآن: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ ﴾ [الحج/ 40]، والصوامع للنصارى، والبيَع لليهود، والصلوات للمجوس، والإسلام يحترم

محلات العبادة لا أنه يهدمها ويمنع عنها.

ويجب التشكيك في حديث: "أخرجوا اليهود من جزيرة العرب"، وحديث: "لا يجتمع دينان في جزيرة العرب"، فإنه لو كان الحديث صحيحا؛ لم تكن زوجة الرسول يهودية ونصرانية، وزوجة الصحابي (طلحة) يهودية، ولم يفاوض الرسول نصارى نجران.

ويلزم صرف المسلمين عن العبادات، والتشكيك في جدواها؛ فإن الله غني عن طاعة الناس، ويلزم المنع أشد المنع عن الحج، ***وعن كل اجتماع بين المسلمين***، مثل (صلاة الجماعة) وحضور مجالس الحسين، والمسيرات الحزينة له، كما يلزم المنع أشد المنع عن بناء المساجد والمشاهد، والكعبة والحسينيات والمدارس.

ويجب التشكيك في الخمُس، وأنه خاص بالغنائم المستحصلة من دار الحرب لا في أرباح المكاسب، ثم الواجب إعطاء الخمس للنبي أو الإمام لا إلى العالم، بالإضافة إلى أن العلماء يشترون بأموال الناس الدور والقصور والدواب والبساتين، فلا يجوز شرعا دفع الخمس إليهم.

واللازم: توهين صلة المسلمين بالإسلام بالتشكيك في العقيدة واتهام الإسلام بأنه دين التخلف والفوضى، ولذا تخلفت بلاد الإسلام وكثر فيهم الإضراب والسرقة.

والواجب: الفصل بين الآباء والأبناء حتى يخرج الأبناء من تحت تربية الآباء، وعند ذلك تكون التربية بأيدينا نحن، وإذا خرجوا عن تربية الآباء؛ لا بدّ وأن ينفصلوا عن العقيدة وعن التوجيه الديني، وعن الصلة بالعلماء.

ويلزم إغراء المرأة بإخراجها عن العباءة بحجة أن الحجاب: عادة بني العباس وليست عادة إسلامية أصيلة، ولذا كان الناس يشاهدون نساء الرسول، وكانت المرأة تشترك في كل الشؤون، وبعد إخراج المرأة عن العباءة لا بدّ من إغراء الشباب بهن ليقع الفساد بينهما، واللازم أن تخرج النساء غير المسلمات من العباءة أولا حتى تقتدي بهن المرأة المسلمة.

ويجب تحطيم صلاة الجماعة بحجة فسق الإمام وإظهار مساوئه، وبإثارة البغضاء بين الإمام وبين الذين يصلون معه بكل الوسائل والسبل.

وأما المقابر؛ فاللازم هدمها بحجة أنها: لم تكن في عصر النبي، وأنها بدعة، كما أن اللازم صرف الناس عن الزيارات بالتشكيك في كون هذه المقابر الموجودة للنبي والأئمة والصالحين، فالنبي دفن عند قبر أمه، وأبو بكر وعمر دفنا في البقيع، وعثمان مجهول قبره، وعلي دفن في البصرة، أما في النجف فهو قبر المغيرة بن شعبة، والحسين دفن رأسه في (حناقة) وجسده مجهول القبر، وفي الكاظمية قبر الخليفتين لا قبر الكاظم والجواد من آل الرسول، وفي طوس قبر هارون لا قبر الرضا من أهل البيت، وفي سامراء قبور بني العباس لا قبور الهادي والعسكري والمهدي من أهل البيت، والبقيع يجب تسويتها مع الأرض كما يجب هدم كل القباب والأضرحة الموجودة للمسلمين في كل بلادهم.

أما آل الرسول؛ فاللازم الطعن في نسبهم والتشكيك في انتسابهم إلى الرسول، واللازم تلبيس غير آل الرسول للعمة السوداء والخضراء ليختلط الأمر على الناس ويسيئوا الظن بآل الرسول، ويشكوا في نسبهم، كما أن اللازم: نزع العمائم عن رؤوس رجال الدين والسادة ليضيع نسب آل الرسول، ولكي لا يتلقى رجال الدين الاحترام من الناس.

والحسينيات: يجب هدمها واتهامها بأنها بدعة وضلالة، وأنها لم تكن في عهد الرسول وخلفائه، كما يجب منع الناس عن ارتيادها بكل الوسائل، ويجب تقليل الخطباء وجعل ضرائب خاصة على الخطابة يدفعها الخطيب وصاحب الحسينية.

واللازم إشراب الحرية إلى نفوس المسلمين، فلكل إنسان ما يريد من الأعمال، فلا يجب الأمر بالمعروف، ولا النهي عن المنكر، ولا تعليم الأحكام، ويلزم إلغاؤها: (عيسى على دينه وموسى على دينه) وأن أحدا لا ينام في قبر أحد، وأن الأمر والنهي خاص بالسلطان لا يعم الناس.

ويجب تحديد النسل، وأن لا يتزوج الرجل أكثر من زوجة واحدة، ووضع القيود على الزواج، مثل أنه لا يحق لعربي أن يتزوج فارسية، وبالعكس، ولا لتركي أن يتزوج عربية وبالعكس.

ويجب أن يمنع منعا باتا التبشير بالإسلام والهداية إليه، وإشاعة أن الإسلام دين قومي، ولذا قال القرآن: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ ﴾ [الزخرف/ 44].

والسنن الحسنة يجب تضييق نطاقها وجعل أمرها بيد الدولة حتى إنه لا يحق لأحد أن يبني مسجدا أو مدرسة أو مأتما أو غير ذلك من السنن الحسنة والصدقات الجارية.

كما أن اللازم: التشكيك بالقرآن ونشر قوانين مزيفة فيها زيادات ونقائص بحجة أن القرآن زيد فيه ونقص منه، ويلزم إسقاط الآيات التي تسب اليهود والنصارى والكفار، وإسقاط آيات الجهاد والأمر بالمعروف وترجمة القرآن إلى اللغات المحلية؛ كالتركية والفارسية والهندية، والمنع عن تلاوة القرآن العربي في غير بلاد العرب، كما يجب منع الأذان، والصلاة والدعاء باللغة العربية في غير بلاد العرب، وكذلك من الضروري: التشكيك في الأحاديث المروية، وأن يعمل بها كما يعمل في القرآن من التحريف والترجمة والطعن".

هذه هي البنود التي عرضها الجاسوس ملخصة من الكتاب، ثم ذكر بأن الخطة التي رسمت له أن يدفع بها من كان مرسلا إليه، قال: "قال السكرتير: لقد وضعت الوزارة خطة دقيقة لأن ينفذها الشيخ وهي:

1) تكفير كل المسلمين وإباحة قتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم وبيعهم في أسواق النخاسة، رجالهم جعلهم عبيدا ونسائهم جواري.

2) وهدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن، ومنع الناس عن الحج، وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

3) والسعي لخلع طاعة الخليفة، والإغراء لمحاربته وتجهيز الجيوش لذلك، ومن اللازم أيضا: محاربة (أشراف الحجاز) بكل الوسائل الممكنة، والتقليل من نفوذهم.

4) وهدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين في مكة والمدينة وسائر البلاد التي يمكنه ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبي (محمد) وخلفائه ورجال الإسلام بما يتيسر.

5) ونشر الفوضى والإرهاب في البلاد حسبما يمكنه.

6) ونشر قرآن فيه التعديل الذي ثبت في الأحاديث من زيادة ونقيصة".

وقد كانت القوى الاستعمارية جيشت آلافا من الجواسيس من أجل عملية الهدم هاته، التي كانوا يتوقعون لها أن تنجح في هدم الإسلام في نحو مائة سنة،

حتى ذكر الجاسوس بأن السكرتير قال له:

"اعلم إنك لست في الميدان وحدك، بل هناك جنود مخلصون يعملون نفس عملك، والذين جندتهم الوزارة إلى الآن لهذه المهمة أكثر من خمسة آلاف شخص، وتفكر الوزارة في أن تزيد عددهم إلى مائة ألف، ويوم وصلنا إلى تجنيد هذا العدد، فإنه هو اليوم الذي نستولي فيه على المسلمين كافة ونكون قد نسفنا الإسلام وبلاده نسفا كاملا". انتهى المراد من الوثيقة.

هذه الوثيقة – بالرغم من تشكيك البعض في صحتها – فإننا نرى أن خطوطها العريضة هي التي عُمل لها في القرنين الأخيرين، ومتوافقة – في الغالب – مع مثيلاتها من التقارير الاستخباراتية و"بروتوكولات حكماء صهيون"، ومع الواقع، وإن كانت طرأت عليها طوارئ نظرا لسنة التدافع وتكفل الله بحفظ دينه وإرسال مجددين يجددون في الدين أنفاسه على رأس كل قرن. وفيها ما فيها من المغالطات حول الدين ومبادئه تعلم بالوقوف عليها.

وصول الأفكار السلفية إلى المغرب:

ومع بداية القرن الرابع عشر – 1300 – الهجري، بدأت دعاوى متأثرة باصطدامات التيارات في المشرق، تدخل البلاد، دخول نشاز في الأعراف، في وقت وزمان وحالة لا تقبل مثل ذلك.

ومن ضمن ذلك: طالب من طلاب المغرب، من بيت معروف بفاس، سافر مع أهله المشرق، وأخذ بها عن أعلامها، وتأثر بأفكار الهنود، والهند وقتئذ تحت وطأة الاستعمار البريطاني، قد غزتها عقائد إلحادية، وأفكار مدمرة، كالقاديانية والبهائية، وفي المقابل أفكار مدمرة للمجتمعات، كالقول بحرمة التقليد مطلقا، وضلال المذاهب، وضلال الأشاعرة وأنهم فرقة ضالة، وكفر الصوفية وطرقهم، وأنهم مشركون كفار.

كان ذلك الشاب هو: عبدالله بن إدريس بن محمد بن أحمد السنوسي، أبو سالم، الفاسي نزيل طنجة بعده. من قبيلة بني سنوس بالبربر من كومية، وتعرف قديما بصطفورة. أخذ عن والده أبي العلاء إدريس وأبي عيسى محمد المهدي ابن سودة والقاضي حميد بناني ومحمد نذير حسين الدهلوي وبطائفته تأثر، وصاحب هذا الكتاب أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني، وأبي عبدالله مَحمد بن

عبدالرحمن العلوي وغيرهم. وأجازه جماعة.

استقر آخر حياته بطنجة داعية لأفكاره إلى أن توفي بها - رحمه الله - في الرابع والعشرين من جمادى الأولى سنة خمسين وثلاثمائة وألف. بعدما عمر نحو تسعين سنة. انظر ترجمته في: "معلمة المغرب"، و"المدهش المطرب" لعبد الحفيظ الفاسي، و"إتحاف المطالع" لعبد السلام ابن سودة...وغير ذلك.

ولما عاد إلى المغرب؛ عاد بأفكار متشددة، فكان يقول بحرمة التقليد، ووجوب الاجتهاد مطلقا على العلماء والعامة، وضلال الأشاعرة واعتقادهم، وكفر الصوفية وشركهم، محرما التبرك، وتسويد النبي صلى الله عليه وسلم، والتوسل، واتباع الطرق الصوفية، والذكر الجماعي والجهري...إلخ، ويقول للفقهاء: "إن كنتم مالكية فأنا محمدي". وكان خطيبا مفوها مصقاعًا، يخطب بتلك الأفكار في المجالس العامة والخاصة والمساجد، ويستحث الناس بكل ما له من أساليب خطابية وجذبية متقنة.

فكان بذلك كأنه يدمر بناءين أساسيين من بناءات المجتمع المغربي المهتز حينه، وهما: مؤسسة العلماء، ومؤسسة الطرق الصوفية.

على أنه عُرف بملازمة ذوي النفوذ والملوك، ومدحهم والثناء عليهم وأخذ الهبات منهم، ولا يعرف له موقف ضد الاستعمار الذي كان يطرق أبواب البلاد، وكأن الهم لم يعد الاستعمار بقدر ما هو العلماء والمذهب المالكي والطرق الصوفية، وأسوأ من كل ذلك: التنقيص من قدر النبي صلى الله عليه وسلم ومنع تعظيمه بالقول: سيدنا، ومدحه بالأشعار، وادعاء أنه بشر مثلنا جاء برسالة وذهب، وهي دعوة حق أريد بها الباطل، فكان الناس يرون بأن مدحه الملوك خلاف ورع العلماء، ومناقضا لنهيه عن مدح النبي صلى الله عليه وسلم وتسويده.

فكانت دعوته مطابقة – إلى حد كبير – بنود تلك الوثيقة أعلاه، من تقسيم المسلمين، وزرع بذور الفتن بينهم، وتكفيرهم، وهدم آثارهم، والتشكيك في علمائهم وشرفائهم وذوي النفوذ الروحي فيهم، وتغيير معالم الدين بحجة الاجتهاد، وقطع ماضي الأمة عن حاضرها ببث القناعة بأن جمهور علماء المذاهب من القرن الرابع للآن كانوا ضلالا أو مخطئين، وجمهور شيوخ التصوف كانوا فساقا أو مشركين، بل والتنقيص من قدر النبي صلى الله عليه وسلم...إلخ.

فلم يرتض العلماء وأهل الحل والعقد أفعاله، وحذروا منه ومن الجلوس إليه، وكتبوا مبرزين بدعته وشقه الصف الإسلامي، وهم في مقام شيوخه وشيوخ شيوخه، ممن لهم مقام الشورى، والإفتاء في أهم أمور الدين والدنيا.

بين يدي "الفجر الصادق":

ومن ضمن المؤلفات التي كتبت في الرد عليه؛ هذا الكتاب: "الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق". لشيخ الإسلام أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني.

والشيخ جعفر الكتاني – شيخ عبد الله السنوسي، وترجم لجده محمد بن أحمد السنوسي إمام الضريح الإدريسي في كتابه: "الشرب المحتضر في تراجم أهل القرن الثالث عشر" ترجمة حفيلة.

فنجده في الكتاب تحاشى أن يذكر اسم السنوسي ولو بالإشارة، لأنه إنما – لورعه – أراد الرد على الأفكار التي كان يبثها في المجتمع، وفاء للجد، وقياما بالواجب الشرعي الذي أناطه الله به.

فركز – رحمه الله – في كتابه على الذب عن العقيدة الأشعرية، والمذاهب الأربعة بالأساس، والتصوف عرَضا، قال - رحمه الله - في مقدمة الكتاب مستعرضا دعاوى المردود عليه، والتي كانت السبب في كتابة الرد: "من ذلك أنه: فرد، وأنه مع السنة المحمدية قدَما بقدم، وأنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق من طريق العلم الوهبي، وأنه يأخذ الأحكام من الكتاب والسنة لا غير، ولا يقلد واحدا من أئمة المذاهب...ويأخذ بظاهر الآيات والأحاديث، وإذا سمع من قال: نحن خليليُّون. يقول: نحن محمديون، نحن نميل إلى التحقيق وأدلتنا أصلية!".

"ويزعم أن الحجة لا تقوم عليه بكلام واحد من العلماء كائنا من كان، ويُثبت من الأحاديث وينفي بحسب وهمه المتخيَّل السخيف، وهواه الخسيس الذي هو له وصيف".

"ولا يُسَيِّدُ المصطفى صلى الله عليه وسلم عند ذكره، وينكر على من يذكر وليا من الأولياء أو يتوسل به أو يستغيث أو يزوره، وينفي تصرفهم مطلقا...إلى غير ذلك من الهذيان، المؤذن بالمقت والطرد والخِذْلان"..انتهى منه باختصار.

والمؤلف – رحمه الله - في فصول الكتاب السبعة، مع المقدمة والخاتمة،

يركز على التزام الأمر العتيق، وحفظ جماعة المسلمين، وعدم الخروج عن جمهورهم، لما في ذلك من شق صفهم، وبث الوهن في جمعهم. وهو – قدس سره – في وجهته تلك يرمي إلى حفظ بيضة الإسلام، والغيرة على الدين وأهله، وهو الفقيه الذي له عشرات الفتاوى والكتب في هذا الاتجاه الذي نافح عنه في الكتاب بخيله ورجله.

ولذلك نجد الإمام رحمه الله، تشدد في أمر العقيدة الأشعرية ما لم يتشدد به في كتبه الأخرى، وكذا تشدد في أمر المذهبية والتقليد ما لم يتشدد به في كتب أخرى أيضا.

فقد نص في العديد من كتبه – كشرحه لمقدمة شرح ميارة على "المرشد المعين" – على أن عقيدة أهل السنة: مذهبان، مذهب المتقدمين، ومذهب المتأخرين، بل وفي شرحه لآخر حديث من صحيح البخاري – المطبوع ضمن منشورات دار الكتب العلمية – نحا نحو الاستدلال والترجيح في أمور من مسائل العقيدة.

والحاصل؛ المؤلف – رحمه الله تعالى – في اعتقاده أشعري، يرجح الدليل مهما قام له، ويميل إلى المعرفة الصوفية في الاستنباط، فهو على مدرسة العارفين الأثريين المحققين.

أما في مسائل الاجتهاد؛ فبالرغم من الموقف المتشدد الذي نهجه في كتابه هذا؛ فإننا نجد أنه في العديد من كتبه - كالشرب المحتضر مثلا[1] - يثني على أعلام ببلوغهم رتبة الاجتهاد، فيقول في ترجمة الشيخ الطيب ابن كيران من "الشرب": "تفرد – رحمه الله – في الدنيا بعلم الأصول والفروع، والمفردات والجموع، يعرف أكثر الفنون على نهج الاجتهاد".

وقال في ترجمة الإمام محمد بن عمرو الزروالي منه أيضا: "العلامة المحقق في جميع العلوم، المتبحر فيها والقائم عليها قيام أهل الاجتهاد المطلق، مع فصاحة لسان، يعجز عنها سحبان...كان – رحمه الله – بحرا لا يجارى في مجال العلوم، ومهندا يفري أديم المشكلات بماضي الفهوم، حافظا ضابطا، متقنا ماهرا، محصلا

(1) طبع بتحقيقنا بدار الكتب العلمية - بيروت.

متفننا، عارفا بالأصول والفروع".

وفي ترجمة الشيخ حمدون ابن الحاج السلمي: "كان – رحمه الله – ممن انتهت إليه الرياسة في جميع العلوم، واستكمل أدوات الاجتهاد على الخصوص والعموم، مع الخشية والخضوع والوقار، والاستغراق في العشق المحمدي والبكاء والاعتبار، ومحبة آل البيت والانحياش للأخيار".

...وهكذا، فأثنى عليهم ببلوغ رتبة الاجتهاد، وما ذمهم..

بل في كتابه "الدراك في أحكام السواك" أظهر – رحمه الله تعالى قدرة فائقة على الاستدلال والاستنباط، والترجيح والرد باعتماد الكتاب والسنة وعدم التقليد، وفي فصل: "حكم السواك بحضرة الناس" خالف مشهور المذهب، ورجح الدليل في مبحث طويل..وكذا في جل كتبه التي خصصها في أمور معينة.

وفي كتابه: "مواهب الأرب في السماع وآلات الطرب"، استدل بالسنة، وجمع أطراف الأدلة، وناقش الأئمة المجتهدين، وخالف المذهب في أمور، حتى رجح قول إبراهيم بن سعد باعتباره من المجتهدين، وجوز تقليده. بل؛ وخصص مبحثا عنوناه بـ: "يجوز للمقلد الأخذ بغير مذهب إمامه في مسألة من المسائل". وهو كتاب كبير في غاية النفاسة والعلم، سلك فيه – رحمه الله تعالى – مسلك الاجتهاد المطلق.

فتحصل مما ذكرناه؛ أن المؤلف – رحمه الله تعالى – يخاطب بهذا الكتاب – خاصة في الفصل الثالث – أنصاف العلماء، أو العلماء المبتدئين، والعلماء غير الربانيين، الذين يرومون بدعواهم الظهور وحب التميُّز، والذين لم يتقنوا بعدُ أدوات الاجتهاد وأسبابه، ممن ضررهم على الأمة أكثر بكثير من نفعهم، بل ربما لا نفع لهم أصلا..

أما العلماء المتقنون، الذين جمعوا علوم الاجتهاد، ودرّسوا وصنفوا، ومارسوا مختلف العلوم، الربانيين في دينهم وورعهم وصلاحهم؛ فليسوا معنيين بهذا الفصل، وليس الحديث إليهم. نعم؛ يوهم كثير من كلامه – رحمه الله – إنكار بلوغ الاجتهاد المطلق لأحد مطلقا، حتى المازري، وابن العربي، وابن دقيق العيد، وغيرهم من الأئمة، ولا شك أن المناظرة تقتضي ما لا يقتضيه التقرير، والإمام – قدس سره – إنما يقصد رتبة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأضرابهم، ولم يأت أحد

من بعدهم يدعي مقامهم مطلقا.

فنجد أن المؤلف في الفصل الثالث المعنون بـ: "يحرم علينا الاستدلال بالكتاب والسنة على حكم من أحكام الدين وفروعه، لجهلنا بطريق الاستدلال، وعجزنا عن تحصيل شروطه". إنما يقيد ذلك بأمرين:

-الجهل بطريق الاستدلال.

-العجز عن تحصيل شروطه.

وهو يؤكد في كل ذلك على القائل ببلوغ درجة الاجتهاد بالطريق الكسبي، يعني: بدون فتح رباني ناتج عن قوة دين والتزام. ومعلوم اشتراط العلماء للمجتهد: قدرة فطرية على الفهم والاستنباط.

وما قولك في إمام يرد على قوم قال إمامهم محمد بن علي الشوكاني في كتابه "القول المفيد في حكم التقليد": "ولو فرضنا أن في العلماء من يرشد الناس إلى التقليد ويرغبهم فيه لكان مرشدا إلى معصية الله، ولا طاعة له بنص حديث رسول الله"..مع قوله آخر الرسالة: "وبالجملة؛ فهذا أمر يشاهده كل واحد في زمنه، فإنا لم نسمع بأن أهل مدينة من المدائن الإسلامية أجمعوا أمرهم على ترك التقليد واتباع الكتاب والسنة، لا في هذا العصر ولا فيما تقدمه من العصور بعد ظهور المذاهب، بل أهل البلاد أجمع أكتع مطبقون على التقليد"[(1)]...والتشدد والتعصب إنما يجاب بمثله.

أما في مسائل التصوف؛ فإننا نجد أن المؤلف – قدس سره – لم يفصل بمبحث، ولذلك ارتأينا ضم جواباته لمقالات الشيخ مظهر النقشبندي فيما يتعلق بتأويل المعارف وغوامق الكلام، لتتم الفائدة.

ولكن في مسألة الاستغاثة بالمقبورين أحب سوق كلام نفيس لنجله شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني – رحمه الله – في مقدمة كتابه: "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس"، الذي طبعه في حياة والده

(1) انظر: ص2183، و: 2198، من "الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني" جمع وتحقيق صبحي حسن الحلاق. ونحن هنا لا ننتقص من الإمام الشوكاني - رحمه الله - فهو إمام كبير، وعالم مشارك مبدع، ولكن الحديث في هذه الجزئية التي جعلها الكثير معولا لهدم المذاهب، والطعن في هيبة العلماء.

وتحت إشرافه، وهو كالقاعدة في الموضوع، قال – رحمه الله – ج1 ص54:
"قلت: وسبب هذا الجهل العظيم الصادر منهم – أي: الاستغاثة بالمقبورين – أنهم يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون، ويعزلون ويعطون ويمنعون، ويولون ويعزلون...إلى غير ذلك مما هو مختص بالباري تبارك وتعالى، ولذلك تجد أحدهم يأتي إلى ضريح الولي ويقول له: يا سيدي فلان؛ أسألك بالله إلا ما شفيتني، أو: إلا ما رفعت عني هذا الضرر. أو: إلا ما أعطيتني كذا، أو: إلا ما سهلت علي كذا...إلى غير ذلك من سؤالاتهم الفظيعة، وأحوالهم الذميمة الشنيعة، التي يوهمون بها وجود شريك مع الباري سبحانه".

"وقائل ذلك ونحوه؛ إن اعتقد أن الولي هو الذي يؤثر في قضاء حاجته ويوجِد ما بقدرته على حسب إرادته كما يوجدها الباري سبحانه؛ كفر وكان مرتدا، لأنه أشرك مع الله غيره".

"وإن اعتقد بأنه يؤثر فيها بما جعله الله فيه من القوة والسر؛ كان مبتدعا، وفي كفره خلاف".

"وإن اعتقد نفي التأثير عنه رأسا، وكان يرى أن الفاعل المختار في جميع الأشياء هو الله سبحانه لا غيره من جميع المخلوقات...كان مصيبا في اعتقاده المذكور، موافقا فيه لاعتقاد أهل السنة والجماعة، إلا أنه مخطئ من جهة إسناده الفعل ظاهرا إلى من ليس له على الحقيقة، مع أن المقام لا يصلح لذلك...فاجتنب ذلك هداك الله ووفقك، ولا تنسب الأشياء إلا إلى خالقها وبارئها، ولا تسألها إلا منه سبحانه". إلخ باختصار.

بل ولنجله الإمام أبي العباس أحمد بن جعفر الكتاني - رحمه الله تعالى - مؤلف بعنوان: "بسط لسان النكير، على من ينسب لغير الله التأثير". وحاصل قصدهم بالاستغاثة: التوسل وطلب الدعاء، لا غير، كما هو مفهوم من كتاباتهم.

مع أحمد بن الصديق الغماري في دعواه:

وبعد؛ فقد وقفت في مقدمة "عواطف اللطائف من أحاديث عوارف المعارف"، للشيخ البحاثة الناقد أحمد بن محمد بن الصديق الغماري رحمه الله وغفر لنا وله، بقلم الشيخ محمود سعيد ممدوح، على نقل ص103 عن كتاب "جؤنة العطار"، للغماري نفسه، جاء فيه:

"والقسم الثالث من المقلدة: وهم العلماء الجامدون على المذاهب تقليدا لا تنقيدا واتباعا، ويزيدون على ذلك عداوتهم لمن يعلن طلب الدليل والبحث عنه والدعوة لاتباعه...وكما قال جعفر الكتاني - كذا - في الرد على عبد الله السنوسي: وبعد؛ فقد نبغت نابغة من المجوس رأسهم ابن حزم يقولون: لا يجوز العمل إلا بكتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فسماهم: "مجوسا" (كذا)، وجعل علة تمجسهم: قولهم: لا يجوز العمل إلا بكتاب الله والحديث".

"ثم قال في آخر كتابه الخرافي (كذا): الفصل العاشر: في تحريم العمل بكتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم...إلخ. هكذا يصرح بالتحريم بكل جرأة ووقاحة (كذا)"....انتهى النقل عن أحمد الغماري بلفظه...

وكنت أعتذر له – أولا – بأنه كتب ذلك في كتابه "جؤنة العطار" وهو معتقل، لا مصادِرَ بين يديه، حتى وقفت من بعدُ على نفس الكلام في اختصاره لسلوة الأنفاس، لشيخه الإمام محمد بن جعفر الكتاني قدس سره، فعلمت أن الرجل مصر على ما قال، مذيع له في كتبه، مستغفل القارئ والتالي. ما حذا بي إلى الدعوة للمسارعة في نشر هذا الكتاب "الفجر الصادق"، خاصة وأنني رأيت كثيرًا من الباحثين تلقفوه كأنه مسلم، تحسينا منهم للظن في أحمد الغماري، ومنهم: أخونا البحاثة الشيخ عدنان زهار وفقه الله تعالى، الذي سارع إلى تصحيح الخطأ ونشر الكتاب كاملا بعدما أعجب به.

وأنبه القارئ الكريم أن هذه النقول باطلة ليست موجودة نهائيا، والكتاب المذكور عندي بتصحيح ابن مؤلفه الإمام أبي زيد عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، رحمه الله، وليس فيه شيء مما ذكر، بعد البحث والتنقيب، وها هو ذا بين يدي القارئ فليطالعه.

ولولا أن هذا النقل تناقله الناس، ووجدت العديد ممن اعتمده في بعض الكتب على أنه صحيحٌ مسلّم، لما تدخلت لتبيين الحق في الموضوع...

وقد كنت نبهت عدة من الباحثين ومنهم: الشيخ محمود سعيد على أن هذا النقل غير صحيح، وعاتبته على الإتيان به، لأن القول به خطأ كبير لا يشك في ذلك اثنان، فوعدني بعدم العودة إليه، وتصحيح الخطأ...

فأقول، مستعينا بالله تعالى:

أما قوله: "قال جعفر الكتاني في رده على عبد الله السنوسي...."إلخ...

ففيه أمران؛ الأول: أن هذا الذي سماه جعفر الكتاني، هو شيخ الإسلام في المغرب، وولي نعمة والده، الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني، أستاذ جل علماء المغرب في وقته، والذي طبق ذكره الآفاق، وهو صاحب كتاب "الدواهي المدهية"، وغيره من الكتب النافعة الأثرية التي قاربت المائة...وقالوا عنه: كان المولى الحسن الأول، والمولى عبد العزيز لا يمضيان فتوى ما لم يوقعها هو، حسبما في كتاب "فاس عاصمة الأدارسة" لجدنا الشيخ المنتصر الكتاني رحمه الله تعالى.

الثاني: أن المؤلف - رحمه الله - لم يصرح باسم الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي، إنما جعل الكتاب عاما، لأنه يرد على الفكرة لا على الشخص، واسم الكتاب: "الفجر الصادق، المشرق المفلق، في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق".

أما قوله: "وبعد؛ فقد نبغت نابغة من المجوس رأسهم ابن حزم يقولون: لا يجوز العمل إلا بكتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. فسماهم: "مجوسا" (كذا)، وجعل علة تمجسهم: قولهم: لا يجوز العمل إلا بكتاب الله والحديث".

قلت: هذا الكلام ليس موجودا إلا في ذهن السيد الغماري غفر الله لنا وله، وقد راجعت النسخة المذكورة، وهي نسخة الشيخ، في خزانة ابنه الإمام محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله، والذي فيها ص1: "وبعد؛ فقد بلغنا في هذه الأعوام عن رجل كنا نعرفه من جملة الطلبة المبتدئين، وغاب لناحية المشرق مدة....إلخ"، وليس في الكلام لا اتهام بالمجوسية ولا بما هو من ضربها...

وفي آخر الصفحة التالية قوله: "سلك في جل ذلك مسلك علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم، الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي الظاهري"...ثم نقل من ترجمة ابن حزم ما فيه إطراء كبير، وانتقاد..وقد بحثت عن كلام السيد الغماري ونقله فلم أجد شيئا من ذلك...

ثم قوله: "ثم قال في آخر كتابه الخرافي (كذا): الفصل العاشر: في تحريم العمل بكتاب الله وحديث رسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم...إلخ. هكذا يصرح بالتحريم بكل جرأة ووقاحة (كذ)"...

قلت: قوله الخرافي، على عهدته...وقوله: "بكل جرأة ووقاحة"..عقوق.

وقوله: الفصل العاشر....إلخ..هو كفر بواح يكفر به شيخ شيوخه، فقول ذلك كفر بلا شك، وكلامه مردود من وجوه:

الأول: أن الكتاب مكون من مقدمة، وسبعة فصول، وخاتمة...فمن أين أتى بالفصل العاشر؟.

الثاني: أن العنوان المذكور غير موجود بذلك اللفظ في الكتاب، إنما اللفظ المذكور مغاير له تماما، وهو قوله رحمه الله: "الفصل الثالث: في أنه يحرم علينا الاستدلال بالكتاب والسنة على حكم من أحكام الدين وفروعه، لجهلنا بطريق الاستدلال، وعجزنا عن تحصيل شروطه"...

قلت وتوضيح هذا بأمور: أن الاستدلال بالشيء غير العمل به، والله تعالى لم يتعبدنا إلا بكلامه وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثاني: أن الرسالة في معرض الحديث إلى طلبة العلم لا إلى العلماء، وإلا فإن المؤلف ملأها استدلالا بالكتاب والسنة، ولكنه قارن حرمة الاستنباط والاستدلال لمن ليست له الأهلية بقوله: لجهلنا بطريق الاستدلال وعجزنا عن تحصيل شروطه...

الأمر الثالث: أنه فصّل ضمن الفصل نفسه، شروط الاستنباط والاجتهاد، ومتى تصح ومتى لا تصح...فليس الأمر كما أراد تصويره السيد الغماري غفر الله لنا وله...وقلب اللفظ ليوافق ما فهمه.

الأمر الرابع: أنه – كما سبق وبينا – من راجع مؤلفات الشيخ جعفر رحمه الله تعالى، أذكر مما طبع منها: "الدواهي المدهية للفرق المحمية"، و"أحكام أهل الذمة"، و"الدراك في أحكام السواك"، علاوة على ما لم يطبع منها كحواشيه على الصحيحين التي ملأها فقها محررا كما في ترجمته من "فهرس الفهارس"، أي: فقها مدللا....أقول: من راجع ذلك علم يقينا أن المؤلف نفسه كان ينحو في جميع مؤلفاته إلى الاستدلال والاستنباط، بل يخالف المذهب أحيانا إذا ترجح الدليل كما تجده في كتابه "الدراك".

فالمؤلف - رحمه الله تعالى - كان يخاطب بذلك الطلبة وصغار أهل العلم الذين لما تتهيأ لهم ملكة الاستدلال والاستنباط، لأن المستنبط موقع عن الله تعالى

كما عنون لذلك ابن القيم كتابا رحمه الله تعالى، وإذا لم تتهيأ له شروط ذلك، فسيصير متأليا على الله تعالى، والتألي على الله حرام بالإجماع...

الأمر الخامس: أن جميع من ترجم للشيخ جعفر الكتاني - رحمه الله تعالى - ذكروا اعتناءه بعلوم الحديث والأثر، حتى إنه ترك في النصف الثاني من عمره التدريس إلا تدريس كتب الحديث والسنة، حتى إن نجله الإمام محمد بن جعفر الكتاني ذكر في فهرسته المطبوعة أنه قرأ عليه الصحيحين كل واحد منهما أكثر من عشرين مرة...

فكيف يتفق هذا مع دعوته لتحريم الأخذ بالكتاب والسنة؟، هذا لا يفوه به عاقل...

وعلى كل؛ يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، والواقف على هذه الرسالة يعلم خبأها ومحتواها...

الاجتهاد والسلفية في المغرب القرن الماضي[1]:

ثم إن الدعوة للاجتهاد المطلق كانت شعارا للعلمانيين في ذلك العصر، وقد ألف العلامة محمد رمضان البوطي – حفظه الله – كتابا بعنوان: "اللامذهبية قنطرة إلى اللادينية". فمن سبر جهود المدرسة الإصلاحية وتلامذتها في المشرق والمغرب ذلك العصر، وجد جهودهم الحثيثة في تدمير ما تعارف الناس عليه من أمور الدين واجتمعوا له، وإبطال المسلمات الشرعية، والدعوة للقوانين الوضعية، وسفور النساء، وتزيين المستعمر الأجنبي بكل الوسائل، فكان ذلك بريدا للدمار والهلاك للأمة المحمدية.

ذلك أنهم أرادوا عن طريقها تهديم المسلمات باطلة كانت أم محقة، ومن ثمة إحلال أفكار وقوانين ونظم أجنبية محلها. والدعاة كانوا ينقسمون إلى قسمين:

الأول: طائفة دعت إلى الرجوع للكتاب والسنة، فما أثبتاه أثبتناه، وما نفياه نفيناه. وهي دعوى حق، ولكن بشروطها المعتبرة، واعتبار الآداب المقررة مع أهل العلم وسلفنا من ورثة الأنبياء رضي الله عنهم.

---

(1) انظر تفصيلا في ذلك مقدمتنا لكتاب "الاجتهاد والمجتهدون في الأندلس والمغرب" للعلامة محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني، طبع باعتنائنا بدار الكتب العمية - بيروت.

وقد قال الشيخ عبد الحي الكتاني – وهو من دعاة الاجتهاد، وابن أخت صاحب هذا الكتاب – في رسالة له للعلامة الشيخ محمد المكي ابن عزوز: "إنا وإن جوزنا الاجتهاد ونافحنا عن تيسره؛ لا نعلم أحدا من الموجودين اليوم يمكن أن يدعيه أو يقوم به على سبيل الاستقلال المطلق، وإن كان ولا بد من العمل بالحديث، فالأمر فيه صعب، والخطَر أقرب من الصواب لغير المتأهل، وهم أكثر الموجودين اليوم".

"وإني بعد تفتيشي وبحثي بالدقة في الحجاز والشام ومصر والمغرب، لم أر أحدا أجوز له العمل بالحديث مطلقا على حسب علمه هو وبحثه وتمييزه بين الباطل والصحيح، والناسخ والمنسوخ من غير تقليد لأحد. إذ أكثر من رأيت له الكمال في باب أراه ناقصا من جهة أخرى لا يمكنه الرجوع إلى الدليل بدونها".

قلت: ومن وجدناهم من دعاة الاجتهاد؛ كانوا في - العموم - مقلدة لابن تيمية ومن على شاكلته، مع رعونات وزيادات تأثرا بالمدرسة الوهابية في إنكار ما تعارف الناس عليه مما يوافق أصول التشريع، والتوسع في مسائل الشرك، والبدعة، وغير ذلك، مع قصور في علوم الآلة، خاصة علم الحديث. ومن أهل تلك المدرسة: عبد الله بن إدريس السنوسي، ولم يترك تلامذة لمدرسته، غير أن ممن يعد استمرارا لها: محمد تقي الدين الهلالي وتلامذته والمتأثرون به، وهم كثر، وعبد الرحمن النتيفي، وأمثالهما ممن أخذ عنهما.

أما ثانيا: فهي طائفة حكّمت العقل على النصوص، والرأي على الشريعة بدعوى الاجتهاد، ومالت إلى إنكار الغيبيات، والمعجزات، ونفي الكرامات مطلقا، وهي بريد العلمانية كما لا يخفى على مطلع على المدارس الفكرية في القرن الرابع عشر – العشرين، جذورها وتطورها. وهي مدرسة من أهم رموزها: محمد عبده وجمال الدين الأفغاني.

قال الشيخ عبد الحي الكتاني في رسالته المنوه إليها: "أنشدك الله؛ هل كان محمد عبده يعلم شيئا من علم الحديث والاصطلاح، والجرح والتعديل، وما هو من أعظم بل أعظم آلات الإشراف على الدلائل وتمييز الطيب من الخبيث من أقوال الفقهاء؟، فهل كان لا يجب عليك وعلي وعلى غيرنا الانتصاب للرد على سلوكه هذا المسلك من غير آلة؟، وتلميذه رشيد رضا أعلم منه - فيما يظهر –

بشيء من آلة الدليل، لانكبابه – فيما يظهر – على "نيل الأوطار"، وإن كان كلامه أظلم من سواد الليل، وأبعد عن الصواب بعدي الآن عن السماوات ومن فيهن. مع أني لا أنقص محمد عبده من كل جهة، جريا على طريقتي السابقة من عدم الحب مرة واحدة، ولا البغض مرة واحدة".

وقد تبنتها الحركة الوطنية بالمغرب، وأشاعت أدبياتها وأفكارها، ومن أهم دعاتها: محمد بن العربي العلوي ثم تلامذته على اعتدال في بعضهم وشطط في آخرين؛ كعلال الفاسي، ومحمد إبراهيم الكتاني، ومحمد المكي الناصري...إلخ. وبالجزائر: عبد الحميد ابن باديس، والبشير الإبراهيمي، ومن ثمة: جمعية العلماء المسلمين، ومن تخرج وتأثر بها من بعد.

وقد كان أبو شعيب الدكالي محسوبا على المدرستين السلفيتين، وإن لم يكن داعية للاجتهاد، بل كان مالكيا في المذهب، أشعريا يميل للتفويض في الاعتقاد، شديدا على الصوفية والتصوف[1]، ولو وجد من يحمل علمه ويبثه لكان أبرز من محمد عبده ورشيد رضا، لأنه أعلم منهما بلا شك.

والعجيب أن دعاة السلفية الأوائل بالمغرب لم يكادوا يتركون أدبيات ولا مؤلفات تعبر عن أفكارهم، وتنافح عن معتقداتهم، ولا مشاريع طبق ما نادوا به من تجديد الفقه والاجتهاد المطلق، والعقيدة السلفية، كما كان الشأن بالنسبة لمدرسة أهل الحديث في الهند، والوهابية في نجد، ودعاة الاجتهاد في الشام واليمن ومصر. أعني بهم: عبد الله السنوسي، وأبا شعيب الدكالي، ومحمد بن العربي العلوي.

نعم؛ كان دعاة آخرون محسوبين على السلفية، وإن كانوا أشد اعتدالا، وأكثر موضوعية؛ كمحمد بن الحسن الحجوي، ومحمد بن عبد السلام السائح، هذان العالمان كتبا وصنفا وألفا في موضوعات الاجتهاد والعقيدة، وتركا تراثا مهما يحتاج إلى الوقوف عليه ونشره ودراسته.

وبعد ذلك الجيل؛ ظهر جيل جديد تمايز فيه التياران المذكوران أكثر، ووضحت معالمهما، وهما: تيار سلفي بحت، قاده أمثال: محمد تقي الدين

(1) إلا الطريقة الكتانية فقد كان يود أهلها وأعلامها، حسبما فصله الشيخ محمد الباقر الكتاني في معجم شيوخه "قدم الرسوخ" مخطوط.

الهلالي، وعبد الرحمن النتيفي، ومحمد الزمزمي ابن الصديق الغماري (وإن كان يميل للأشعرية في الاعتقاد)، ولهؤلاء مؤلفات واسعة في نشر أفكارهم وبثها، ومن بعدهم: محمد زحل، ومحمد بن عبد الرحمن المغراوي، ومحمد بن الحسن الفزازي صاحب الموسوعة الضخمة في الفقه والسيرة والتفسير، والتي بلغت نحو خمسين مجلدا، وأمثالهم، وهم الآن تيارات.

والثانية: علمانية صرفة؛ قادها أمثال: المهدي ابن بركة، وعمر ابن جلون، ومحمد عزيز الحبابي، وعابد الجابري...وأمثالهم، ثم من تأثر بهم من بعد.

ومما يتوقف عنده؛ أن جل أو جميع الدعاة الأوائل لتلك الأفكار كانوا إما من أهل سلطة الوقت – سواء استعمارية أو محلية – أو مدعومين من طرفها، أو محميين بحماها، ولم يعرف عنهم مزيد تدين والتزام بأخلاق الشريعة وضوابطها في ذاتهم وتصرفاتهم.

وختاما؛ فإننا لسنا ضد الاجتهاد؛ بل مع الاجتهاد البناء، الذي يحل نوازل الوقت، ويعود بالفقه إلى منابعه الأصلية مع التأدب مع كافة علماء الدين، ومع الاجتهاد الذي يكون جزءا من الرقي الديني والدنيوي لا مجرد صراعات ومحاولات للتميز عن الغير.

ونقر بأن التصوف في الزمن الأخير، كما جل الميادين الدينية والاجتماعية والسلطوية قد ذبلت زهورها، وتدنس بياضها، ودخلتها الشوائب الكثيرة التي استوجبت إصلاحها وتنقيتها مما دخلها من الدواخل، ولكن بالحكمة، والصدر الواسع، والعلم الجم، لا بالقمع والإقصاء والإكفار كما حصل في الدهر الآخر. ولا ننكر أن للمدارس المذكورة من وهابية وسلفية وإصلاحية وأمثالها دورا مهما في التخلص من كثير من الشوائب، ونشر تراث إسلامي كبير كان فريسة للضياع والإهمال، ولله في ملكه حكم وأسرار لا يعلمها إلا هو.

ففي هذا الجو وهذا الحال ألف شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني "الفجر الصادق"، وبغير معرفة الظروف السياسية والوقتية لا يمكن فهم سبب الكتاب، ولا مناسبة كتابته، ولا ما بين صفحاته من رقائق وألغاز وإشكالات.

بين يدي الرسالة الثانية

أما الرسالة الثانية؛ وهي: "الجواب عن مقالات الشيخ مظهر النقشبندي"، فهي مؤلف ألفه الشيخ جعفر الكتاني للجواب عن أسئلة وردت إليه من المدينة المنورة حول مقالات كتبها وانتشرت عنه: الشيخ محمد مظهر النقشبندي الدهلوي، رئيس أكبر زاوية ومدرسة في المدينة المنورة حينه، وذو الأتباع الكثر في المشرق الإسلامي بعامة.

فالشيخ محمد مظهر النقشبندي – قدس سره – ترجم له العلامة السيد عبد الحي الحسني – والد الإمام أبي الحسن الندوي رحمهما الله تعالى - في كتابه: "نزهة الناظر وبهجة المسامع والنواظر" تاريخ لعلماء الهند ص1372، فقال:

"الشيخ العالم الصالح: محمد مظهر بن أحمد سعيد بن أبي سعيد العمري الحنفي الدهلوي، المهاجر إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم".

"ولد لثلاث خلون من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف بمدينة دهلي، ونشأ بها في مهد العلم والمشيخة، وقرأ العلم على مولانا حبيب الله وعلى غيره من العلماء، ثم لازم أباه، وقرأ عليه مكتوبات جده الإمام الرباني مرتين قراءة تدبر وإتقان، وأخذ عنه الطريقة. ثم سافر إلى الحرمين الشريفين بإذنه، فحج وزار، ورجع إلى الهند وصحب والده، وهاجر معه إلى الحجاز سنة أربع وسبعين ومائتين وألف، فسكن بالمدينة المنورة، وجلس على مسند أبيه بعد وفاة صنوه الكبير عبد الرشيد، فحصل له القبول العظيم. وكان من العلماء الربانيين، جامعا بين المعقول والمنقول، حاويا للفروع والأصول، مطلعا على دقائق المعارف وحقائق الحكم".

"ترجم له الشيخ مراد بن عبد الله القزاني في "ذيل الرشحات" ترجمة حسنة، قال: وكانت طريقته في تربية السالكين مثل طريقة آبائه، من غير تبديل ولا تغيير بزيادة أو نقصان، سالكًا فيه طريق الاقتصاد، شاخصا بصره إلى: سددوا وقاربوا، وملاحظًا معنى: بشروا ولا تنفروا. وكان يأمر كلا من الطالبين بما يناسبه من وظائف الأذكار، فمنهم من يأمره بالإكثار، ومنهم من يأمره بالمجاهدة والرياضة والعزلة عن الأغيار، ومنهم: من يفوض إلى يده زمام الاختيار، وكان اعتناؤه بالعلماء وطلبة العلوم أكثر، والتفاته إليهم أوفر، وكان كثير الحث على طلب العلوم

بما شاهد من فشو الجهل وأنواع البدع في العالم، وكان لا يكلفهم بكثرة الأذكار على وجه يفضي إلى ترك التحصيل، وبنى مدرسة عالية في المدينة المنورة بباب البقيع، ثلاث طبقات مشتملة على جميع ما يحتاج إليه من خزانة الكتب ومحل التدريس ومحل اجتماع الإخوان للذكر. انتهى".

"له: "المقامات السعيدية"؛ رسالة بالفارسية في حالات أبيه ومقامه. توفي ليلة الاثنين لاثنتي عشرة خلون من محرم سنة إحدى وثلاثمائة وألف، فدفن بالبقيع بجنب قبر والده". انتهى منه.

قلت: وتلك المدرسة كانت زاوية كبيرة بالمدينة المنورة، اختلف المؤرخون للمدينة في تسميتها؛ فنجد ابن موسى في مخطوطته يسميها: "رباط الشيخ مظهر النقشبندي ولا أعظم منه رباطًا بالمدينة"، وفي موضع آخر من نفس المخطوطة يطلق عليها: "مدرسة الشيخ مظهر"، بينما أشار أيوب صبري بأنها تسمى: " مدرسة وتكية الشيخ مظهر"، وأما رفعت باشا فقد ذكرها تحت اسم: "تكية الشيخ مظهر"، بينما نجد باحثاً معاصراً قد عاين المبنى وذكر بأنه: "من الثابت طبقا للنص العربي المكتوب على مدخل المبني أنها: خصصت لإقامة الأحمديين أتباع الطريقة النقشبندية. وقد لوحظ في النص الفارسي المجاور للنص العربي وجود كلمة: خانقاه، مما يؤكد أن وظيفة المبنى هي: دار للتصوف، ولم تكن مدرسة، وأنه: يمكن اعتبارها تكية، وهو: الاسم الذي أطلق على الخانقاه في العصر العثماني".

بينما يرى آخر بأنها: "قد جمعت بين الرباط بمعناه وأهدافه، والزاوية وتعدد نشاطها، والخانقاه ودورها، والمكتبة وما تقدمه للنازلين فيها، والمدرسة وما تقوم به من جهود تعليمية، وأن هذا لا يتحقق لأي رباط آخر في المدينة المنورة". ومما سبق يتضح أن "مؤسسة مظهر الوقفية" هي: خانقاه، ورباطاً ومدرسة.

أنشأها الشيخ المترجم محمد مظهر الفاروقي النقشبندي عام 1292هـ/1875م في الجهة المعروفة باسم: زقاق المواليد بحارة الأغوات، وكان يطل على شارع الملك عبد العزيز بالطريق المؤدي إلى باب النساء بالحرم النبوي الشريف.

ومكتبة هذا الرباط كانت مشهورة حتى فترة قريبة، يتردد عليها الراغبون في الاطلاع على بعض النفائس التي تحتويها، وكانت تعد مكتبة عامة، يردها من شاء من طلاب العلم والمعرفة، فمنذ تأسيسها والشيخ محمد مظهر يقوم بفتحها يوميًا

للقراء، إلى جانب قيامه بالتدريس في باحة الرباط، واستمر ابنه من بعده على منواله في ذلك إلى أن صارت إلى حفيده الشيخ محمد مظهر، الذي استمر يفتح المكتبة يوميًا في وقت الصباح إلى ما قبل الظهر، ويستقبل بها من أراد الاطلاع والقراءة[1].

ثم حطمت تلك الزاوية – المدرسة في التوسعة الجديدة للحرم النبوي، ووضعت خزانتها في صناديق، وصورت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة مجموعة منها، وذلك ريثما يتم بناء مدرسة أخرى عوضًا عنها.

فالشيخ مظهر النقشبندي هو ابن أخي حافظ الهند والحجاز الشيخ عبد الغني الدهلوي المجددي، الذي كان – رحمه الله تعالى – أشهر من نار على علم في وقته. وهو عالم مصلح، كان له ولآل بيته أدوار مهمة في الهند والحجاز وغيرهما، فكلامه يستوجب الوقوف عنده والتأمل فيه، لا الأخذ بظاهره وتحميله غير مساره.

وقد كانت تربط الشيخ مظهر النقشبندي وعمه الشيخ عبد الغني الدهلوي روابط كبيرة بالمغرب، وبالكتانيين على الخصوص، وكان الشيخ عبد الغني يثني على المغرب والمغاربة، حتى ذكر تلميذه الشيخ الشريف محمد بن رشيد المغاري كما في "الرحلة السامية" للإمام محمد بن جعفر الكتاني عنه: "لو كنت مستوطنا غير المدينة ما استوطنت إلا فاسا، لأني رأيت أنوار الدين تلوح على أهلها، وتلوح على غيرهم ظلمات الدنيا!"[2].

وممن كانت تربطه روابط حميمة بالشيخ عبد الغني الدهلوي وابن أخيه الشيخ مظهر: شيخ صاحب هذين الرسالتين: الإمام أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني، مؤسس الطريقة المحمدية الكتانية، والزاوية الكتانية بفاس وغيرها، والذي كان يعتبر طريقته: شاذلية قادرية نقشبندية كما في بعض رسائله، واستمرت العلاقة إلى نجله الإمام أبي المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني

---

(1) المصدر: "أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة". بقلم: سحر بنت عبد الرحمن مفتي الصديقي ص130-133 ط1/1424هـ". مع بعض تصرف واختصار اقتضاهما المقام.

(2) "الرحلة السامية للإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية" تأليف: الإمام محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: د. محمد ابن عزوز، ود. محمد حمزة بن علي الكتاني، طبعة دار ابن حزم – بيروت.

– رحمهما الله تعالى – الذي أخذ عن كلا الشيخين، وأظنه هو الواسطة التي ذكرها الشيخ – رحمه الله – في مقدمة الرسالة، الذي راجع الشيخ مظهرا فيما نسب إليه. والشيخ عبد الكبير الكتاني هو والد الإمامين العظيمين أبي الفيض محمد الكتاني الشهيد، وعبد الحي الكتاني رحمهما الله تعالى.

وتلك المقالات المنسوبة للشيخ مظهر كانت استثارت ضجة في الحجاز، ومن العجيب أنني وقفت على رسالة من الشريف عمر بن محمد الصقلي الحسيني – من وجهاء وصلحاء فاس، وهو صهر الشيخ جعفر الكتاني، أخو إحدى زوجاته - إلى علامة سجلماسة وعارفها الإمام محمد العربي بن محمد الهاشمي العلوي المِدَغْري الحسني السجلماسي، يذكر فيها أن أعلام الحجاز أرسلوا لملك المغرب حينه، وهو: المولى الحسن الأول، ليستفتي علماء المغرب حول مقالات الشيخ مظهر، ما يدل على التواصل الذي كان بين علماء المشرق والمغرب في تلك الفترة، واستعانة بعضهم ببعض في مختلف النوازل الوقتية، كما يدل على الضجة الكبيرة التي أحدثتها مقالاته في المشرق حينه، فكان جواب الشيخ السجلماسي موافقا لجواب الشيخ جعفر الكتاني في هذه الرسالة، أو يكون جواب الشيخ جعفر مبنيا على جواب الشيخ السجلماسي ومستوحى منه[1].

وقد تضمنت رسالة الشيخ جعفر الكتاني – رحمه الله – أمورا من المعارف والفتوحات التي يعرف الله بها أولياءه من مقامات الصالحين والصديقين وأسرار ذلك، مما هو مشكل على من لا اعتقاد له في الصالحين ولطيف أنظارهم، وشريف فتوحات الحق تعالى عليهم. ولكن أشير في هذا المقام إلى كتاب قيم ألفه ابن أخي مؤلف هذا الكتاب: الإمام أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني – قدس سره – سماه: "الكمال المتلالي، والاستدلالات العوالي، في محاججة أهل التفريط والتغالي، وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا ينقطع بل متتالي"، مطبوع طبعة حجرية، استحضر فيه أدلة تلك المقامات من الكتاب والسنة.

بل للحافظ السيوطي – رحمه الله تعالى – كتاب سماه: "الخبر الدال، على وجود الأقطاب والأوتاد والأبدال" جعله مرجعا في هذا الأمر، فليرجع إليهما،

---

(1) انظر جواب السجلماسي في الملحق رقم 2 من هذا الكتاب.

ففيهما بغية وكفاية لمن سأل عن الحق.

ويكفي من هاته الرسالة أن العالم إذا ثبتت لنا عدالته، بظاهر حاله، وسبر أحواله، ونقلت لنا عنه أمور تنافي ذلك الظاهر، أو أقوال تناقض المتعارف عنه؛ أن نبحث له عن المخارج الشرعية، والتبريرات المرعية، وهو من باب اتخاذ الأعذار الذي أُمرنا به أولا، والاستزادة من العلم ثانيا.

ومحقق هاتين الرسالتين هو أخ عزيز علينا، وعالم ناشئ، محقق مدقق، عليه سيما الصلاح والنية الحسنة، الأستاذ عدنان بن عبد الله زهار، له تمكن من العلوم الشرعية، وممارسة للعلم والتعليم والبحث العلمي، ومثافنة للأذكار، وقد خدم هاتين الرسالتين خدمة جليلة مشكورة، أسأل الله تعالى أن يجعلهما في ميزان حسناته، ونورا له في الصراط، وأن يعم النفع بهما...آمين. والحمد لله رب العالمين.

وكتبه الفقير إلى الله الغنى:

محمد حمزة بن علي بن محمد المنتصر بالله الكتاني

في الجمعة التاسع والعشرين من شعبان الأبرك عام 1429

الرباط – المغرب

الفجر الصادق، المشرق المفلق

في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق

(رد على الطاعنين في المذاهب الأربعة، والعقيدة الأشعرية، والتصوف)

تأليف

شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني

(1246هـ- 1323هـ)

حققه

عدنان بن عبد الله زُهار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحق، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي فتح الله به المُغلَق، وعلى آله الأخيار وأصحابه الأبرار ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ يبعث الله الخلق.

وبعد؛ فقد كنت نقلتُ[1] عن الشيخ الحافظ أحمد ابن الصديق الغماري رحمه الله قولَه في "جؤنة العطار": "وقد صنف جعفر[2] الكتاني كتابا جاء فيه: الفصل الرابع عشر: تحريم العمل بالكتاب والسنة".اهـ

دون رجوع إلى الأصل المنقول عنه لتوثيق كلام الشيخ الغماري، وكان ذلك تفريطا مني وتقصيرا في البحث والتقصي، خاصةً وأن هذه العبارة الواردة فيها من الإثارة والغرابة ما يستحيل نسبتُه إلى عامة المسلمين فضلا عن إمام عظيم وعمدة من عمد الدين: الإمام سيدي جعفر بن إدريس الكتاني رحمه الله ونفعنا ببركاته.

وقد كان من أسباب ذلك التفريط في التوثيق أمور:

1-أولها: ولوعي - حينئذ - بمنهج المحدثين وطريقتهم، ونفوري من نظرية التقليد للأئمة ومتابعتهم، قبل أن يمُنَّ الله عليَّ بالاعتقاد فيهم والإيمان بضرورة اتباعهم وتقليدهم، بعدما راجعتُ جملةً من كلام الأئمة المهتدين، حماة الشريعة وأعمدة الدين، والذين لم يكن أغلبهم متصدرا للفتيا إلا على أصول مذهب من المذاهب الأربعة المتَّبعة، ولو بلغ في نفسه درجة الاجتهاد المطلق، ولم يخالفهم

---

(1) في تعليقي على رسالة "الأجوبة الصارفة لإشكال حديث الطائفة" للحافظ أحمد ابن الصديق ص 73، الحاشية رقم 1.

(2) هكذا قلت، وكان لزاما أن لا أذكر الإمام سيدي جعفر إلا بالتحلية التي تليق بمقامه من علم وشرف، كما وصفه وحلاه أئمة العلم في تراجمهم له وكلامهم في الثناء عليه، كما سيأتي مفصلا في باب ترجمته إن شاء الله تعالى.

إلا شرذمة من الظاهرية وأقوام من المبتدعة، تصدَّت لهم أقلام العلماء وألسنتهم، فبينَت خطأهم وشذوذهم.

2- اغتراري بظاهر العبارة التي نقلها الحافظ الغماري، مع ثقتي الكلية بمنقولاته.

3- عدم وقوفي على الأصل المنقول منه كلام الإمام سيدي جعفر الكتاني، خاصة وأن ذلك الكتاب لا يزال معدودا لحد الساعة في المخطوطات النادرة التي لم تر النور إلى عالم الطباعة.

فلما منَّ الله علي بالاجتماع مع الأخ الكريم العلامة الشريف سيدي حمزة بن علي الكتاني حفظه الله، أعلمني أن الكلام الذي نقلتُه عن الشيخ سيدي جعفر الكتاني خطأٌ فاحشٌ، مبتورُ الأولِ والأخير.

فطلبتُ منه إمدادي بالكتاب الذي نقل منه الشيخ الغماري عبارته، فأسعفني به كعادته وكرمه، فإذا الأمر كما قال هو لا كما زعَم الشيخ الحافظ أحمد ابن الصديق الغماري رحمه الله[1]، إذ عبارة الشيخ الكتاني رحمه الله هي كما يلي:

"الفصل الثالث: في أنه يحرم علينا الاستدلال بالكتاب والسنة على حكم من أحكام الدين وفروعه، لجهلنا بطريق الاستدلال وعجزنا عن تحصيل شروطه...".

هكذا قال رحمه الله، والحق ما قال...

فإن طرق الاستدلال ووسائل الاستنباط للأحكام الشرعية كثيرة متعددة، ذكرها الأصوليون في مصنفاتهم؛ ودونك بعضا منها:

o أولاً: معرفة القرآن الكريم. وهو أصل الشريعة، فيشترط في المجتهد أن يكون عارفًا بكتاب الله، وذلك بأن يكون له من العلم باللغة ما يعرف به معاني الآيات، وفهم مفرداتها ومركباتها وخواصها، فيستطيع بذلك أن يتدبر القرآن ويستنبط منه..وأن يكون - أيضًا - عارفًا بالعلل والمعاني المؤثرة في الأحكام،

---

(1) فإما أن يكون الشيخ الغماري دلس كلامه، وإما أن يكون نُقل إليه بواسطة ولم يتحقق منه...فسامحه الله وغفر له، ونحن نرجح الاحتمال الثاني إحسانا للظن به رحمه الله. وهو - وإن كان ممن استولى حبُّه على قلبنا - لكن الحق أحق أن يتبع، والباطل لا بد أن يزيَّف، لاسيما وأن فيه إلصاق تهمة عظيمة بشيخ من شيوخ الإسلام، وسامحنا الله على التسرع في النقل، وليعتبر كلُّ باحث من هذا...والله الهادي.

وأوجه دلالة اللفظ على المعنى، من عبارة وإشارة، ودلالة واقتضاء، ومعرفة أقسام اللفظ من عام وخاص، ومطلق ومقيد، ومشترك ومجمل، ومفسر ومحكم... ونحوها. وأن يكون عارفًا بأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ من الآيات، من حيث مواقعها، لا أن يجمعها ويحفظها، فقد جمعت وحددت.

o ثانيًا: معرفة السنة: وهي المصدر الثاني للشريعة، وهي الشارحة للقرآن، وقد تؤسس لأحكام جديدة، فيجب على المجتهد أن يعرف السنة على النحو الذي بيناه في معرفة القرآن، ولا يلزمه حفظ جميع الأحاديث، وإنما يكفيه أن يعرف أحاديث الأحكام بحيث يكون قادرًا على الرجوع إليها عند الاستنباط. قال الإمام الشوكاني: "والحق الذي لا شك فيه ولا شبهة، أن المجتهد لا بدّ أن يكون عالمًا بما اشتملت عليه المسانيد والمستخرجات، والكتب التي التزم مصنفوها الصحة...وأن يكون له تمييز بين الصحيح منها والحسن والضعيف، ولو بالبحث في كتب الجرح والتعديل، وكتب العلل، ومجاميع السنة التي صنفها أهل الفن؛ كالأمهات الستة".

o ثالثًا: معرفة اللغة العربية: يشترط لفهم القرآن والسنة واستنباط الأحكام منهما فهم قواعد اللغة العربية، وكيفية دلالات الألفاظ على المعاني، وحكم خواص اللفظ من عموم وخصوص، وحقيقة ومجاز وإطلاق، فمن لم يعرف أساليب الخطاب العربي لا يتمكن من استنباط الأحكام من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

o رابعًا: معرفة أصول الفقه: وهو عماد الاجتهاد وأساسه الذي تقوم عليه أركان بنائه، فإن دليل الحكم يدل عليه بواسطة معينة؛ ككونه أمرًا أو نهيًا، عامًّا أو خاصًّا، ونحوها من قواعد دلالات الألفاظ، ولا بدّ عند الاستنباط من معرفة تلك الكيفيات وحكم كل منها، ولا يعرف ذلك إلا في أصول الفقه. يقول الإمام فخر الدين الرازي مبينًا أهمية علم الأصول: "إن أهم العلوم للمجتهد: علم أصول الفقه". ويقول الإمام الغزالي: "إن أعظم علوم الاجتهاد: الحديث واللغة وأصول الفقه".اهـ.

o خامساً: معرفة مقاصد الشريعة، ليلتزم في اجتهاده بالأهداف العامة التي قصد التشريع حمايتها، والتي تدور حول: حفظ مصالح الناس، المتمثلة في الحفاظ

على: الدين والنفس والعقل والنسب والمال، ومراعاة مصالح العباد، إذ إن فهم النصوص وتطبيقها على الوقائع متوقف على معرفة مقاصد الشريعة. يقول الإمام الشاطبي: "...الأول: فهم مقاصد الشريعة، وأنها مبنية على اعتبار المصالح، وأن المصالح إنما اعتبرت من حيث وضَعَها الشارع كذلك، لا من حيث إدراك المكلف، إذ إن المصالح تختلف عند ذلك بالنسب والإضافات، فلا ينظر إلى المصالح باعتبارها شهوات أو رغبات للمكلف، بل ينظر فيها إلى الأمر في ذاته، من حيث كونه نافعًا أو ضارًا. ثم قال: إذا بلغ الإنسان مبلغًا فَهِم فيه عن الشارع قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها، فقد حصل له وصف، هو السبب في تنزله منزلة الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم، في التعليم والفُتيا والحكم بما أراه الله".

- سادسا: معرفة مواقع الإجماع: يجب على المجتهد العلم التام بمواقع الإجماع، حتى لا يجتهد أو يفتي بخلاف ما وقع عليه الإجماع، ولا يستلزم هذا حفظ جميع المسائل التي وقع فيها الإجماع، وإنما يكفي أن يعلم أن فتواه لا تخالف حكمًا مجمَعًا عليه.

- سابعا: معرفة أحوال عصره: لا بدّ للمجتهد من فهم أحوال عصره وظروف مجتمعه الذي يعيش فيه، ليتمكن بذلك من تكييف الوقائع التي يجتهد في استنباط أحكام لها، ويأتي حكمه عليها سليمًا، وفهمه لها صحيحًا، فالمجتهد كالمفتي لا بدّ له من معرفة واقعة الاستفتاء، ودراسة الظروف الاجتماعية المحيطة بها، والعوامل المؤثرة في الواقعة، وبذلك تكون فتواه معالجة للواقع القائم...الخ[1].

إذا تبين هذا؛ عرفتَ أن ادعاء الاجتهاد الفردي في زماننا باطل مردود، في حق مَن حصَّلَ مبلغا من العلم وجالس أهله وسمع مقالاتهم وتقريراتهم، وكان له نصيب من الذكاء في الفهم والتدبر والاستنباط، فما بالك بمَن انتصب للفتوى والاجتهاد، وسمح لنفسه أن يستخرج الأحكام من القرآن والسنة، وهو لا يستطيع التفريق بين الخاص والعام، ولا المطلق والمقيَّد، فضلا عن طرق الجمع بين

(1) منقول بتصرف من كتاب "الاجتهاد الجماعي في التشريع الإسلامي" للدكتور عبد المجيد السوسوه الشرفي.

النصوص أو الترجيح أو إلغاء أحدها، مع كثرة لحنٍ وقلة حفظ، مغترا كثيرٌ منهم بإمكانية تصحيح حديث أو تضعيفه بناء على اجتهاده هو، ظانا أن مجرد معرفة الطرق والأسانيد كاف في بلوغ درجة الاجتهاد، ومسوغ للاستقلال بالاستنباط من غير مرور على أقوال أهل السبق أو تقرير مذاهبهم وآرائهم...

والذي كان عليه ساداتنا العلماء الأفذاذ من تقليد الأئمة ومتابعة اجتهاداتهم أو من الاجتهاد تحت ظلال أصولهم؛ حقٌّ تعرض لنقضه بعضُ ظاهرية العصر، منهم طائفة دعت إلى الاجتهاد، فإذا الاجتهاد عندها هو عين تقليد أئمتها وشيوخها، والازدراء بالأئمة المتبَعين، وتحقير متابعتهم والتنقيص من مقلديهم...وهذه الطائفة سوَّت في النداء بالاجتهاد بين الذكي والغبي والعالم والعامي، فصار العلم في يد أراذل الناس بعد أن كان في صدور أهل الله وخاصته...

وقد تعدى ظلم هذه الطائفة إلى انتقاد اعتقاد جمهور الأمة وعظماء الملة، الذين دانوا الله قرونا طويلة بمعتقد إمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري رحمه الله.

قال السبكي في "طبقات الشافعية الكبرى"[1]: "واعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يُبدع رأيا ولم يُنشئ مذهبا، وإنما هو مقرِّرٌ لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقا وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه، فصار المقتدي به في ذلك، السالك سبيله في الدلائل؛ يسمى أشعريا".اهـ.

ثم قال في موضع آخر[2]: "قال المايُرْقي المالكي: ولم يكن أبو الحسن أولَ متكلم بلسان أهل السنة، إنما جرى على سنن غيره وعلى نصرة مذهب معروف، فزاد المذهبَ حجة وبيانا، ولم يبتدع مقالة اخترعها ولا مذهبا به. ألا ترى أن مذهب أهل المدينة نُسب إلى مالك، ومن كان على مذهب أهل المدينة يقال له: مالكي؟، ومالك إنما جرى على سنن من كان قبله وكان كثير الاتباع لهم، إلا أنه لما زاد المذهب بيانا وبسطا عزي إليه، كذلك أبو الحسن الأشعري لا فرق، ليس له في

---

(1) "طبقات الشافعية" 254/2.

(2) 367/3 من المصدر نفسه.

مذهب السلف أكثر من بسطه وشرحه وما ألفه في نصرته". اهـ.

ويقول الشيخ عز الدين بن عبد السلام في عقيدته: "واعتقاد الأشعري - رحمه الله - مشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون".

ويقول الشيخ قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب السبكي ما نصه[1]: "وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة في العقائد يد واحدة، كلهم على رأي أهل السنة والجماعة يدينون لله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري رحمه الله". ثم يقول بعد ذلك: "وبالجملة؛ عقيدة الأشعري هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها علماء المذاهب بالقبول ورضوها عقيدة". اهـ.

وقال الشيخ محمد العربي ابن التباني شيخ المالكية في الحرم المكي[2]: "فحول المحدثين من بعد أبي الحسن إلى عصرنا هذا أشاعرة، وكتب التاريخ والطبقات ناطقة بذلك". اهـ.

ويقول أبو الفتح الشهرستاني في كتابه "الملل والنحل"[3]: "الأشعرية - أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما، وسمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان يقرر عين ما يقرر الأشعري أبو الحسن في مذهبه". اهـ.

ويقول أبو عبد الله الطالب بن حمدون ابن الحاج السلمي المالكي في "حاشيته"[4] على شرح الإمام مَيّارة على "المرشد المعين" عن الأشعري: "إنه أول من تصدى لتحرير عقائد أهل السنة وتلخيصها، ودفع الشكوك والشبه عنها، وإبطال دعوى الخصوم". اهـ.

والنقول في هذا الباب كثيرة غزيرة، لكن هذه الطائفة رامت تضليل السادة

---

(1) "معيد النعم ومبيد النقم" ص 62.

(2) "براءة الأشعريين من عقائد المخالفين" ص 120.

(3) 94/1.

(4) ص 16.

الأشاعرة وإبدال آرائهم المنزِّهة لله عن كل نقيصة باعتقادات بدعية قبيحة...فأثبتوا لله الجهة والانتقال والاتصال والانفصال، وفسروا الاستواء بالجلوس، واليدَ والعين والوجه والساق وغيرها جوارحَ...الخ، ويزيدون على هذا أكذوبة أنه: فهم السلف، وباطل ما زعموا!.

فقد ذكر المُلا علي القاري في "شرح المشكاة"[1] اتفاق السلف والخلف على أن من اعتقد أن الله في جهة فهو كافر، كما صرح العراقي، وبه قال أبو حنيفة ومالك والشافعي وأبو الحسن الأشعري والباقلاني.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في "الفتح الرباني"[2]: "من اعتقد أن الله ملأ السماوات والأرض، أو أنه جسم قاعد فوق العرش؛ فهو كافر وإن زعم أنه مسلم".

وقال عبد القاهر البغدادي في "الفرق بين الفرق"[3]: "وأجمعوا على أنه: لا يحويه مكان ولا يجري عليه زمان"...

ليس هذا فقط، بل تطاولوا على أهل الله الأخيار، وانتقصوا مذهب الصوفية الأبرار، وزعموا أنهم ضلال فجار، وأنهم زنادقة مخرفون أشرار، ومتبعهم يموت على غير الملة، بئس ما زعم المتهوكون الأغمار...

بل التصوف غايةُ كلِّ متعبد ومقصد كل طائع متقرب، إذ هو التحقق بمقام الإحسان، الذي دعا له وأمر به القرآن، واتصف به سيدنا النبي العدنان، وهو الذي تحقق بمقاماته ساداتُنا آلُ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسيادنا الصحابة الكرام. ولا زال أهل الفضل والعلم يعتقدون فيه وفي أهله، ويتمسكون بمبادئه، ويدعون إلى أصوله وطرقه، إلا من حُرم خيرَه وطرد من حوضه، لا حرمنا الله لذة الروي من بحار معارفه وحقائقه وأسراره.

قال الإمام القشيري: "اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتَسَمّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية عَلَم سوى صحبة الرسول صلى الله

---

(1) 300/3.

(2) ص 138.

(3) ص 333.

عليه وسلم، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم: الصحابة. ولما أدركهم أهل العصر الثاني سمي من صحب الصحابة: بالتابعين. ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين: الزهاد والعباد. ثم ظهرت البدعة، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله - سبحانه وتعالى - الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف. واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة".اهـ.

سبب تأليف كتاب
"الفجر الصادق"

وهذا الكتاب النفيس وقفة علميةٌ لأحد أعلام الأمة في الأزمنة المتأخرة مع بعض مدعي الاجتهاد، ودعاة تضليل أكثر علماء الأمة في الاعتقاد، ومنكري التصوف من غير تمييزٍ بين خُلَّص أهله من أهل الخرافة والزندقة والإلحاد...

فقد عاد الشيخ العلامة[1] عبد الله بن إدريس بن محمد السنوسي من بلاد المشرق متشبثا بالفكر النجدي، داعيا إليه، مخاصما دونه، ومجتهدا لنشره، فعقد المجالس حاكما فيها بالشرك على زوار القبور، وبالضلال على حاملي السُّبَح، مسفها أحلام كبار أعلام الأمة المتقيدين بمذهب الإمام مالك، مُبَدِّعًا الأشاعرة ومضللا أصولهم ومبادئهم...وشهَّر مذهبه وأعلنه مخاصما لذلك أهل بلده، ومُشهِرًا سيف المبارزة على علماء عصره.

فما لبث أن سمع الناس بدعوته حتى سال في الرد عليه مدادٌ كثير، وصُنِّفت في بيان شذوذ رأيه مؤلفات بين كبير الحجم وصغير، فمنها: ما كان مجردَ سباب وتفسيق وتشهير بالمعانِد، ومنها: ما كان مجردا عن ذكر الدليل في إقناع المخالف، فلم يُحصِّل أحد من النوعين المرغوب، ولا بلَغ واحد منهما المطلوب.

لكن، سطرت أنملةُ الشيخ الإمام أبي المواهب سيدي جعفر ابن سيدي

---

(1) هو العلامة عبد الله بن إدريس بن محمد بن أحمد السنوسي، ولد عام ستين ومائتين وألف (1260هـ)، قال عنه ابن سودة في ترجمته من "سل النصال" 3005/8 (من موسوعة أعلام المغرب): "الحافظ الحجة المشارك المطلع سلفي الاعتقاد، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ؛ منهم: عبد السلام بوغالب، وأحمد بن محمد بناني، ومحمد كنون الكبير، والمهدي ابن الحاج وغيرهم...كان أحد الذين يسردون "صحيح البخاري" عند السلطان مولاي الحسن، وكان يميل إلى الاجتهاد ولا يقول بكتب الفروع ومؤلفيها، ويزري عليهم إزراء بليغا، وكان ينتقد التصوف وأهله، حتى اتهم بإذاية الأولياء. قال في حقه العلامة عبد الحفيظ الفاسي: وكان المترجم - رحمه الله - جيد الحافظة، فصيح العبارة، حسم الإشارة، عظيم الهمة، أبي النفس، أبي الدعابة، مستطاب الفكاهة، منور الشيبة، مهاب النظرة، حسن النضرة...توفي رحمه الله يوم الأربعاء رابع جمادى الأولى عام خمسين وثلاثمائة وألف (1350هـ). ترجمته في "إتحاف المطالع" 458/2، وفي "معجم الشيوخ" لعبد الحفيظ الفاسي ص 198.

إدريس الكتاني رضي الله عنه، جوابا عن دعاوى الشيخ السنوسي، أوجز فيه العبارة، فأعجز وأوفى، وجمع فيه المُفرَّق من المسائل فأوعى، وقسم جوابه الرصين تقسيما بديعا لطيفا ذكيا، فأحسن وأبدع وأرضى.

ذلكم هو كتابه المفيد الرائع: "الفجر الصادق، المشرق المفلق، في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق".

فإليك لمحة موجزة عن هذا العلَم الشامخ، مستخرجة من كتب التراجم والتاريخ، قبل العودة إلى كتابه النافع الدامغ...

ترجمة المؤلف رحمه الله

مظان ترجمته:

اعتنى بترجمة الإمام المؤلف رحمه الله جماعة من أهل العلم والفضل فمنهم:

- ✓ المحدث الحافظ محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في "فهرس الفهارس" 186/1.
- ✓ العلامة الفقيه المؤرخ محمد بن محمد مخلوف في "شجرة النور الزكية" 1 /433.
- ✓ العلامة المحدث عبد الحفيظ الفاسي في "معجم الشيوخ" ص 131.
- ✓ العلامة عبد السلام بن سودة في "إتحاف المطالع" 365/1.
- ✓ العلامة محمد بن الحسن الحجوي في "الفكر السامي" 307/2.

وغيرهم ممن ذكرهم الأستاذ العلامة حمزة بن علي الكتاني في مقدمة تحقيقه لكتاب "الدواهي المدهية للفرق المحمية".

اسمه ونشأته:

أبو المواهب وأبو الفضل[1] جعفر بن إدريس الكتاني، العالم المتقن المطلع الصالح، مفتي المغرب وشيخ الجماعة بفاس، ينتهي نسبه الشريف إلى أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب علي السلام وسيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام.

ولد رحمه الله عام 1246 هـ بمدينة فاس، حيث نشأ في بيئة علمية غنية زاخرة، من صلب إمام عالم مجاهد، محتسب صوام، متصدق مدرس؛ الإمام سيدي أبي العلاء إدريس بن الطايع الكتاني رحمه الله.

عُرف بنبوغه المبكر، فتصدر للتدريس وهو في مقتبل العمر بجامع القرويين والزاوية الكتانية كما، اشتغل في العدالة في سماط العدول، وتولى الخطابة والإمامة بجامع الرصيف وجامع أبي الجنود ومسجد...الحوت وغيرها...

---

(1) هكذا كناه العلامة عبد الحفيظ الفاسي في "معجم الشيوخ" ص131 ترجمة رقم 55.

شيوخه:

من مشايخه الكثر[1] الذين أخذ عنهم الحديث والفقه، وأصول الفقه واللغة، والنحو والبلاغة والتصوف والمنطق والكلام، وغير ذلك:

- الأستاذ الصالح أبو عبد الله محمد بن عمر الريفي، الذي قرأ عليه القرآن بروايات متعددة.
- إمام الأئمة أبو المفاخر محمد بن عبد الواحد بن أحمد الكتاني.
- الإمام الحافظ عبد الله بن العربي العراقي المسمى: الوليد.
- الإمام محمد بن عبد الرحمن العلوي.
- شيخ الجماعة عبد السلام بن الطائع بوغالب الجوطي.
- العلامة الأديب المحدث مَحمد بن حمدون ابن الحاج السلمي.
- العلامة اللغوي أحمد بن محمد المرنيسي.
- العلامة محمد بن سعد التلمساني.
- العلامة القاضي عبد الهادي بن عبد الله العلوي.
- الإمام أحمد بن أحمد البناني...وغيرهم.

تلاميذه:

تلمذ للشيخ الإمام سيدي جعفر الكتاني أكثرُ أهل عصره، واستفادوا منه مشافهة ومراسلة، نذكر منهم:

- ✓ الإمام المحدث محمد بن جعفر الكتاني المعروف.
- ✓ الإمام أحمد بن جعفر الكتاني صاحب شرح البخاري.
- ✓ العلامة المحدث الأديب عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، وهو مصحح النسخة التي اعتمدتها في التحقيق.
- ✓ العلامة الفقيه عبد العزيز بن جعفر الكتاني.
- ✓ الفقيه العابد الناسك الحسين بن جعفر الكتاني[2].

---

(1) ذكرهم في فهرسته "إعلام الأئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من المرويات وأسانيدها"

(2) وهؤلاء الخمسة المذكورون هم أبناء الإمام سيدي جعفر، ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ﴾.

- ✓ الإمام المجدد الختم سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد.
- ✓ الحافظ الحجة العارف سيدي عبد الحي الكتاني.
- ✓ الإمام العلامة أحمد بن محمد ابن الخياط.
- ✓ الإمام الفقيه النوازلي المهدي بن محمد الوزاني.
- ✓ العلامة المحدث محمد المدني ابن جلون.
- ✓ الإمام المربي محمد بن الصديق الغماري.
- ✓ العلامة الفقيه محمد بن الحسن الحجوي.
- ✓ العلامة عبد الحفيظ الفاسي الفهري..وغيرهم...

حاله:

قال عبد الحفيظ الفاسي في "معجم الشيوخ"[1]: "كان - رحمه الله - من أشهر علماء فاس وأكبر أصحاب الأقدار، إماما بصيرا بالمذهب وفروعه، ضابطا لقواعده، صحيح النظر، قوي الحجة، واسع الاطلاع، بعيد الغور، مرجوعا إليه في حل المشكلات، مقصورا عليه في دفع الشبهات، صحيح النقل، أصيل الضبط، متقنا ثقة، مأمونا مشارا إليه في المغرب حفظا وعناية ونزاهة، ومحافظا على العمل، مكبا على النظر، دؤوبا على التأليف، مع الدين المتين، والنهج على سُنن المهتدين، والخشوع والوقار، والتواضع والخضوع، على جلالة قدره؛ طلق الوجه، حسن البشرة، كريم العشرة، خاشع القلب، سريع الدمعة، متباعدا عن الرياء والسمعة"...اهـ

لُقِّب بمالك زمانه؛ لسعة اطلاعه على أصول وفروع المذهب المالكي، الذي بلغ فيه درجة حافظ المذهب. كما كانت له اختيارات خارجة عن المشهور، وترجيحات وتصحيحات تُعرف في تآليفه، فضلا عن التي تلقفها مِنه مجالسوه وطلابه مشافهة.

عرض عليه السلطان أمير المؤمنين مولاي الحسن الأول - رحمه الله - القضاء مرارا ورفضه، كما كان السلطان المذكور لا يقبل فتوى ما لم تكن بتوقيعه، وتحت نظره وتقريره.

أما في الحديث؛ فقد قال عنه الشيخ سيدي محمد المنتصر الكتاني: "بالنسبة

(1) ص 131 ترجمة 55.

له ولزمانه يعد حافظا في الحديث".اهـ.

قلت: وهذا ليس ببعيد؛ فقد قرأت له كتابا فريدا في بابه، عجيبا في لبابه، برهن فيه على تبحره في علوم الحديث حفظا وفهما واستنباطا وصناعة، وهو كتاب: "مواهب الأرب، المبرئة من الجرب، في السماع وآلات الطرب"، لا تساوي الكتب التي صُنفت في موضوعه معه شيئا، وهو بيد أخينا العلامة سيدي حمزة الكتاني للتحقيق، عجل الله بظهوره.

وكانت له مشاركة واطلاع وتوسع في كثير من العلوم الإسلامية الأخرى، فضلا عما رزقه الله من أخلاق وعبادة، تُعرف في الكتب المترجِمة له رحمه الله ورضي عنه.

مؤلفاته:

له مؤلفات كثيرة، متقنة نفيسة، كما قال العلامة عبد الحفيظ الفاسي[1] قاربت المائة، ذكر أغلبها في مشيخته: "إعلام الأئمة الأعلام"، منها:

- ✓ إعلام أئمة الأعلام وأساتيذها، بما لنا من المرويات وأسانيدها. مطبوع بدار ابن حزم بتحقيق الدكتور محمد بن عزوز.
- ✓ أحكام أهل الذمة. مطبوع بدار البيارق ثم بدار الكتب العلمية بتحقيق الدكتور حمزة بن علي الكتاني.
- ✓ إتحاف الطالب الحاذق اللبيب، بما يحصل العلم الرطيب الرحيب. طبعة حجرية.
- ✓ أمور تتعلق بشهر ذي الحجة.
- ✓ الألبان المودعة في القوازيز في حكم الله في استعمال الحناطيز. طبعة حجرية.
- ✓ أرجوزة في ترجمة شيخه الإمام أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني.
- ✓ رسالة في ما يفعل في العشر الأوائل من ذي الحجة من السنن، وأحكام الأضحية.

---

(1) في "معجم الشيوخ" ص 133.

- ✓ الآيات التمامات فيما يتعلق بالحمامات.
- ✓ رسالة في أحكام الخضاب.
- ✓ إتحاف نجباء العصر بالجواب عن المسائل العشر.
- ✓ تأليف في تحتم المد الطبيعي في تكبيرة الإحرام والسلام.
- ✓ تأليف في حديث: "إن الله يبغض أهل البيت اللحِمين". مطبوع بدار الكتب العلمية بتحقيق الدكتور بدر العمراني.
- ✓ تأليف في عدم إقامة الذميين حاكما منهم بينهم، طبع مع "أحكام أهل الذمة".
- ✓ تقييد فيما ورد في طلب العلم وآدابه.
- ✓ تأليف فيمن قال: "والله لا أرضى بربط حميري في جنة الفردوس". طبع مع "أحكام أهل الذمة".
- ✓ تأليف في حكم التدخين.
- ✓ تفسير الفاتحة.
- ✓ تحفة بعض الجلاس النبهاء الحذاق الأكياس بما ينفي بحول الله الوسواس ويزيل الشك والوهم والالتباس.
- ✓ تأليف في ذم الدنيا.
- ✓ تأليف في أن الأمة التي لا يصح تملكها شرعا هي: المسبية من بلاد الكفار.
- ✓ تأليف فيمن أمه شريفة وأبوه ليس بشريف.
- ✓ تأليف في نسب الشرفاء الصقليين الحسينيين.
- ✓ تذكير لبيب الحي فيمن حفر قبره وهو حي.
- ✓ الترهيب من خطة القضاء.
- ✓ جواب عن مقالات مظهر النقشبندي.
- ✓ حواش على صحيح البخاري.
- ✓ حاشية على جامع الترمذي.
- ✓ حكم الصابون والشمع والكبريت المجلوب من بلاد الكفار وحكم خياطتهم. طبع بدار الكتب العلمية بتحقيق الدكتور الشريف حمزة الكتاني رفقة "أحكام أهل الذمة".

- ✓ حقيقة الحقائق في مولد الشفيع المشفع وخير الخلائق.
- ✓ حل العقال عن مسألة الطي والوصال.
- ✓ حاشية على شرح الإمام التاودي ابن سودة على الزقاقية في القضاء والفتيا.
- ✓ الحكم بثبوت شهر رمضان يعم بشرط عدم البعد جدا، وأنه لا يثبت بقول المنجم.
- ✓ حكم الحَكَم العلام في دخول النهر والحمام.
- ✓ الخابورا فيما يتعلق بيوم عاشورا.
- ✓ ختمة البخاري. طبعت بدار الكتب العلمية باعتناء الأستاذ رضوان أخرفي.
- ✓ ختمة مسلم.
- ✓ ختم الموطأ.
- ✓ ختم سنن أبي داود.
- ✓ ختم "المرشد المعين" في الفقه.
- ✓ ختم "الأجرومية" في النحو. طبع على الحجر.
- ✓ الدواهي المدهية للفرق المحمية. -طبع بدار البيارق، ثم بدار الكتب العلمية، باعتناء الشريف سيدي حمزة الكتاني، وتخريج أحاديثه بقلم العلامة الحسن بن علي الكتاني.
- ✓ الدِراك فيما يتعلق بالسواك. طبع بدار الرشد بالرياض.
- ✓ الرد على القسطلاني في مسألة قدم البحر. طبعة حجرية.
- ✓ رسالة في حكم الجبن المجلوب من بلاد النصارى.
- ✓ الرياض الريانية في الشعبة الكتانية.
- ✓ سلسلة الذهب المنقودة في أن الاستطاعة إلى الحج بالنسبة لأهل المغرب مفقودة.
- ✓ سهام الإصابة لأهل الحرابة.
- ✓ شرح الأجرومية في النحو.
- ✓ شرح منظومة المرادي.
- ✓ شرح تائية الشيخ عمر الصقلي في الأدب والسلوك.
- ✓ شرح بيتين لابن العربي الحاتمي.

- الشرب المحتضر، والورد المنتظر، من معين رجال القرن الثالث عشر. طبع بدار الكتب العلمية بتحقيق الدكتور الشريف حمزة الكتاني.
- العرايا فيما يتعلق بالضحايا.
- الغيث المدرار، والسر العمار، فيما يتعلق باسم النبي المختار، المكتوب على صناديق النار، جرأة وجسارة من الفجار، أعداء الله ورسوله الكفار. طبع بدار ابن حزم بلبنان، بتحقيق الدكتور محمد ابن عزوز.
- الفجر الصادق المشرق المفلق، في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق. وهو كتابنا هذا.
- كتاب فيما يتعلق بسدنة الكعبة.
- المناصحة فيما يتعلق بالمصافحة. طبعة حجرية.
- مواهب الأرب، المبرئة من الجرب، في السماع وآلات الطرب. يعتني به أخونا الدكتور حمزة الكتاني.
- النهي عما يعمل بالمساجد من المنكرات والبدع ليلة 27 رمضان...

وغير ذلك من الكتب المفيدة، وأنت ترى أن المصنفات في فقه النوازل خصوصا، والفقه عموما، لها حظ وفير في اهتمام الشيخ رحمه الله، وهو ما يفيد أنه كان فقيها ابن بيئته، لا جامدا متعصبا كحال كثير من أبناء عصره .

وفاته:

أصيب الإمام سيدي جعفر في آخر عمره بداء السكري، عانى منه الشدائد ستة أشهر، حتى لبى نداء باريه عز وجل عشية يوم الجمعة حادي وعشري (21) شعبان عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف (1323).

وقد أرخ ابنه الأديب سيدي عبد الرحمن الكتاني وفاته ببيتين، قال فيهما:

مـذ قـضى نحـبه إمـام المعالـي ... قطب أهـل الكمـال فـي كـل مظهـر

قـيل: أرخ، قلـت: أرخـتُ: حـي ... فـي جـنان الخلـود مـولاي جعفـر

وقال مؤرخا أيضا:

لمـا دعـا جعفـرَ الرضـا داعـيةْ ... إلـى جـنان قطـوفُها دانـيةْ

أرخـت إذ ذاك قـائلا إنمـا ... مـثواه حقـا بجـنة عالـية

هذا الكتاب:

كما أسلفتُ الذكر، فإن كتاب "الفجر الصادق" يعتبر أحد الردود العلمية على دعوة الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي إلى الفكر السلفي النجدي، الذي ينبني على إنكار المذهبية، وتضليل الأشاعرة، وتكفير الصوفية.

فكان الموضوع الإجمالي لكتابنا هذا هو: البحث في هذه النقاط الثلاث، حيث توسع الإمام المؤلف - رحمه الله - في كلٍّ واحدة منها، ووفاها حقها من حيث التعريفات والنقولات والمحاورات...

وأول ما يثير انتباه القارئ؛ هو: أن المؤلف – وإن ذكر أن سبب تأليفه هو: الرد على بعض المبتدعة من صغار الطلبة - فإنه لم يسمه أولا، ولم يجعله كتاب مناظرة ولا مجادلة، ولكنه اختار طريقة التأليف المنهجي، حتى لا يبقى البحث منحصرا في رد أقوال المخالف، فتضيعَ فوائد كثيرة...

فبنى - رحمه الله - خطة تأليفه على: تمهيد ومقدمة، وسبعة فصول، وخاتمة. مما يُبعِد الظن في أنه ردٌّ على الشخص، بقدر ما هو بيانُ لحقائق، وتوضيح مغلقات، ورفع إشكالات، ودفع شبهات...ولعلك تدرك ذلك لما ترى أن الإمام المؤلف، الوديع المهذب؛ لم يسَمِّ المردود عليه الشيخ عبد الله السنوسي ولا أشار إلى تعيينه...حتى يبقى الجواب بحثا علميا خالصا، لا دخل فيه للخصومات الشخصية، والنزاعات الفردية، كحال كثير من المؤلفين والرادين...

قلت: وهذه طريقة حسنة قلَّ من يتصف بها من أهل التأليف، خاصة في باب الردود، حيث غلبت الخصومات الفردية والنزاعات الثنائية، حتى صار كثيرٌ منها عبارة عن خزانات قذف ولعن وتشهير، وقواميس سباب وشتائم وتحقير.

لكن من غلب عليه خوف الله، وإخلاص العمل له؛ فإن ردَّه لا يعدو أن يكون مبنيا على حدود الأدب واللياقة، والشفقة على المردود عليه، والرحمة واللين في محاورته، عوض أساليب التبديع والتفسيق التي ليست من الجدال بالأحسن في شيء، كما سيقرره المؤلف - رحمه الله - في الباب الرابع من هذا الكتاب، فعليك به.

ومنهج المؤلف - عليه من الله الرحمة والرضوان - يميل إلى أسلوب

التحرير الذي يغلب عليه النقل، وليس ذلك قصورا في التقرير، أو تقصيرا في التصور والتصديق، بل هو من باب الاحتماء في الإقناع برأي الجمهور وما عليه الجماعة. كما أن له فائدة أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها؛ وهي: جمع النقولات الكثيرة للمسألة الواحدة في تصنيف مستقل، خاصة من كتب عزيزة ورسائل نادرة، مما يعتبر نوعا آخر من أنواع التأليف التي جمعت تراث الأمة الضائع المفقود، وحافظت عليه ووثقته.

فكم هي كتب الإسناد التي ضاعت وما حَفظت رواياتها إلا كتب التخريج والزوائد، من ذلك: الضائع من "صحيح ابن خزيمة"، و"تاريخ نيسابور" للحاكم، ومسانيد بقي بن مخلد...وغيره، ولولا كتب المنذري والعراقي والحافظ والبوصيري، والزيلعي والهيثمي والسيوطي...وغيرهم؛ لكانت في عداد المعدوم...

وكم ضاعت كتب التفسير أو ما قيل في آيات الكتاب الكريم لولا "جامع" الطبري، وتفسير البغوي، وتفسير النسفي...وغيرها.

وكم ضاعت أقوال وتحقيقات أئمة المذاهب لولا الكتب التي عنت بجمع السماعات والروايات عن تلاميذهم، مما سد ثغرة فقهية واسعة...

وقُل مثلَ ذلك في كل فن وعلم...فما جُمع في هذا الكتاب من النقولات يكون بمثابة حسنة زائدة من حسنات المؤلف - رحمه الله - على العلماء والطلاب، فجزاه الله خيرا...

وفائدةٌ ثالثة من فوائد منهج التحرير النقلي: كونُ الإمام المؤلف - رحمه الله - آثر النقل عن الغير، ولربما عن مَن هم أقل منه منزلة في العلم، تواضعا واحتياطا وتورعا، خاصة في موضوع ذم ادعاء الاجتهاد والتَّقَوُّل في دين الله بلا علم، فكأني به يضرب المثل في موضوع كهذا بطريقته في عرضه. وإن كنا نُقرر أنه فعل ذلك تواضعا، إذ قد مضى أنه: بلغ درجة مجتهد الفتوى، وشيخ الجماعة، مما يؤهله للخوض في مسائل علمية دقيقة بما آتاه الله من وسائل استنباط وسعة اطلاع وفطنة وذكاء...

يدلُّ على ذلك غير هذا الكتاب من تصانيف الإمام الجبل سيدي جعفر الكتاني نفعنا الله به، حيث التحرير والتقرير، والمباحثة والمحاورة، والتصحيح والاستدراك، والتعليق والتدقيق؛ ككتاب "الدواهي المدهية للفرق المحمية"، وكتاب

"مواهب الأرب" الذي فيه من التحقيق ما يحتمله موضوعه، مما يؤكد ما شرحنا به منهجية المؤلف في هذا الكتاب.

والذي لا تخلو فقرةٌ أو فقرتان منه إلا ويورد لكلامه شاهدا أو أكثر من القرآن الكريم، وأحاديث النبي الأمين، ثم يتبعه بتفسير من معتَمَد كتبِ أهل السنة والجماعة، ثم يُردف ذلك بأقوال أهل العلم المعتبَرين، عازيا إلى مظانهم، معقبا عليهم بما يزيد قولهم فائدة...في أسلوب رائع رائق، يثير القارئ، ويأخذ بمجاميعه، حتى لا يطوي دفة الكتاب إلا وقد انتهى من مطالعته.

يذكر الإمام المؤلف الأحاديث - في الغالب - معزوة إلى مَن أخرجها من أصحاب كتب الرواية، وربما ذكر أخبارا مرفوعة لم نقف على مظانها، مما يدل على سعة اطلاع، ووقوف على نفائس كتب السنة، أو ما نقل عنها مما ضاع أو نَدُر.

وترويحا على المطالع؛ فإن المؤلف - رحمه الله - يورد حينا فحينا أبياتا شعرية رقيقة، وأمثلة عربية فصيحة، موضوعةً في سياق حديثه وبحثه، وهذه الطريقة - أيضا - مُرضية مقبولةٌ مستحسنة، شح بها جمعٌ من مؤلفي الزمان، أو لعلها شحت عنهم...إذ بها تُحفظ المسائل الكثيرة في أبيات أو عبارات قليلة أنيقة، وتنقُل القارئ من لون إلى لون إذهابا لملله واستجماعا لذهنه، وتثَبِّتُه على اللغة الفصيحة والتعبير السليم...

* فمَهَّدَ - رحمه الله - لكتابه ببيان سبب تأليفه الذي هو: ظهور دعوة الشيخ عبد الله السنوسي النجدية بالمغرب الأقصى، المالكي الأشعري الصوفي، مُبَيِّنا أنها دعوة ودعوى سبق إليها ابن حزم الظاهري الذي اشتد نكير أهل العلم عليه، وردوا عليه نهجه وخطؤوه في مذهبه .

* ثم عقد مقدمةً مهمة في خطورة الخروج عن الجماعة، فكرا وعملا وسلوكا، مبينا أن الحق هو: ما اجتمع عليه، والباطل هو: الشاذ المنفرد.

* وأعقبه بفصلٍ أولٍ ذكر فيه فضيلة الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم عموما، وحذر من الخوض في أعراض المسلمين بأدنى شبهة، قبل أن يُذَكِّر بأقوال مَن صرَّح بوجوب الحدِّ على من انتقص أحدا من الأئمة. مبتدئا في الدفاع عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله، وعقيدته التي دان اللهَ بأصولها وفروعها أكثرُ الأمة قرونا طويلة، إلا من شذ، عافانا الله من بلائه. مثنيا بإثبات الصواب لاجتهاد الأئمة

المتبعين، وأنه عين الشريعة، حيث إنه لا يشك ذو بصيرة وفهم أنهم إن لم يكونوا هم الأولياء فلا ولاية في الكون. مثلثا بذكر فضيلة الأئمة المتبعين في الأمصار والأقطار، وعبر العصور والأزمان: مالك والشافعي وأبي حنفية رحمهم الله، واحدا واحدا، وكونهم حماة الإسلام وحصن الشريعة.

ولا بد أن أُنَوِّه هنا بالترتيب الذي اختاره الإمام المؤلف في سوقه فضائل الأئمة الثلاثة، إذ لم يذكرهم حسب الترتيب الزمني، حيث إن أبا حنيفة هو من يُبدأ به عادة؛ لتقدم وفاته عن مالك، ثم تقدم مالك عن الشافعي.

لكنه بدأ بمالك الذي هو إمام مذهبه، وهو من الوفاء وحسن العهد من جهة، ولأنه يبدأ به تبركا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي وُلد ونشأ ومات وأقبر فيها رحمه الله، سيرا على طريقة الحافظ أبي عمر ابن عبد البر النمري - رحمه الله – في: "الانتقاء لفضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء"، ثم الشافعي؛ لأنه امتداد مذهب مالك، وخريج مدرسته، فأقرب المذاهب وأشبهها بمذهب إمام دار الهجرة هو: مذهب الشافعي، على ما بينهما من اختلاف فروعا وأصولا...ثم أبو حنيفة النعمان بن ثابت؛ عودا إلى سبقية الزمان، ولأنه هو ثالث ثلاثة.

ولم يذكر الإمامَ أحمدَ بن حنبل - رحمه الله - لأن المحققين من الفقهاء والمؤرخين والمحدثين لم يعتبروا مذهبه مذهبا مستقلا، مقابلا لمذاهب الأئمة الثلاثة، وإنما هو عين مذهب الشافعي لمَن قال بذلك، أو أنه مذهب غلب على ظهوره سببُ السياسة أكثر من الأسباب الموضوعية المعقولة التي نشأت بها باقي المذاهب وانتشرت.

وفي الفصل نفسِه عرض – انتقالا من العام إلى الخاص – للحديث عن مختصر الشيخ خليل بن إسحاق الجندي، الذي ازدرى به المنكرون للمذهبية، والمعترضون على منهج الاختصار وتقريب الفقه للطلاب، وأن هذه وسيلة من وسائل حفظ الشريعة.

* أما الفصل الثاني من كتاب "الفجر الصادق"؛ فخصه لبيان الضرورة الدينية الشرعية للتقيد بمذهب من المذاهب المتبعة في الأزمنة ما بعد القرون الثلاثة الأولى.

وإني لأستغرب من التناقض الغريب العجيب الذي وقع فيه دعاة التقيد بفهم

السلف وإلزام الناس بتقديم آرائهم على آراء غيرهم، وتضليل مَن لم يسلك هذا المسلك، مع إنكارهم المطلق للتقليد، وخصومتهم الصارخة للمذهبية.

والتناقض والانفصام في هذا الفكر المضطرب إنما أتى من حيثُ إن دعوتهم لفهم السلف إما أن تكون فيما اتفقوا عليه، وإما أن تكون فيما اختلفوا فيه. أما المتفق عليه؛ فهو المسمى عندنا: إجماعا، نعتقد ضلال وزندقة مخالفه، فلا إشكال في هذا .

لكن يبقى الإشكال في صورة تعاملنا من جهة ما اختلفوا فيه، فإما أن تُلزم الأمة بمجموع مفاهيم وآراء لا حدَّ لها مما مُلئت بها كتب الخلاف في التوحيد والأحكام، وهو عين الحمق والخبل، وإما أن تلزم باتباع فهم دون آخر، وهذا أقرب إلى القبول.

فحيثما قالوا: نميل مع الدليل حيث كان، ونقول بالرأي المدعَّم بحجة ونترك غير المحتج له، قلنا لهم: "وهو عينُ ما رأينا ودعونا إليه من وجوب التقليد، والمتابعة لإمام من الأئمة المعتبرين، وبناء الاستنباط على أصولهم وطريقتهم.

فزِدنا على هذا أننا لم نسجن أنفسنا في الأدلة التفريعية الجزئية التي الخلاف فيها بحرٌ لا شاطئ له في أي فن من الفنون وعلم من العلوم، بل انحصر اتباعُنا للأئمة على ضوء أدلتهم العامة في طرُق الاستنباط واستخراج الأحكام المدلَّلة بأدلتها الفرعية. ومن فوائد هذه الزيادة عندنا: أن يكون هناك مجتهدون داخل المذهب ربما رأوا الصواب في مسألة ما في غير مذاهبهم فقالوا به اعتمادا على أصل مراعاة الخلاف المقررة في كل المذاهب، وعملا بمقتضى كلامهم القاضي بترك كل قول لهم مخالف للدليل، مما هو مشهور معروف.

فإن قالوا: لِم هؤلاء الأربعة دون غيرهم؟.

قلنا: لأن الأمة قاطبة اتفقت على صحة أصولهم المعتمدة، ولا عبرة بمن شذ فأنكر وخرج عن الجماعة.

وفي الفصل الثاني - دائما - يعرض المؤلف - رحمه الله - أقوال أهل العلم الذين قطعوا بمنع تقليد غير الأئمة الأربعة، لتعذر المجتهدين – الاجتهاد المطلق – بعدهم، وصعوبة بلوغ درجة الاجتهاد، خاصة في الأزمنة المتأخرة.

والفصل الثالث من "الفجر الصادق"؛ هو: للتحذير من الإقدام على الكلام

في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دون استجماع الشروط اللازمة وتزكية أهل العصر من العلماء على بلوغ تلك الدرجة، منبها على أمر في غاية الأهمية سها عنه كثيرٌ من مدعي الاجتهاد في هذا الزمان، وهو: أن الاغترار بمعرفة علم الحديث رواية وإسنادا يوقع صاحبه في الضلال والإضلال، كما صرح به جمعٌ من علماء السلف وفقهائهم ومحدثيهم.

فلقد أكرم الله أهل هذا العصر بالانفتاح على علوم الرواية وتوفر المؤلفات المسندة وكتب التخريج، بحيث صار علم الحديث شغَفَ أكثر الطلاب، وتخصصَ جمْعٍ من العلماء، لكن زعم بعضُهم أن مجرد معرفة الصحيح من الضعيف يكفي في الجرأة على الاستنباط واستخراج الدليل وتشهيره، وإلزام الناس به لا لشيء إلا لأنه صحيحٌ سندا، وانتقدوا أحكاما وأنكروا أقوالا وخالفوا فقهاء وسخروا من علماء لا لشيء إلا لأن الحديث الوارد المعتمَد ضعيفٌ روايةً، مغررين أتباعهم بكلمة، حكموا عليها بما هم متلبسون به من السطحية السمجة، وهي قول جماعة من الأئمة: "إذا صح الحديث فهو مذهبي".

حتى لقد أغار بعضُ مشايخهم على كتب الأئمة المسندة وغير المسندة وقسمها تقسيما جائرا اعتبارا لاجتهاد منه في التصحيح والتضعيف، مع أوهام وأخطاء وتناقضات اعترف بها الأقرب قبل القريب، قاصدا إلقاء ما توهمه ضعيفا في قمامة التاريخ، محتفظا بما رآه سالما من الضعف والتجريح...فلم يسلم من تقطيعه وتمزيقه وعبثه أهل الشأن والصناعة، لا الترمذي الذي قال عن كتابه "السنن"[1]: "صنفتُ هذا الكتاب - يعني: المسند الصحيح - فعرضتُه على علماء الحجاز فرضوا به، وعرضته على علماء العراق فرضوا به، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به، ومَن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم!".اهـ.

قلت: فلا هو اعتبر رضا وشهادة علماء السلف من كل أقطار العالم الإسلامي، ولا احترم قبول علماء الأمة قرونا طويلة، حتى أوحي إليه بضرورة التقسيم الذي ما أنزل الله به من سلطان.

ولا سلم منه أبو داود الذي لين له الحديث كما لين لداود - عليه الصلاة

(1) "فضائل سنن الترمذي" للحافظ ص 23.

والسلام - الحديد، ولا النسائي إمام الجرح والتعديل، ولا ابن ماجه رئيس الصناعة، ولا المنذري ولا السيوطي ولا غيرهم...

كلُّ ذلك لأن في الحديث ضعيفا أو مدلسا أو مجهولا...مع أن هؤلاء هم أهل الحديث وأئمته، لا شك أنهم علموا حال أسانيدهم التي رووا بها الأخبار، لكنهم علموا أن قبول ورد الأحاديث بالنظر إلى الأسانيد مسألة نسبية، ما لم تتحكم فيها شروط أخرى مدونة في كتب الأصول؛ فالترمذي يقول عن كتابه "السنن" كما في "العلل الصغير": "جَمِيعُ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ الْحَدِيثِ فَهُوَ مَعْمُولٌ بِهِ، وَبِهِ أَخَذَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مَا خَلَا حَدِيثَيْنِ؛ حدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بِالْمَدِينَةِ، وَالْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، مِنْ غَيْرِ خَوْفٍ وَلَا مَطَر. وَحَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا شَرِبَ الْخَمْرَ فَاجْلِدُوهُ، فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ فَاقْتُلُوهُ".

أليس هذا هو التناقض المحض، حيث إن أساطين الرواية والدراية من الأئمة العظام يروون أخبارا ويشهدون أن من كانت في بيته فكأن فيه نبيا يتكلم، ثم يصرحون أنها كلها معمول بها عند السلف، ثم ترى من يدعو إلى عمل السلف وفهم السلف يضرب بأعمالهم عرض الحائط ويعتدي على كتب الرواة تقسيما وبترا؟. فاللهم سلم[1].

ثم يبيِّن المؤلف - رحمه الله - في الفصل الرابع حال الخارج عن الجماعة، الداعي للاجتهاد ولما تتحققْ فيه شروطه، من كونه مبتدعا ضالا شاذا، وأنه ممن وجب زجره وترك محاورته ومناظرته، سدا لذريعة إلقاء الشُبه في قلوب ضعاف العلم والمعرفة.

وفي الفصل الخامس من الكتاب؛ يذكر الإمام - رحمه الله - حكم الشريعة في التعامل مع مثل هؤلاء المبتدعة الداعين إلى بدعتهم، المضلين الناس بترهاتهم وأباطيلهم، وأنه لم يختلف العلماء في وجوب هجرهم، خاصة منهم أهل العناد والثبات على الخطأ وعدم قبول النصيحة.

---

(1) ولقد توسعتُ في هذا الموضوع نظرية وتطبيقا في كتابي: "أحكام فقهية خالف فيها المالكية الأحاديث الصحيحة والجواب عنها"، المطبوع بدار الرشاد الحديثة.

والفصل السادس خصصه المؤلف - رحمه الله - لبيان وجوب بغض المبتدع في الأصول والفروع، الخارج عن جماعة المسلمين، الداعي إلى تفريق كلمتهم بشُبه باطلة، وأن بغضه هو من صميم حب الله ورسوله، والغيرة على شريعته.

أما الفصل السابع والأخير؛ فهو في وجوب تعزير المنكر على الجماعة، الداعي للفتنة، وعقوبته، على مَن مكنه الله من ذلك وحمَّله مسؤوليته، لأن في ترك العقوبة استمالة على الباطل، وركونا إلى الضلال والبدعة، وسكوتا عن المنكر...

وهذا والله الذي تعانيه الأمة اليوم، فإن ترك باب الدعوة إلى الاجتهاد الزائغة، وتضليل معتقد الأشاعرة والماتريدية، وإنكار التصوف وإلحاق أهله بالنصارى واليهود، ووصفهم بأقبح الصفات، مكَّن أهل الأهواء من إحياء الفتن، وتقسيم رابطة الأمة، وتحقير مقام أهل العلم...حتى رأينا وسمعنا وحضرنا جهالا أقزاما يتطاولون على عظماء العلماء ويسفهونهم، ورأينا وسمعنا أهل البدو والقصور في الفهم يقدِّمون آراءهم على آراء أهل العلم والمعرفة، بأن في المسألة حديثا صحيحا، ورأينا وسمعنا غلمانا يفسقون الصوفية الذين شهد لهم التاريخ بالولاية الظاهرة والباطنة...

حتى صار هؤلاء هم الداعين لمقاطعة الأمة، الآمرين بعضهم بعضا بهجران جميع المسلمين، وصاروا هم - وللأسف - الذين يلمزون الأكابر بالبدع والخرافة...وما ذلك إلا لأن أوائلهم لم يأخذوا نصيبهم من التعزير والعقوبة التي يستحقونها، ففرخوا وزرعوا فحصدوا، فإلى الله المشتكى، ولله در المؤلف في كتابه هذا.

ثم كان الختام ببيان حُمق وخبل المعترض، وأنه مهووس مخبول مضطرب غير متوازن، وليس ذلك إلا لتحذير المفتونين بدعوة أمثاله، محذرا من الاغترار بالمظاهر؛ كإطالة اللحى وإسبال القمصان، وساق في ذلك نقولات وأشعارا نفيسة رائقة.

أتركك أيها القارئ الكريم الباحث عن الحق مع تفصيل كل ذلك في هذا المؤلَّف المختصر المفيد.

النسخة المعتمدة:

اعتمدتُ في إخراج هذا الكتاب على نسخة فريدة سلمها لي الأخ الصالح سيدي حمزة الكتاني، بعد أن صورها لي من خزانته الخاصة، وهي في سبعين ورقة، بخط مغربي مقروء، لم نقف على كاتبه، إلا أنها نسخة مصححة على يد ابن المؤلف العلامة الأديب عبد الرحمن بن جعفر الكتاني رحمه الله.

نماذج من صور المخطوط

جزء

المشرب المحلى في ابطال ترهات الزنادقة المتنبيين

تأليف

العلامة الداعية الشيخ جعفر

الشريف الكتاني رحمه الله

بتحقيق

العلامة الأديب محمد الزمزمي

ابن جعفر الكتاني المذكور

صورة اللوحة الأولى من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره
على الدين كله ولو كره المشركون الضلال، وتلقى منه ذلك أصحابه الكرام
البررة المنتخبون الهداة المهتدون الأفاضل، غضا طريا لم يشب بغيره
وبلغوه لمن بعدهم وهلم جرا جيلا بعد جيل في كل الأجيال إلى عصرنا لم يشك واحد
منهم ولا ارتاب بل هم متفقون عليه في جميع الأحوال، إذ ذلك الكتاب لا ريب
فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وبما يتلونه من أوصاف الجمال
ومعظمه بأدلة شعب النقل والعقول من الرجال وشيدت كل زمان ما
هدم من أركانه بانيه أهل الفضل والكمال، ولا زالوا يردون على من غشاه شبه
الباطل والضلال، فأصبح بهم الدين الحنيفي مستقرا كأطواد الجبال
وسرابيل الفرى هباء منثورا لا يعودوا إلا انقراض ولا اضمحلال، نحمده
تعالى ونشكره على أن جعلنا من هذه الشريعة المقدسة عن القيل والقال
ونستعينه ونستغفره من كل ما لا يرضيه من الأقوال والأفعال
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعبر مبرئة
من الأباطيل المشغلة الأرذال، ونشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله المؤيد في كل زمان بأنصار الحجج القاطعة لكل داء
عضال، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما أبدت شريعته
بعقول العلماء الأبطال، وبعد فلما بلغني هذه

صورة اللوحة الثانية من المخطوط

اشتهى لحية كبيرة فقال له لحيتك جبر وأنت تحتاج إلى عقل تام وقال
صلى الله عليه وسلم اعتبروا عقل الرجل في ثلاث في طول لحيته ونقش
خاتمه وكنيته - صلى الله عليه وسلم من سعادة المرء خفة عارضيه
وفي رواية لحيته وفي آخر لحييه المناوي المراد بخفتها عدم عظمها
وطولها المفرط وإنما كان ذلك من سعادته لأن عظمها [illegible] الجمال
وربما يقص القاصر منها اختيالا وتكبرا وذلك سبب للشقاوة والعياذ بالله
تعالى وعن [illegible] إذا رأيت رجلا طويل اللحية ولم يتخذ لحية بين لحيتين
كان في عقله شيء، وقال الشعبي عجبت لعاقل كيف لا يأخذ من لحيته
فيجعلها بين لحيتين فإن التوسط في كل شيء حسن، ولذا قيل
* كلما طالت اللحية تشمر العقل فقلما طالت لحية انسان قط إلا ونقص
من عقله بقدر ما طال منها وكان بعض السلف يقبض على لحيته فيأخذ ما
تحت القبضة. لكل داء دواء يستطب به * إلا الحماقة أعيت من يداويها *
* يا للرجال لأمر قال [illegible] * [illegible] *
* فليت فلانا كان في بطن أمه * وليت فلانا كان ولد حمار *
اللهم أرنا الحق حقا وأعنا على اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وأعنا على
اجتنابه، بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب
العالمين

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه
وتوفيقه الجميل ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي
العظيم
عام 1324

بلغت مقابلته بقدر الاستطاعة
وحل ما وقع فيه من الخلل إلا ما زاغ عنه
البصر على نسخة المؤلف رحمه الله ونفعنا
به [illegible] سادس وعشري ربيع الأول عام 1326

صورة اللوحة الأخيرة من المخطوط

عملي في التحقيق:

- قمت بنسخ الكتاب وفك عباراته، وتصحيح بعض ما بقي من تصحيفات، ورقمته بما هو متداول معروف عند أهل هذا الشأن.
- خرجتُ الآيات وعزوتها إلى سورها وأرقام آياتها.
- خرجت الأحاديث النبوية وذكرت ما قيل فيها وفي بعض رواتها من أحكام وجرح وتعديل.
- عرَّفتُ ببعض الأعلام ممن غلب على ظني أنهم يحتاجون إلى تعريف.
- شرحت الكلمات التي تحتاج إلى بيان من كتب اللغة والقواميس.
- زدت بعض التعليقات التي اقتضاها المقام للفائدة.
- زدت عناوين إضافية وجعلتها بين معكوفين.
- وضعت مقدمة للتحقيق عرفت فيها بالمؤلِف والمؤلّف مع بعض الفوائد والتقريرات.
- صنعتُ فهرسا للآيات والأحاديث والموضوعات والأعلام.

والشكر موصول دائما إلى صاحب الأيادي البيضاء على الفقير، الأخ الكريم المجتهد النشيط العلامة النسيب الشريف سيدي حمزة ابن العلامة الدكتور سيدي علي الكتاني، على كرمه ونصيحته، وسعة صدره ووفاء عهده، وحسن سمته...

وكذلك أشكر أستاذنا ومفيدنا الشيخ المحقق سيدي الحاج عمر بناني، الذي تحقق فيه قول القائل:

أجلُّ للمرء من مجد الغنى شرفا   مجد الوفاء تقوى الله والكرم
وأرفع الناس عند الله منزلة   من لم يكن لحقوق الناس يهتضم

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين. والحمد لله رب العالمين.

الفجر الصادق، المشرق المفلق

في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق

(رد على الطاعنين في المذاهب الأربعة، والعقيدة الأشعرية، والتصوف)

تأليف شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني

(1323-1246)

تحقيق

عدنان بن عبد الله زُهار

ولسيدي عبد الغني النابلسي رضي الله عنه:

رُبَّ شخصٍ تقوده الأقدارُ … للمعالي، وما لذاك اختيارُ
غافلٌ، والسعادةُ احتضنته … وهْو منها مستوحش نفَّارُ
يتعاطى القبيح عمدا، فيلقا … هُ جميلا، وفِلسه دينارُ
كلما قارفَ الذنوبَ أتته … توبة طهرته واستغفارُ
وعليه إن زل عينٌ من الـ … ـله تقيه، ويسترُ الستارُ
فهْو بالله دائما يترقى … لا به حيث تُشرق الأنوارُ
وفتى كابد العبادة حتى … منه قد مل ليلُه والنهارُ
يفعل الخير ثم يلقاه شرا … وإذا رام جنة؛ فهْي نارُ
يتسامى بالذكر والفكر قصدا … وهْو ناء، وعنه شَطَّ المزارُ
حِكم حارت البرية فيها … وجديرٌ بأنها تحتار
وعطايا من المهيمن دلت … أنه الله فاعلٌ مختار [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

[المقدمة]

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الضُّلال، وتلقَّى منه ذلك أصحابُه الكرامُ البررةُ المنتخبون الهداةُ المهتدون الأقيال[1]، غضا طريا لم يُشَبْ بغيره فبلَّغوه لمن بعدهم وهكذا جيلا بعد جيل في كل الأجيال، إلى عصرنا لم يَشُكَّ واحد منهم ولا ارتاب بل هم مطبقون عليه في جميع الأحوال، ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة/1-2-3] وما يتلوه من أوصاف الجمال، وحفظه بأدلة شهب الثقات[2] العدول من الرجال، وشَيَّد في كل زمان ما وهن من أركانه بأيدي أهل الفضل والكمال، وأزال بوَبل[3] علومهم غُثاء شُبَه الباطل والضلال، فأصبح بهم الدين الحنيفي مستقرا كأطواد الجبال، وسرابُ الغيِّ هباءً منثورا في زوايا الانقراض والاضمحلال.

نحمده تعالى ونشكره على أن صان ساحةَ الشريعة المقدسة عن القيل والقال، ونستعينه ونستغفره من كل ما لا يُرضيه من الأقوال والأفعال.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبدٍ مُتبرِّئٍ من ذوي الأباطيل السفلة الأرذال، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المؤيَّدُ في كل زمان

---

(1) الأقيال والأقوال: جمع "قيل"، وهو الملك النافذ القول والأمر، وأصله: قيول فيعل من القول، فحذفت عينه، ومثله أموات في جمع ميت مخفف ميت. وأما أقيال: فمحمول على لفظ قيل، كما قالوا: أرياح في جمع ريح، والسائغ المقيس: أرواح. انظر "النهاية في غريب الأثر": 122/4، و"لسان العرب": 580/11.

(2) في النسخة المعتمدة "ثقاة".

(3) قال في "لسان العرب": 718/11: "وبل الوبل والوابل: المطر الشديد الضخم القطر. قال جرير: يضربن بالأكباد وبلا وابلا. وقد وبلت السماء تبل وبلا، ووبلت السماء الأرض وبلا".اهـ. واستعماله هنا استعارة.

بأسهُم الحُجج الحاسمة لكل داء عضال، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ما أُيِّدتْ شريعتُه بفحول العلماء والأبطال.

وبعد؛

فقد بلغنا في هذه [2] الأعوام عن رجل كنا نعرفه من جملة الطلبة المبتدئين، وغاب لناحية المشرق مدة، ثم قَدِمَ وحالُه حالُ المبتدعين، بمقتضى الشرع والعقل والحس؛ وهل يشك في الليل عاقل إذا غربت الشمس؟، كلامٌ وطرق سمعَنا بعضُه[1]، لا يفوه به إلا من سفه نفسه، وفقد - والعياذ بالله - حِسَّه، رام به دفع ما صح نقله ومعناه والعطَب، لأغراض فاسدة لا رأس لها ولا ذَنَب، خالف فيه جماعةَ المسلمين، وهو محجوج بما لا مَدفع فيه لمسلم أبد الآبدين.

من ذلك أنه: فرد، وأنه مع السنة المحمدية قدَما بقدم، وأنه بلغ مرتبة الاجتهاد المطلق من طريق العلم الوهبي، وأنه يأخذ الأحكام من الكتاب والسنة لا غير، ولا يقلد واحدا من أئمة المذاهب، عُيَيْر وحدِه وجُحيش وحدِه[2]، ما يُعرَف له مضرب عسلة[3]، ويأخذ بظاهر الآيات والأحاديث، وإذا سمع من قال: "نحن خليليُّون". يقول: "نحن محمديون، نحن نميل إلى التحقيق وأدلتنا أصلية!".

ويزعم أن الحجة لا تقوم عليه بكلام واحد من العلماء كائنا من كان، ويُثبت من الأحاديث وينفي بحسب وهمه المتخيَّل السخيف وهواه الخسيس، الذي هو

---

(1) هو جواب: فقد بلغنا في هذه الأعوام.

(2) قال العسكري في "جمهرة الأمثال" 304/2: "ولم يجيء "وحده" بالكسر إلا في ثلاثة مواضع: نسيج وحده، وجُحيش وحده؛ وعُيير - تصغير عير وهو الحمار الذكر - وأصله أنه: لا يكون في قطيع عيران. وجحيش تصغير جحش؛ وذلك أن أمه إذا ولدته سترته عن العير وراء أكمة؛ لأنه إذا علم أنها ولدت ذكرا؛ استل خصيتيه، فربما مات، فلا يزال منفردا حتى يشتد، فإما أن يقتل العير فيتفرد بالقطيع، وإما أن يقتله العير إذا ظفر به. فجُعل مثلا لكل متفرد بصناعة لا شبيه له فيها، وتصغير الجحيش والعيير بمعنى التكثير".

(3) قال الزمخشري في "المستقصى في أمثال العرب" 319/2: "ما ترك له مضرب عسلة، هي: القطعة من العسل، يقال كنا في لحمة وعسلة ونبيذة ومضربها معتملها ومشتارها، فاستعير لمنصب الرجل ونسبه، ويجوز أن يجعل مضرب العسلى كناية عن المنكح والمفرش من قوله عليه السلام: حتى تذوقي من عسيلته. والمعنى أنه: ثلبه وطعن في منتسبه حتى جعله كالدعي الذي لا سبب له. يضرب في الشتم والتنقص".

له وصيف.

ولا يُسَيِّدُ المصطفى صلى الله عليه وسلم عند ذكره، وينكر على من يذكر وليا من الأولياء أو يتوسل به أو يستغيث أو يزوره، وينفي تصرفهم مطلقا...إلى غير ذلك من الهذيان، المؤذن بالمقت والطرد والخِذْلان.

[ردود العلماء على ابن حزم الذي أنكر تقليد الأئمة]:

سلك في جُلِّ ذلك مسلك علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموي مولاهم، الفارسي الأصل، الأندلسي القرطبي الظاهري، المتوفى سنة 456.

ففي "حاشية الدسوقي"[(1)] على "شرح الصغرى" ما نصه: "كان من حفاظ المغرب، أَلَّف كُتبًا، منها كتاب "الفصَل في الملل والنحل" [3]، مجلد نحو الثلاثين كراسا في الورق الكامل، يَرُدُّ فيه على سائر الفرق من النصارى واليهود والمجوس والفلاسفة والمعتزلة...وغيرهم، وأغلب حطه وتشنيعه فيه على الأشاعرة والماتريدية أئمة السنة. قال: وقد رأيتُ ذلك الكتاب بزاوية الشيخ دِمِرْداش بمصر".

"وله كتاب كبير في الفقه[(2)] ينتصر فيه للظاهرية، ويُشَنِّعُ فيه على الأئمة الأربعة، لاسيما الإمام المجمَع على جلالته إمامنا مالك، ومازالت الأخيار تُبتلى بالأشرار. قال: ورأيتُ من ذلك الكتاب جزءًا ضخما".

"قال الشاوي: وقد وجدت لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني كتابا في رد هذا الكتاب الذي ألفه ابن حزم في الفقه، وتعقب فيه على مالك، فنقضه عروة عروة".اهـ.

وفي حاشية العارف الفاسي عليه: "يذكر عن ابن حزم أنه: خرق الإجماع في نحو من خمسين مقالة، منها: في العقائد الدينية، ومنها: في الأحكام الشرعية، ومنها: في الأحاديث النبوية. وكان ينتمي في الفروع للظاهرية، وحفظُه أكثرُ من فهمه، وعلمُه أكبر من عقله"...

---

(1) ص31.

(2) وهو كتاب "المحلى" أو "الإيصال".

وذكر ابن خِلِّكان[1] في ترجمة ابن العَريف عن بعض المشايخ الفضلاء: أنه رأى بخط ابن العَريف فصلا في حق علي بن حزم الظاهري، وقال فيه: كان لسان ابن حزم المذكور وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين. وإنما قال ذاك لكثرة وقوعه في الأئمة، بحيث لا يسلم منه أحد ممن تقدم أو تأخر".اهـ

وفي "نفح الطيب"[2]: "وعلى الجملة؛ فهو نسيج وحده، لولا ما وُصف به من سوء الاعتقاد، والوقوع في السلف الذي أثار عليه الانتقاد، فشنع عليه الفقهاء وطعنوا فيه، وأقصاه الملوك وأبعدوه عن وطنه، وتوفي منفيا بالبادية بقرية من بلد "لَبْلَة".

ولأبي بكر ابن مفوّز[3] جزء يرد فيه عليه، وفيه قال مُعَرِّضا:

يا مَن تعاني أمورا لن [4] يعانيها ... خَل التعالي، واعط القوس باريها
تروي الأحاديث عن كُتْبٍ مُصحفة ... وإنما لِمُعانيها مَعانيها

وقيل: إنه خاطب بهما بعضَ أصحاب ابن حزم.

وأحرق المعتضد ابن عباد كتبه بإشبيلية، فقال ابن حزم في ذلك:

دعونيَ من إحراق رِقٍّ وكاغدٍ ... وقولوا بعلم كي يرى الناسُ من يدري؟
فإن تحرقوا القرطاس لم تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاسُ، بل هوَ في صدري
يسير معي حيث استقلَّتْ ركائبي ... وينزل إن أنزلْ، ويُدفَن في قبري.اهـ

وذكر الزركشي أنه: "كثيرا ما يَتَقَوَّلُ على الأشعرية وغيرِهم، وأنه كان يأخذ العلم من الصحائف لا من الشيوخ، وقد صحّف أحاديث وبنى عليها أحكاما".اهـ انظر تمامه.

---

(1) "وفيات الأعيان" 168/1.

(2) 553/2.

(3) الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن حيدرة بن مفوز بن أحمد بن مفوز المعافري الشاطبي، حدث عن عمه طاهر الحافظ وأبي علي الغساني وأجاز له أبو الوليد الباجي. وكان حافظا متقنا ضابطا عارفا بالأدب وفنونه. حدث بقرطبة وخلف شيخه أبا علي في الإفادة، وله رد على ابن حزم، مات سنة خمس عشرة وخمسمئة 515 هـ عن اثنتين وأربعين سنة. انظر "سير أعلام النبلاء" 421/19.

وقد عَبَّر عنه في "شرح الصغرى"[1] بـ: "بعض الأغبياء من المبتدعة"، وذكر عنه مقالة قالها في كتابه: "الفصل"، ثم قال: "فانظر اختلالَ عقلِ هذا المبتدع، كيف غفل عما يلزمه على هذه المقالة الشنيعة من اللوازم التي لا تدخل تحت وهم".

[فقيه ظاهري في مراكش في القرن العاشر]:

وفي "دوحة الناشر"[2] في ترجمة أبي عبد الله محمد الأندلسي، نزيل مراكش: "وكان كثير الوقوع في الأئمة، فنحا منحى ابن حزم الظاهري، وشاع ذاك عن أصحابه، فأفتى فقهاءُ مراكش بتضليله، وأَنْهَوْا ذلك إلى السلطان، فأمر بسجنه وبقي فيه مدة ثم فُرج عنه. وتَلَقَّبتْ شيعتُه بالمحمدية، ويُسَمُّون مَن خالفهم بالمالكية نسبة إلى الإمام مالك، ثم آل الأمر إلى أن قتله العامة وصلبوه". انظر بقية القضية فيها.

[معاناة المذهبية مع سلاطين الجور]:

وفي "الفتاوى الحديثية"[3] للهيثمي: "فضَّل أقوام – أي: من الملحدة – علومَ القرآن والحديث، وقدموها على حفظ المسائل الفقهية، حتى أدى ذلك بعضَ ملوكهم إلى أن توعَّد الفقهاء وأخافهم؛ وبعضُهم حبس الناس على اشتغالهم بـ: "المدونة" وأحرقها، حتى اجتمع القاضي ابن زرقون[4] في حضرة بعض [5] أمرائهم، فقال: هل بَقِيَ أحدٌ ممن ينتحل هذا المذهب؟. فقال بعض الظاهرية: لم يبق منهم إلا القليل. فقال: إنهم يحكمون في دين الله بغير دليل، يقولون في المصلي بنجاسة: يعيد في الوقت؛ لأن النجاسة إن كان غسلها واجبا أعاد أبدا، وإلا؛ فلا إعادة عليه؛ فالإعادة في الوقت: ما قام عليها دليل".

---

(1) ص 32.

(2) ص 99 ترجمة رقم 106.

(3) ص 272.

(4) ابن زرقون: شيخ المالكية أبو الحسين محمد ابن الإمام الكبير أبي عبد الله محمد بن سعيد بن أحمد الأنصاري الإشبيلي، برع في الفقه وصنف كتاب "المعلى في الرد على المحلى"، وقد امتحن وقيد وسجن بعد أن عزموا على قتله لكونه مُنع من إقراء الفقه؛ فإن صاحب المغرب يوسف بن يعقوب منع من قراءة الفروع جملة، وبالغ في ذلك، وألزم الناس بأخذ الفقه من الكتاب والسنن على طريقة أهل الظاهر. وتوفي سنة اثنتين وعشرين وست مئة 622 هـ وله نحو التسعين. من "سير أعلام النبلاء" 311/22.

"فأجابه ابن زرقون فقال له: الأصل في ذلك حديث الأعرابي المشهور، وقوله: ارجع فصل فإنك لم تصل[1]. ولم يأت في طرق الحديث أنه أمره بإعادة ما مضى، فاستكان عند ذلك الأمير، وقال: دعوا الناس على مذاهبهم". انتهى.

وفي تأليفٍ لسيوطيِّ زمانه أبي زيد سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[2] في "بيوتات فاس"، لما ذكر بيت بني عشرين الخزرجيين، ما نصه: "بيتُهم بيتُ علم وأصالة؛ منهم: فقهاء أئمة؛ كالفقيه أبي الحسن علي ابن عشرين؛ كان فقهيا حافظا مُحَصِّلا في الفقه، وتفقه عليه فقهاء المغرب، وكان يحفظ "المدونة"، ومِن صدره نُقِلَتْ بعد أن حرَّفها ملوكُ الموحدين من بني عبد المؤمن بن علي".

"يُرْوى أنه لما جُبِرت من صدره في أول الدولة المرينية؛ قوبلت بعد ذلك مع نسخة وُجدت، فوجدوها كهي لا خلاف بينهما، إلا في فاءٍ أو واوٍ".اهـ.

فكتب عليه الفقيه العلامة المؤرخ أبو العباس سيدي أحمد بن محمد الخياط ابن إبراهيم الدكالي المشنزائي ما نصه: "وسبب إحراق المدونة هو أن ملوك الموحدين قد تحلوا بالمذهب المعروف لهم من إنكار الرأي في الفروع الفقهية، والعمل شرعا على محض الظاهرية، وجَرَوا على ذلك سنين بطول إيالتهم[3]، إلى

---

(1) في "صحيح البخاري" 263/1 ح 724 عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد، فدخل رجل فصلى فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فرد وقال: "ارجع فصل فإنك لم تصل"، فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: "ارجع فصل فإنك لم تصل". ثلاثا. فقال: "والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره، فعلمني". فقال: "إذا قمت إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعا، ثم ارفع حتى تعتدل قائما، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا، وافعل ذلك في صلاتك كلها".

(2) الإمام العالم العلامة الحافظ المشارك المقرئ أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، شاع أنه سيوطي زمانه؛ لأنه اتسعت مشاركته في العلوم، وشاعت براعته في المنظوم، أحد الأعلام الحفاظ، له من التآليف: "الأقنوم" و"مفتاح الشفا" و"شرح الطالع المشرق" وله في كل علم مصنَّف خاص. ولد سنة أربعين وألف (1040 هـ) وتوفي رحمه الله سنة ست وتسعين وألف (1096 هـ). ترجمته في "نشر المثاني" للقادري و"الإعلام بمن غبر" لعبد الله الفاسي، كما في "موسوعة أعلام المغرب" 1682/4. وانظر المجلد الثاني من "سلوة الأنفاس"، ومن "زهر الآس في بيوتات فاس".

(3) قال في "لسان العرب": الإيالة السياسة.

أن انقرضوا، وأولُّهم في ذلك مهديُّهم، أول ملوكهم محمد بن علي[1] الحسني المدعو بالإمام المهدي، اطرح الرَّأي وأمر بحرق كتب الفقه وإزالتها، ووضع في السنن أوضاعا".

"وتابعه على ذلك أميرُ المؤمنين بعده عبدُ المؤمن بن علي[2] [6] وأولادُه، ولم تزل كتب الفقه عندهم مهجورةً منبوذةً، وتمذهبوا بمذهب الظاهرية، ولم يعولوا إلا على ظاهر القرآن والحديث فقط، وأوقعوا المحن بذوي الفروع، وقتلوهم وضربوهم بالسياط، وألزموهم الأيمان المغلظة من عتق وطلاق وغيرهما، على أن لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه، وأظهروا التعويل على موضوعات مَهْدِيِّهم[3] في الحديث".اهـ ومن خطِّه نَقلت.

[ظهور الطائفة الوهابية وتصدي العلماء لها]:

ومسلك الجماعة التي ظهرت قِبَل المَشرق، وفاهت بكلام مُبطِل غيرِ مُحق، وشوَّشُوا على العامة عقائدَهم، وكَفَّروا من هذه الأمة من خالفهم، وأَلَّف بعضُ رؤسائهم في ذلك رسائلَ، واستدل لما ادعاه بما توهمه محدودا من الدلائل، يحتج فيها بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، يؤيد بها ماهو عليه من الاعتقاد، ويُصحح ما اعتقده من الفساد، حاد بذلك عن الصراط المستقيم، فوجب الإعراض عن مذهبه السقيم، ولَزِمَه ما أَلْزم، ولا أحدَ منه أظلم.

---

(1) هكذا في النسخة المعتمدة، والصواب: ابن عبد الله، وهو محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري، المُدَّعِي أنه علوي حسني وأنه المهدي. قال الذهبي في "سير أعلام النبلاء"551/19: "وبكل حال؛ فالرجل من فحول العالم، رام أمرا فتم له". توفي سنة 524 هـ.

(2) عبد المؤمن بن علي بن علوي، سلطان المغرب الذي يلقب بأمير المؤمنين الكومي القيسي المغربي، مولده بأعمال تلمسان.قال الذهبي في"سير أعلام النبلاء" 366/20: "ولما دخلت سنة ثمان وخمسين - أي: وخمسمئة - أمر الجيش بالجهاز لجهاد الروم، واستنفر الناس عاما، ثم سار حتى نزل بسلا فمرض، وجاءه الأجل بها في السابع والعشرين من جمادى الآخرة، وارتجت المغرب لموته، وكان قد جعل ولي عهده ابنه محمدا، وكان لا يصلح؛ لطيشه وجذام به، ولشربه الخمر، فتملك أياما وخلعوه. واتفقوا على تولية أخيه يوسف بن عبد المؤمن، فبقي في الملك اثنتين وعشرين سنة، وخلف عبد المؤمن ستة عشر ولدا ذكرا".

(3) ذلك أن ابن تومرت قد وضع أحاديث في جمع الناس عليه، قد غرر بها أتباعه، كما ذكر عنه أهل التاريخ.

وقد تصدى لرد جميعِها علماءُ الإسلام، المرجوعُ إليهم في النوازل والأحكام، وتآليفُهم موجودة، حاضرةٌ غير مفقودة.

والواجب على من وَقَرَ الإسلامُ في قلبه، أن لا يُنصتَ لهذيان هذا الُمتفوِّه، الذي يُخشَى عليه من زوال الإيمان وسلبِه، ومن تبعه من الرعاع، يجب في حق كلٍّ الانزجارُ والارتداع، وقد قيدتُ في نقض تمشدقاته وتمويهاته [7] وشقشقاته، لمَّا لَجَّ في ضلاله وتمادى في ردى خلاله، ما وسمته بـ: الفجر الصادق المشرق المفلق، في إبطال تُرَّهات الثرثار المتشدق المتفيهق.

أبديتُ فيه حججا لظهره فاقرة، ولبطنه باقرة، ولأذنيه واقرة، ولساقيه عاقرة، ورتبتُه على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة، ومن الله أسأل العون والتوفيق وحسن الخاتمة.

المقدمة: في وجوب ملازمة جماعة المسلمين ومتابعتهم، وحرمة الانفراد والخروج عنهم ومفارقتهم.

الفصل الأول: في أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم، وعلى صراط مستقيم وبصيرة من أمرهم.

الفصل الثاني: في أنه يجب اليوم على كل أحد من أهل الهيللة، التقيُّد بمذهب من المذاهب الأربعة.

الفصل الثالث: في أنه يحرم علينا الاستدلال بالكتاب والسنة على حكم من أحكام الدين وفروعه، لجهلنا بطريق الاستدلال، وعجزنا عن تحصيل شروطه.

الفصل الرابع: في أن مَن سلك غيرَ سبيل من ذكرنا، وانتحل غيرَ الطريق الذي قدمنا، فهو مبتدع ضال، ومُضِلٌّ جاهل غال، يُجاهَد بما يمكن من المعارضة والانتهار، حتى يُلقَم الحجر ويُفحَم ويَحصُل الانتصار.

الفصل الخامس: في وجوب هجرانه ومجانبته، وتركه وإهماله ومنابذته.

الفصل السادس: في أنه يجب بغضه في الله، مادام لم يرجع إلى الله.

الفصل السابع: في تعزيره وعقوبته، المترتبة على شُنع جريمته [8].

الخاتمة: في حمقه واختلاله وهوسه، وإزالته جلباب الحياء عن وجهه. والكلُّ

في غاية الصحة والبيان، ظاهرٌ ظهورَ الشمس وقت الظهيرة أو البدر ليلة إضْحِيَان[1]، وليس الخبر كالعيان.

وليس يصح في الأذهان شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

وفقنا الله لما يحبه ويرضاه، ولا جعلنا ممن اتخذ إلهه هواه، وتدارك هذا الدينَ الغريب ونصره، إنه سميع قريبٌ مُجيب.

(1) قال القاضي عياض في "مشارق الأنوار" 56/2: "وقوله: في ليلة قمراء إِضْحِيان: بكسر الهمزة وسكون الضاد وكسر الحاء معناه: مضيئة".

مقدمة:

في وجوب ملازمة جماعة المسلمين ومتابعتهم وحرمة الانفراد والخروج عنهم ومفارقتهم

أخرج الحاكم في "المستدرك"[1] في الدليل على أن الإجماع حجة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصلاة المكتوبة إلى التي بعدها كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارة لما بينهما، إلا من ثلاث: الإشراك بالله، ونكث الصفقة، وترك السُنة". قلنا: "يا رسول الله؛ أما الإشراك بالله فقد عرفناه، فما نكث الصفقة وترك السنة؟". قال صلى الله عليه وسلم: "أما نكث الصفقة: فأن تبايع رجلا بيمينك ثم تخالف إليه فتقتله بسيفك، وأما ترك السنة؛ فالخروج عن الجماعة". قال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه".

ويُعَضِّدُه رواية أحمد[2] وأبي داود[3]: "من فارق الجماعة قيد شبر؛ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".

وفي "صحيح مسلم"، باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج من الطاعة ومفارقة الجماعة. ثم سرد أحاديث تشهد لذلك منها: "مَن فارق الجماعة شبرا فمات، فميتته [9] جاهلية".

وأخرج الترمذي[4] بإسناد له شواهد[5]، عن ابن عباس رفعه: "يد الله مع

---

(1) 207/1 و288/4.

(2) 241/4 ح 4758 عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

(3) 180/5 عن أبي ذر أيضا، وعنه أخرجه الحاكم في "المستدرك" 203/1.

(4) "في سننه" 466/4 ح 2167، عن ابن عمر.

(5) منها في "مستدرك الحاكم" 199/1، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبدا". وقال: "يد الله على الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم؛ فإنه من شذ شذ في النار".

ومنها: في "سنن الترمذي" 466/4 ح 2166، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يد الله مع الجماعة".

ومنها: عند الطبراني في "الكبير" 186/1، عن أسامة بن شريك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يد الله على الجماعة، فإذا شذ الشاذ منهم؛ اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم".

=

الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار". أي: من انفرد عن جماعة المسلمين انفرد عنهم في النار.

وصح[1]: "ستة لعنهم الله وكلُّ نبي مجابِ الدعوة..."، إلى أن قال: "...والتارك لسنتي".

وصح[2]: "من رغب عن سنتي فليس مني". "إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"[3]. "أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته"[4].

"لا يقبل اللهُ لصاحب بدعةٍ صوما ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا، ولا صرفا ولا عدلا، يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين"[5]. "لقد تركتكم على

=

ومنها: عنده في"الأوسط" 122/5، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لا تمدوا طنبا لبدو، فإن في البدو الجفاء، ويد الله على الجماعة، ولا يبالي الله شذوذ من شذ، ولا يركب الدابة فوق اثنين، ولا تضربوا وجوه الدواب؛ فإن كل شيء يسبح بحمده، ولا تسموا أبناءكم وإخوانكم: الحكم، ولا: أبا الحكم، فإن الله هو الحكم!".

(1) رواه الترمذي في "سننه" 457/4 ح 2154 عن عائشة رضي الله عنها. وعنها رواه الطبراني في "الكبير"126/3، وابن حبان في "صحيحه"60/13، والحاكم في "المستدرك"91/1، وقال: "صحيح الإسناد ولا أعرف له علة".اهـ. وأقره المنذري في "الترغيب والترهيب" 44/1 بالسكوت عليه.

(2) رواه البخاري في صحيحه" 1949/5 ح 4776 عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وعنه مسلم في "صحيحه" 1020/2 ح 1401.

(3) رواه الطبراني في "الأوسط" 281/4، عن أنس بن مالك.

(4) رواه ابن ماجه في "سننه" 19/1 ح 50 عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" 11/1: "هذا إسناد رجاله كلهم مجهولون"، قاله الذهبي في "الكاشف" وقال أبو زرعة: "لا أعرف أبا زيد ولا المغيرة".اهـ.

قلت: أولا: إنما الذي ذكر الذَّهبي في "ميزان الاعتدال" 369/7 وفي "الكاشف" 427/2 و2/ 463، أن أبا زيد وأبا المغيرة لا يُدرَى من هما، ولم أقف على أنه جهَّل رجال السند كلهم.

ثانيا: الحديث - وإن كان ضعيفا - لحال أبي زيد وأبي المغيرة، فيقويه ما قبله وما بعده من الأخبار التي أوردها الإمام المؤلف هنا رحمه الله.

(5) رواه ابن ماجه في "سننه" 19/1 ح 49 عن حذيفة رضي الله عنه. قال الحافظ البوصيري في "مصباح الزجاجة" 10/1: "هذا إسناد ضعيف؛ فيه محمد بن محصن، وقد اتفقوا على

=

مثل البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك"[1].

...إلى غير ذلك مما لا حصر له، عافانا الله من ترك السنة واتباع البدع والهوى بمنه وكرمه آمين.

=

ضعفه".اهـ. قلت: وما قبله شاهد له.

(1) رواه ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" 27/1 عن العرباض بن سارية رضي الله عنه.

الفصل الأول:

في أن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم وعلى صراط مستقيم وبصيرة من ربهم

في رسالة "الأمرُ المحتوم على هذه الأمة في حق الأربعة الأئمة" لسيدي علي بن ميمون المغربي الحسني(1): "أيها المخاطَبُ بتعظيم شعائر الله وتنزيه حُرُماته؛ اعلم أن الله تعالى يقول في محكم كتابه الحكيم: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج/32]".

"وقال صلى الله عليه وسلم(2): العلماء ورثة الأنبياء. وقال عليه الصلاة والسلام(3): من جاءه ملك الموت وهو يطلب العلم ليُحيِيَ به الإسلامَ؛ كان بينه وبين النبيئين درجة واحدة".

"ومن المعلوم الذي لا يشك فيه ذو عقل منير أن هؤلاء [10] العلماء الأربعة المذكورين - رضي الله عنهم - ماتوا على إحياء الإسلام بالعلم، وحازوا هذا المقام الأعظم، بشهادة هذا الحديث الأكرم، وثبت لهم بذلك الإرث المشار إليه من

---

(1) الشيخ العارف بالله تعالى سيدي علي بن ميمون المغربي الأندلسي الإدريسي الحسني، تربى - قُدِّس سره - ببلاده غمارة، وأخذ عن علماء فاس، ثم أخذ بتونس عن الشيخ ابن عرفة والشيخ الدباسي، ثم دخل القاهرة وحج، ثم دخل البلاد الشامية وربى كثيرا من الناس، وقام بفريضة الجهاد، ثم توطن بمدينة بروسه وأسس زاوية وأتباعا، ثم رجع إلى البلاد الشامية، وتوفي بها في سنة سبع عشرة وتسعمئة 917 هـ، وله مقامات عَلِيَّة، وأحوال سنية. له من المؤلفات "بيان غربة الإسلام بواسطة صنفي المتفقة والمتفقرة من أهل مصر والشام وما يليها من بلاد الأعجام"، و"تنبيه المبتدى" و"رسالة الإخوان من أهل الفقه وحملة القرآن"، و"شرح المقدمة الجزولية" في النحو، و"مناقب ابن عربي"، و"منتهى الطلب من أشعار العرب" وهو كتاب يشتمل على أكثر من ألف قصيدة، خلا المقاطيع، وعدة ما فيه أربعون ألف بيت، و"مواهب الرحمن في كشف عورة الشيطان"، وغيرها. انظر "شذرات الذهب" 4/ 81 و"الشقائق النعمانية" ص 212.

(2) رواه أبو داود في "سننه" 317/3 ح 3641 والترمذي في "سننه" 48/5 ح 2682 وابن ماجه في "سننه" 81/1 ح 223 كلهم عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وعلقه البخاري في "صحيحه" في كتاب العلم 37/1.

(3) أخرجه الدارمي في "سننه" 122/1 ح 354 عن الحسن مرسلا، وفي الباب عن ابن عباس رواه الطبراني في "الكبير" وعن أنس عند ابن النجار، كما في "كشف الخفا" 318/2.

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بل ورثوا ما جاء به سيدُ الأنبياء لأمته عن ربه، وصدق عليهم قوله عليه السلام[1]: على خلفائي رحمة الله - قيل: ومن خلفاؤك؟. قال: الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله".

"وقد صح وثبت عند كافة أهل الإيمان أنهم كانوا على إحياء سنة رسول الله وتعليمها لعباد الله حتى ماتوا على ذلك، فهم من غير شك من أعظم شعائر الله، وقد انعقد الإجماع عند أهل الإجماع، وهم: أهل الكتاب والسنة، أنهم كانوا كلهم - رضي الله عنهم - أئمة هدى، هادين مهديين، وأنهم ورثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به عن الله من الهدى والعلم، وداعون إلى الله على بصيرة، وأنهم محفوظون بحفظ الله في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، ومُنَزَّهُون عن كل وصف يؤدي إلى النقص[2]، ومتصفون بكل وصف يشهد له الكتاب والسنة بالكمال، بالتفصيل والإجمال، ولا يجوز الشك فيهم، ولا تكذيبُهم، ولا استنقاصُهم، ولا الاستخفافُ بهم. ومن استخف بهم أو استنقصهم أو كذبهم، أو شك فيهم؛ فقد استوجب الحكم على ما يقتضيه الشرع العزيز".

"وقد أوجب الله تعظيمهم وتنزيههم عما لا يليق بمناصبهم العلية، بأن جعلهم وارثين لأكرم خلقه ما[3] بعثه به لخلقه، فجعلهم سادة، وأوجب علينا الاقتداء بهم بقوله صلى الله عليه وسلم[4]: إنما جُعل الإمام ليؤتَم به، فلا تختلفوا عليه. وقد قال

---

(1) هذا لفظ ابن عساكر في "تاريخ دمشق" 61/51، عن الحسن مرسلا، وهو عنده من تمام الحديث السابق تخريجه. ورواه الطبراني في "الأوسط" 77/6عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: "اللهم ارحم خلفاءنا" قلنا: "يا رسول الله؛ ومن خلفاؤك؟". قال: "الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي ويعلمونها الناس". وفيه: أحمد بن عيسى الهاشمي، قال الدارقطني: "كذاب".

(2) يعني بذلك: النقصَ المُخِلَّ بالعدالة التي هي شرط من شروط التحمل والأداء في عموم الرواة والمبلغين عن رب العالمين، فضلا عن الأئمة المتَّبعين، الذين شُهد لهم ببلوغ المراتب العلية في العلم والزهد والعمل. ولا يذهب بك لفظُ العلامة علي بن ميمون رضي الله عنه إلى القول بعصمتهم.

(3) صلة وصل في محل نصب مفعول به ثان، وعامله: "فجعلهم"، أي: أنهم ورثوا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم موروثه وهو: علمه.

(4) رواه البخاري في "صحيحه" 253/1 ح 689 ومسلم في "صحيحه" 309/1 ح 414 كلاهما عن =

تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر/7]، فمما جاءنا به نبيُّنا [11] عن ربنا هذا الحديث، وفيه الأمر والنهي، فالأمر: قوله: إنما جُعل الإمام ليؤتم به. والنهي: قوله: فلا تختلفوا عليه. فقد لزمنا فرضا محتوما اتباعُهم بالكتاب والسنة، ومن خالفهم فهو مخالف للكتاب والسنة، لم يمتثل معنى الكتاب والسنة في تعظيمهم وتشريفهم، وتنزيههم عما لا يليق بهم، وخَرَقَ الإجماع، ومن خرق الإجماع فقد عرض نفسه لإراقة دمه[1]، ودمُه هدر؛ لكونه ارتكب مركب الغرق، وأهان ما أوجب الله تعظيمه.

ويجب على كل مؤمن عاقل أن يعتقد أنهم محفوظون من حظوظ النفس بكل الوجوه، وحرام أن يعتقد في حقهم ذلك، بل من خطر له خاطرٌ وَسْوَسَ نفسَه بشيء من ذلك؛ وجب عليه مجاهدتُه وطرده، لأنه من الشيطان، يريد أن تسكُن النفس إلى ذلك حتى يستوجب صاحبُها المقت من الله ويهلك في دينه، ثم ينطق به، والنطق به حرام، موجب للأحكام".

"ومن الدليل على أنهم مُبَرَّءُون من ذاك، محفوظون منه من غير شك عند ذوي الألباب، العارفين بالسنة والكتاب: ما وقع في نقل المالكية أن أبا حنيفة ومالكا تناظرا، فلما انفصلا من مناظرتهما سُئل مالك عن أبي حنيفة، فقال: رأيت رجلا - أو قال: شيخا - لو أراد أن يُقيم الدليل على هذه الأسطوانة – أي: السارية – أنها من ذَهَبٍ؛ لفعل[2]. وشهد له بكمال المعارف والعلوم، ولم يُفهم من كلام

=

أبي هريرة رضي الله عنه.

(1) في هذا المبحث تفصيل دقيق عند الأصوليين، إليك مختصرا منه، من كتاب "البرهان في أصول الفقه" لإمام الحرمين الجويني، قال رحمه الله 463/1: "فشا في لسان الفقهاء أن خارق الإجماع يكفر، وهذا باطل قطعا، فإن من ينكر أصل الإجماع لا يكفر، والقول في التكفير والتبرؤ ليس بالهين، ولنا فيه مجموع؛ فليتأمله طالبه؛ نعم، من اعترف بالإجماع وأقر بصدق المجمعين في النقل ثم أنكر ما أجمعوا عليه؛ كان هذا التكذيب آيِلا إلى الشارع عليه السلام، ومن كذب الشارع كفر. والقول الضابط فيه: أن من أنكر طريقا في ثبوت الشرع لم يكفر، ومن اعترف بكون الشيء من الشرع ثم أنكره؛ كان منكرا للشرع، وإنكار جزئه كإنكار كله. والله أعلم".اهـ. قلت: وهذا النوع الثاني هو مقصود ابن ميمون رحمه الله هنا، فليُعلم.

(2) "تاريخ بغداد" 338/13.

مالك في حقه شيء مما يُكره أصلا[1]".

"وسُئِلَ أبو حنيفة عن مالك، فأجاب بالثناء الجميل، وشهد له بكمال العلم والمعرفة، ولم يُفهم من كلام أبي حنيفة في حقه شيء مما يكره أصلا".

"ومناظرتُهما إنما كانت لطلب الحق وإظهاره، فحيث ظهر وجب اتباعه، وكل واحد منهما سلَّم لصاحبه مقامه، وشهد له فيه بالكمال التام".

"وليس الأمر على ما تُعورف في زماننا هذا[2]، الكثيرِ الشرِّ القليل الخير، أن المتناظِرَيْن يقصد [12] كلٌّ منهما الرياسة بإظهار العلم والمعرفة والصواب، ونسبة ذلك لنفسه وضده لغيره، لاستمالة وجوه الناس وقلوبهم إليه، لأجل حُطام الدنيا من الجاه والمال، وذلك سالب للدين، وحرام بالكتاب والسنة والإجماع".

"والأئمةُ المذكورون كانوا عارفين بأنفسهم، بدليل ما تقدم في حقهم، ومِن لازم ذلك: معرفتهم بربهم. ولمَّا عرفوا أنفسهم وربَّهم جعلهم تعالى أئمة يُقتدى بهم، وأوجب علينا متابعتهم فيما بَلَغَنا عنهم من معنى الكتاب والسنة. ﴿ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة /54]، ﴿ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾. [البقرة/105]".

"ومن نظر أحدًا منهم بشيء من حظ النفس، نعوذ بالله من ذلك؛ فقد استوجب الهلاك في الدنيا والآخرة إلا أن يتوب، وقد جعل تعالى قلوبهم مَحلاً

(1) ولما أسند الخطيب هذه المقولة، نقل عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قولَه: "يعني: أنه كان يثبت على الخطأ ويحتج دونه ولا يرجع إلى الصواب إذا بان له".اهـ. قلت: وليس هذا مقصودَ مالك بن أنس رحمه الله، كما ألمح إليه الإمام ابن ميمون هنا، بل مراده: التنويه بذكائه والإشارة إلى قوة حجته، وكلام ابن أبي حاتم رحمه الله تعصب ضد أبي حنيفة سامحه الله. وقد أسند أبو نعيم في "الحلية" 324/6 عن منصور بن أبي مزاحم أنه: "لم يثبت شيء عن مالك في الطعن في أبي حنيفة".

(2) رحم الله الإمام سيدي علي بن ميمون، لو رأى ما ابتليت به الأمة في زماننا هذا من تصدر الأرذال الجهال للتناظر في الفروع والأصول، مع جهل مركب، وسوء نية، وقلة خلق، وعشق الصغار والأحداث لمناظرة العلماء والشيوخ في ما لا يحسنون قراءته، فضلا عن فهمه، فضلا عن التناظر فيه. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

لحكمته ورحمته ورضوانه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾. [الأنعام/124]".

"ومن الدليل على طهارة قلوبهم وتنزيهها عما سوى معبودها تعالى: ما نُقل[1] عن الشافعي أنه قال: ما ناظرت أحدا إلا وأردت أن يكون الحق معه. فانظر التبرِّي من النفس وعدمَ وجودها بالكلية، ومحوَها وفناءَها".

"وآثارُهم من الأقوال والأفعال والأحوال، ومناقبُهم في كتب كلِّ مذهب، منشورةٌ مشهورةٌ كاشتهارهم واشتهار شمس الضحى[2]".

"ثم إن الواجب عندنا في مذهبنا: إقامةُ الحَدِّ على من نسب إلى إمام منهم ما لا يليق به، كما يجب شرعا على من سمعه إن كان ممن بسط الله يده في الأرض من العلماء والولاة، وإلا؛ وجب عليه أن يرفع الأمر لمن ولاَّه الله النظر في ذلك فيقيمه عليه، ومن لم يفعل؛ فهو عاص لله ورسوله، مستوجبٌ لغضب الله؛ لكونه أهان ما عظم الله من شعائره، إلا أن يتوب".

"ومن المعلوم: أن كلَّ واحد منهم له أتباع، وأنه يجب عليهم أن يتبعوه في جميع ما بلغهم عنه، ولا تجوز مخالفته؛ [13] لكونه عصيانا لله ورسوله".

"ومن المعلوم: أن بينهم اختلافا في فروع الشريعة كما هو معلوم في جميع المذاهب، وسبب ذلك: اختلاف آرائهم عند الاجتهاد، واجتهادهم بنور الكتاب والسنة، وذلك هو الطريق المحمدية. فكلٌّ منهم على ما أداه إليه اجتهاده بإلهام من ربه، قال تعالى: ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾. [الإسراء/20]، فكلٌّ منهم على هدى من الله في رأيه واجتهاده".

"وعندنا أنَّ: كلَّ مجتهد منهم مصيبٌ[3]. دليله قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَـٰنَ

---

(1) أوردها ابن حبان في "صحيحه" 498/5، وأبو نعيم في "حلية الأولياء" 118/9.

(2) منها: كتاب الحافظ ابن عبد البر: "الانتقاء بفضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء".

(3) قال الأمير الصنعاني في "إجابة السائل" ص 391: "هذه المسألة المشهورة بين الفقهاء بأن "كل مجتهد مصيب"، أي: في ظنيات المسائل. وإليه ذهب أكثر الزيدية وغيرُهم من أهل المذاهب الأربعة، وفيها خلاف".

ثم قال: "وتحرير محل النزاع: أن معنى مصيب من إصابة السهم الغرض، لا من الصواب =

إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ ...إلى أن قال: وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًا ﴾. [الأنبياء/78]". اهـ. ما مست الحاجة إليه، من كلام سيدي علي ابن ميمون، وهو كلام مُنَوَّرُ الغاية وفوق النهاية، حقه أن يكتب بالنُّضار[1] على سواد العيون.

وترجمة هذا السيد الجليل مبسوطة بـ: "دوحة الناشر" لابن عسكر[2]، و"الدر النفيس" للحلبي. وانظر قوله: "وقد انعقد الإجماع عند أهل الإجماع"...الخ.

[الاختلاف في تكفير منكر الإجماع][3]:

وفي "الشفا"[4]: "فأما من أنكر الإجماع المجرَّد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع؛ فأكثرُ المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كلِّ من خالف الإجماع الصحيح، الجامع لشروط الإجماع المتفق عليه عموما،

=

الذي هو ضد الخطأ. فما أدى إليه نظر المجتهد؛ فهو حكم الله الواقع ولا حكم له تعالى في المسألة معين، فهو نظير الواجب المخير، فالمطلوب من المجتهد أحد الأحكام الخمسة لا على جهة التعيين، فما ظنه المجتهد فهو حكم الله وما ظنه الآخر فهو حكم الله، وهذا معنى قولهم: إن حكم الله تابع لنظر المجتهد".اهـ.

والمسألة طويلة الخلاف بين الأصوليين والفقهاء، قال الشاطبي في "الموافقات" 124/4: "ومنها: أن العلماء الراسخين الأئمة المتقين اختلفوا هل كل مجتهد مصيب، أم المصيب واحد؟. والجميع سوغوا هذا الاختلاف، وهو دليل على أن له مساغا في الشريعة على الجملة. وأيضا؛ فالقائلون بالتصويب، معنى كلامهم: أن كل قول صواب، وأن الاختلاف حق، وأنه غير منكر ولا محظور في الشريعة".اهـ.

(1) قال الرازي في "مختار الصحاح" ص 277: "النَّضر بوزن النصر، والنُّضار بالضم، والنضير الذهب؛ وقيل: النضار، الخالص من كل شيء".

(2) ص 32-33-34 ترجمة رقم 15.

(3) انظر تفصيلا حول تكفير منكر الإجماع، في خاتمة كتاب "البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور"، لابن أخت المؤلف، الإمام المجتهد المجدد أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني قدس سره، فقد استفاض في الموضوع تحقيقا وبحثا، وهو مطبوع بدار الكتب العلمية، بتحقيق الدكتور إسماعيل مساوي.

(4) 290/2.

وحجتهم قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ﴾. [النساء/ 115]. الآية، وقولُه صلى الله عليه وسلم[1]: من خالف الجماعة قيدَ شِبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه".

"وحَكَوُا الإجماعَ على تكفير من خالف الإجماع، وذهب آخرون إلى الوقوف على القطع بتكفير من خالف الإجماع الذي يختص بنقله العلماء، وذهبَ آخرون إلى التوقف في تكفير من خالف الإجماع الكائن عن نظر، كتكفير النَّظَّام[2] بإنكاره الإجماع[3]، لأنه بقوله هذا مخالف إجماعِ السلف باحتجاجهم به، خارقٌ للإجماع".اهـ.

وفي "روح البيان"[4]: "إن الأئمة الأربعة في أصل الكمال وحقيقة الفضل كالحلقة المفرغةِ؛ لا يُدْرَى أين طرفاها [14]، ليس يعرفه من يعرف ويغفُل عنه من يغفُل، ورئيسُ أهل الذكر الصوفية الحنفية هو: الإمام الأعظم أبو حنيفة، ورئيس أهل الذكر الصوفية الشافعية هو: الإمام الشافعي الأفضل، ورئيس أهل الذكر الصوفية الحنبلية هو: الإمام الحنبلي التَّقِيّ، ورئيس أهل الذكر الصوفية المالكية هو:

---

(1) تقدم تخريجه ص 14.

(2) أبو إسحاق إبراهيم بن سيار، مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم، شيخ المعتزلة صاحب التصانيف، تكلم في القدر وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ. وكان يقول: إن الله لا يقدر على الظلم ولا الشر، ولو كان قادرا لكنا لا نأمن وقع ذلك، وإن الناس يقدرون على الظلم، وصرح بأن الله لا يقدر على إخراج أحد من جهنم، وأنه ليس يقدر على أصلح مما خلق. قال الذهبي في "أعلام النبلاء" 542/10: "ولم يكن النظام ممن نفعه العلم والفهم، وقد كفره جماعة، وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويُخفي ذلك.وله نظم رائق وترسل فائق، وتصانيف جمة؛ منها: كتاب "الطفرة"، وكتاب: "الجواهر والأعراض"، وكتاب: "حركات أهل الجنة"، وكتاب: "الوعيد"، وكتاب: "النبوة"، وأشياء كثيرة لا توجد...ورد أنه سقط من غرفة وهو سكران؛ فمات في خلافة المعتصم أو الواثق سنة بضع وعشرين ومئتين". هـ.

(3) قال الجويني في "البرهان في أصول الفقه" 434/1: "المسألة الثانية: في كونه - أي: الإجماع - حجة إذا وقع: ما ذهب إليه الفرق المعتبرون من أهل المذاهب أن الإجماع في السمعيات حجة، وأول من باح برده النظام، ثم تابعه طوائف من الروافض".اهـ.

(4) 406/7 عند قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر عليهما السلام من سورة الكهف.

الإمام مالك الزَّكِيّ. وهؤلاء الأئمة العظام، كالخلفاء الأربعة الفخام، كالنجوم بل كالأقمار، بل كالشمس بأيهم اقتدى السالكُ اهتدى إلى الحق المبين، وهم لدين الحق كالأركان الأربعة للبيت، وهم - أيضا - من سائر الأقطاب والأولياء كالعرش والشمس من الأفلاك والنجوم، وليس لغيرهم من بعدهم إلى يوم القيامة، بدون الاقتداء بهم اهتداء إلى طريق الجنة والرؤية".

"ومن اقتدى بهم في الشريعة والطريقة والحقيقة، وعلم علومهم، وعمل أعمالهم، وتأدب بآدابها على مذهب أيهم كان، بحسب وُسْعه؛ فلا شك أنه اقتفى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن لم يقتد بهم في ذلك؛ فلا شك أنه ضل عن أثر الرسول، وخرج عن دائرة القبول".اهـ.

وفي "جمع الجوامع" وشرحه للشيخ جلال الدين المَحلي[1]: "ونرى أنَّ الشافعيَّ ومالكا وأبا حنيفة والسفيانين وأحمد والأوزاعيَّ وإسحاق وداود...وسائرَ أئمة المسلمين على هدى من ربهم في العقائد وغيرها، ولا التفات لمن تكلم فيهم بما هم بريئون منه".

"قال المصنف: وقولُ إمامِ الحرمين: إن المحققين لا يقيمون للظاهرية وزنا، وإن خلافهم لا يُعتبر، محلُّه عندي: ابنُ حزم وأمثالُه، وأما داود؛ فمعاذَ الله أن يقول إمامُ الحرمين أو غيرُه أن خلافَه لا يعتبر[2]، فلقد كان جبلا من جبال العلم والدين[3]، له من سداد النظر وسعة العلم، ونور البصيرة، والإحاطة بأقوال الصحابة

(1) 222/6 مع حاشية العطار على شرح المحلي.

(2) للعلامة الأصولي سيدي عبد الحي ابن الصديق الغماري رسالةٌ يفند فيها مقالة عدم اعتبار خلاف داود، مرقونة على الآلة الكاتبة سماها: "الإقناع باعتبار خلاف داود للإجماع".

(3) داود بن علي بن خلف: الإمام البحر الحافظ العلامة عالم الوقت، أبو سليمان البغدادي المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي، رئيس أهل الظاهر، مولده سنة مائتين (200 هـ)، قال أبو بكر الخطيب: "صنف الكتب، وكان إماما ورعا ناسكا زاهدا، وفي كتبه حديث كثير، لكن الرواية عنه عزيزة جدا".اهـ. قال أبو عمرو المستملي: "رأيت داود بن علي يردُّ على إسحاق بن راهويه، وما رأيت أحدا قبله ولا بعده يرد عليه، هيبة له".اهـ. قال أبو عبد الله المحاملي: "رأيت داود بن علي يصلي، فما رأيت مسلما يشبهه في حسن تواضعه".اهـ. وقال الذهبي في "السير" 97/13 خلال ترجمته: "وفي الجملة؛ فداود بن علي بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء =

والتابعين [15]، والقدرة على الاستنباط؛ ما يعظُم وقعُه، وقد دُوِّنَتْ كتبُه وكثُرت أتباعه، وذكره الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في "طبقاته"[(1)] من الأئمة المتبوعين في الفروع، وقد كان مشتهَرًا في زمن الشيخ وبعده بكثير، لاسيما في بلاد فارس شيراز، وما والاها إلى ناحية العراق وفي بلاد المغرب".

"وأن الشيخ أبا الحسن الأشعري إمام السنة والطريقة المعتقدة، مُقدَّم فيها على غيره، ولا التفات لمن تكلم فيه بما هو بريء منه".

"وأن طريقَ الشيخِ الجنيد - سيدَ الصوفية علما وعملا - وصحبِه طريقٌ مقدَّم، فإنه خالٍ من البدع، دائرٌ على التسليم والتفويض، والتبرّؤ من النفس، ومن كلامه[(2)]: الطريق إلى الله تعالى مسدود على خلقه، إلا على المقتفين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال: رأيتُ في المنام أني أتكلم على الناس، فوقف عليَّ ملكٌ فقال: ما أقربُ ما يتقرَّب به المتقربون إلى الله سبحانه وتعالى؟. فقلت: عملٌ خفيٌّ بميزان وَفِيّ. فولَّى وهو يقول: كلام موفَّق واللهِ".

"ولا التفات لمن رماهم في جملة الصوفية بالزندقة عند الخليفة السلطان، حتى أمر بضرب أعناقهم، فأمسكوا، إلا الجنيدَ فإنه تَسَتَّر بالفقه، وكان يُفتي على مذهب أبي ثور شيخِه. وبسط لهم النَّطع، فتقدم من آخرهم أبو الحسين النوري[(3)] للسياف، فقال له: لم تقدمت؟. فقال: أوثِرُ أصحابي بحياة ساعة. فبُهت، وأنهى الخبرَ إلى الخليفة، فردَّهم إلى القاضي[(4)]، فسأل النوريَّ عن مسائل فقهية، فأجابه

=

خارق، وفيه دين متين". توفي رحمه الله سنة سبعين ومئتين (270 هـ). انظر "طبقات الفقهاء" 102/1، و"طبقات الشافعية" 77/2.

(1) 102/1.

(2) "صفة الصفوة" 418/2.

(3) هو: أحمد بن محمد الخراساني البغوي الزاهد، شيخ الطائفة بالعراق، وأحذقهم بلطائف الحقائق، وله عبارات دقيقة، صحب السري السقطي وغيره، وكان الجنيد يُعظِّمُه. ولما مات النوري؛ قال الجنيد: "ذهب نصف العلم بموته". توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين ومائتين (295 هـ)، ترجمته في "حلية الأولياء" 294/10 و"طبقات الصوفية" ص 135 و"سير أعلام النبلاء" 70/14.

(4) وهو: قاضي القضاة إسماعيل بن إسحاق.

عنها، ثم قال: وبعد؛ فإن لله عبادا إذا قاموا قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله...إلى آخر كلامه، فبكى القاضي، وأرسل يقول للخليفة: إن كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الأرض مسلمٌ، فخلَّى سبيلَهم، رحمهم الله ونفعنا بهم"[1].اهـ.

[تقرير كبار علماء الإسلام أن الأشاعرة هم أهل السنة والجماعة]:

وفي "أجوبة ابن رشد"[2]: "والشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو إسحاق الإسفراييني، وأبو بكر الباقلاني وأبو بكر ابن فورك، وأبو المعالي وأبو الوليد الباجي...ونظراؤهم ممن ينتحل [16] علمَ الكلام، ويتكلم في أصول الدين في الرد على أهل الأهواء: أئمةُ خيرٍ وهدى، ممن يجب بهم الاقتداء، لأنهم قاموا بنصرة الشريعة، وأبطلوا شُبَهَ أهلِ الزيغ والضلالة، وأوضحوا المشكلات، وبينوا ما يجب أن يدان به من المعتقدات؛ فهم بمعرفتهم بأصول الديانات العلماءُ على الحقيقة بالله عز وجل، وما يجب وما يجوز وما يستحيل، إذ لا تُعرف الفروع إلا بعد معرفة الأصول!".

"ولا يَعتقدُ أنهم على ضلالة وجهالة إلا أحمقُ غبيٌّ جاهل، أو مبتدع زائغ عن الحق، ولا يسبُّهُم إلا فاسقٌ...الخ".

ونحوُه في "الأجوبة الحديثية"[3] للهيتمي، وصدَّر الجوابَ بقوله: "ليسوا كما قال ذلك المخارق المارق، المجازف المخارق، الضال القال الجاهل المائل، بل هم أئمة الدين، وفحول علماء المسلمين".

ثم قال: "والواجب: الاعتراف بفضلهم وسابقتهم، وأنهم من جملة المرادين بقوله صلى الله عليه وسلم[4]: يحمل هذا العلم...الحديث". ويأتي آخر هذا الفصل.

---

(1) وهذه القصة بطولها مسندة في "حلية الأولياء" 251/10، وفي "تاريخ بغداد" 134/5.

(2) ص 120.

(3) ص 272.

(4) رواه الخطيب في "شرف أصحاب الحديث" ص 28 من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين". وهذا الحديث رواه من الصحابة: عليٌّ وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وجابر بن سمرة ومعاذ وأبو هريرة رضي الله عنهم، وأورده ابنُ عدي من طرق كثيرة، كلها ضعيفة كما صرح به الدارقطني وأبو نعيم وابن =

"فينبغي تبصير الجاهل، وتأديب الفاسق، واستتابة المبتدع، وإلا؛ فقال بعض أئمة المالكية: يُضرب إلى أن يموت"...الخ.

[من مناقب أئمة الكلام الأشاعرة]:

وفي "نفح الطيب"[1]: "قيل لأبي ذر الهروي: أنت من هراة، فمِن أين تمذهبت لمالك والأشعري؟. فقال: إني قدمتُ بغداد أطلب الحديث، فلزمت الدارقطني، فلما كان في بعض الأيام كنت معه، فاجتاز به القاضي أبو بكر ابن الطيب، فأظهر الدارقطني من إكرامه ما تعجبتُ منه. فلما فارقه قلت: أيها الشيخ الإمام؛ مَن هذا الذي أظهرتَ من إكرامه ما رأيت؟. فقال: أوَما تعرفه؟. قلت: لا. فقال: هذا سيف السنة أبو بكر الأشعري. فلزمتُ القاضي منذ ذلك، واقتديتُ به في مذهبه".اهـ.

من كان في الحشر له عدة	تنفعه في عرصة المحشر
فعُدتي: حُب نبي الهدى	ثم اعتقاد مذهب الأشعري
واضعه هو: الإمام الأشعر	أتى به من كل شبهة عري
يأمَرَهُ به الرسول رُؤيا	فكان أحسن الأنام رَأيا

بلغت تواليفه في عقائد [17] أهل السنة والذب عنهم: ثلاثمائة وثمانين.

وكان الصحابة - رضي الله عنهم - ببركة المصطفى صلى الله عليه وسلم على عقد واحد، وهو ما عليه الآن أئمةُ السنة رضي الله عنهم، المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات/173].

كلٌّ يغني بالذي أبو الحسن[2]	رأى، وقد غنت به أمُّ الحسن[3]
حب طريقة جلا أبو الحسن[4]	ببصرة خلعتها على الحسن[5]

=

عبد البر، لكن يمكن أن يقوى بتعدد طرقه، ويكون حسنا كما جزم به ابن كيكلدي العلائي.

(1) 981/2.

(2) أي: الأشعري. مؤلف.

(3) أي: فاطمة. مؤلف.

(4) أي: علي بن أبي طالب. مؤلف.

(5) أي: البصري. مؤلف.

وبعـــدها طـــرزها أبـــو الحـــسن[1] فمـــا لـــه ورَثَ مـــن أم الحـــسن

ومن هنا استصوب ابنُ عساكر القول بـ[2]: أنه المجدد على رأس المائة الثالثة.

[المذهب الأشعري هو أقرب مذاهب المتكلمين للعرفان]:

وقال أبو سالم العياشي في "رحلته": "قال لي شيخُنا المُلاً إبراهيم يوما: ما رأيتُ مذهبا من مذاهب أئمة المتكلمين أقربَ إلى مذاهب العارفين وأشبهَ بها من مذهب أبي الحسن الأشعري. فما قال العارفون أهلَ الكشف في مسألة بخلاف أقوال المتكلمين إلا وجدتُ قولَ الأشعري أقرب إلى قولهم من غيره، بحيث يمكن ردُّه إلى أقوالهم بأدنى تأويل، بل المواضع المستشكَلة من كلامه جاريةٌ على ما يقوله أهلُ الكشف، ولذلك أشكَلَتْ على من لم يبلغ مقامَه في المعرفة من أهل الظاهر!. ومن طالع كتب المؤلفين في عقائد العارفين وإجماعاتهم؛ وجدها لا تباين مذاهب أهل السنة والجماعة فيما اتفقوا عليه، وقريبةً من مذهب الأشعري فيما اختلفوا فيه".

"وقد ذكرتُ كلام شيخنا الملا لشيخنا صدرِ الجماعة وإمامِ أهل كلِّ صناعة العلامة العارف المحقق سيدي عبد القادر بن علي الفاسي[3]، فصدقه في ذلك، وقال: لاشك أن الإمامَ الأشعريَّ كان له حظ وافر من العلم بالله والمعرفة به، مُؤيَّدا في أقواله مُبرَّءًا في آرائه، غيرَ خال من الكشف الصحيح والذوق الصريح، لولا ما أقامه الله فيه من مناظرة أهل الأهواء ومناضلتهم، والجري معهم على نحو ما عرفوه

---

(1) أي: الشاذلي. مؤلف.

(2) في كتابه "تبيين كذب المفتري" ص 53.

(3) الفقيه الإمام المحدث الأصولي أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، شيخ الإسلام، المولود بالقصر الكبير سنة سبع وألف (1007هـ) والمستقر بفاس، قد وقع الإطباق من مشايخ عصره على تبحره في علمي الظاهر والباطن، وهو وإن لم يصدَّ لتأليف خاص مستقل لكن كانت له أجوبة في شتى العلوم والفنون جمعت في سفرين، كما له كتاب في العقيدة منسوبة إلى اسمه، وكراسة في الفرائض والسنن، ورسالة في الإمامة العظمى، وجمع حواشي عمه العارف الفاسي على الجلالين وعلى الصحيح. توفي رحمه الله بفاس عام واحد وتسعين وألف (1091هـ).

من أدلة المتكلمين؛ لكان رأسا في طريق القوم، وإمام العارفين في زمانه، وقد شهد له بذاك أهل البصائر من العارفين في زمانه".اهـ [18].

وانظر كتاب: "تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري"(1) فقد أتى فيه من أدلة الكتاب والسنة، وأقاويل السلف والخلف بما لا يمتري معه عاقلٌ خالٍ من التعصب أنه إمامُ السنة ورئيسُ الجماعة المضمون لها العصمة من الله.

وما ألطف قول القائل(2):

الأشـــــعرية قـــــوم قـــــد وُفقـــــوا للـــــصواب
لـــم يخـــرجوا فـــي اعـــتقاد عـــن ســـنة أو كـــتاب

[اجتهادات الأئمة المتبعين هي عين الشريعة]:

وفي "الميزان الكبرى"(3) بعدما قرر قاعدة: "فانظر - يا أخي - إلى حسن هذه القاعدة ووضوحها، وكم أزالت من إشكالات معجَمة، وأفادت من أحكام محكمة، فإنك إذا نظرت فيها بعين الإنصاف؛ تحقَّقْتَ بصحة الاعتقاد أن سائر الأئمة الأربعة ومقلديهم - رضي الله عنهم أجمعين - على هدى من ربهم في ظاهر الأمر وباطنه، ولم تَعتَرض قطُّ على من تَمسَّك بمذهب من مذاهبهم، ولا على من انتقل من مذهب منها إلى مذهب، ولا على من قلد غيرَ إمامه منهم في أوقات الضرورة، لاعتقادك - يقينا - أن مذاهبهم كلَّها داخلةٌ في سياج الشريعة المطهرة، وأنها جاءت شريعةً سمحة واسعة شاملة، قابلةً لسائر أقوال أئمة الهدى من هذه الأمة المحمدية، وأن كُلاًّ منهم فيما هو عليه في نفسه على بصيرة من أمره وعلى صراط مستقيم".اهـ.

وفيها أيضا(4): "فإن قال قائل: فمِن أين جعلتم كلامَ المجتهدين من جملة الشريعة، مع أن الشارع لم يصرح بما استنبطوه؟".

"فالجواب: أنه يجب حملُهم على أنهم علموا ذلك الوجوب أو التحريم من قرائن الأدلة، أو علموا أنه مُرادُ الشارع من طريق كشفهم، لا بدّ لهم من أحد هذين

(1) المطبوع بالمكتبة الأزهرية بتقديم وتحقيق الإمام العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله.
(2) بيتان من المجتث. مؤلف.
(3) ص11.
(4) ص23.

الطريقين، وقد يجتمعان عند بعض المجتهدين".

"وكان ابن حزم يقول: جميع ما استنبطه المجتهدون معدود من الشريعة، وإن خفي دليلُه على العوام. ومَن أنكر ذلك؛ فقد نسب الأئمة إلى الخطأ، وأنهم يُشَرِّعُون ما لم يأذن به الله، وذاك ضلال من قائله عن الطريق. والحق أنه: يجب [19] اعتقاد أنهم لولا رأوا في ذلك دليلا ما شرعوه.اهـ".

"ويكون على علم الإخوان أن لكل سنة سنها المجتهدون أو بدعة حرمها المجتهدون درجةً في الجنة أو دركا في النار، وإن تفاوت مقامهم، ونزل عما سنه الشارع أو كرهه، كما صرح به أهل الكشف. فاعلم ذلك، واعمل بكل ما سنه لك المجتهدون، واترك كلَّ ما كرهوه، ولا تطالبهم بدليل في ذلك، فإنك محبوس في دائرتهم، مادمت لم تصل إلى مقامهم لا يمكنك أن تتعداهم إلى الكتاب والسنة، وتأخذ الأحكام من حيث أخذوا أبدا".

"فإن توقف إنسانٌ في حصول الثواب بما سنه المجتهدون، وطالبَنا بالدليل على ذلك؛ قلنا له: إما أن تؤمن بأن سائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم، فلا يسعه إن كان صحيح الاعتقاد إلا أن يقول: نعم. فنقول له: فحيثما آمنتَ بأنهم على هدى من الله تعالى وأن مذاهبهم صحيحة؛ لَزِمك الإيمان بالثواب لكل من عمل بها على وجه الإخلاص، وحصول المراتب لمن عمل بها في الجنة وإن تفاوت المقام، فإن ما سنه الشارعُ أعلى مما سنَّه المجتهد، لاسيما وقد قال صلى الله عليه وسلم[1]: من سَن سُنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. فافهم!".

"وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول[2]: ما ثَمَّ قولٌ من أقوال العلماء إلا وهو مستند إلى أصل من أصول الشريعة لمن تأمل؛ لأن ذلك القول إما أن يكون راجعا إلى آية أو حديث، أو أثر أو قياس صحيح على أصل صحيح. لكن من أقوالهم ما هو مأخوذ من صريح الآيات أو الأخبار، أو الآثار، ومنه ما هو مأخوذ من المأخوذ أو من المفهوم...فمن أقوالهم ما هو قريب، ومنها ما هو أقرب، ومنها ما هو [20] بعيد، ومنها ما هو أبعد، ومرجعها كلها إلى الشريعة؛ لأنها مقتبِسةٌ

(1) "صحيح مسلم" 705/2 ح 1017 عن جرير رضي الله عنه.

(2) "الميزان الكبرى" ص44.

من شعاع نورها، وما ثم لنا فرعٌ يتفرع من غير أصل أبدا".

"وإنما العالِمُ كلَّما بَعُد عن عين الشريعة؛ ضعف نورُ أقواله بالنظر إلى نور أول مُقتبِس من عين الشريعة الأولى ممن قرب منها".

"وسمعته يقول: كلُّ من اتسع نظرُه من العلماء ورأى عينَ الشريعة الأولى وما تفرع منها في سائر الأدوار، واستصحب شهودَ ما تفرع منها في سائر الأدوار، وهو نازل إلى آخر الأدوار؛ أقرَّ بحقية جميع مذاهب الأئمة ومُقلديهم من عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عصره هو".اهـ.

[سبب ترجيح مذهب المتأخرين على المتقدمين]:

واعتقادُنا في جميع الأئمة المجتهدين أنهم كانوا لايُثبتُون لهم قولا في الشريعة إلا عند فقدهم النصَّ في ذلك عن الشارع، وإنما قدَّم العلماءُ كلامَ المجتهد غير الصحابي على كلام الصحابي في بعض المسائل، لأن المجتهد لتأخره في الزمن أحاط علما بجميع أقوال الصحابة أو غالبِهم. أيْ: فيجب أن يُظنَّ به أنه لم يخالف الصحابيَّ إلا لدليل أقوى من مذهب الصحابي، ومن لم يظنَّ هذا؛ فقد نسب المجتهد إلى الجهل بمقام الصحابي، وهو محال، وهذا سبب ترجيح مذهب المتأخرين على المتقدمين، مع العلم بفضلهم عليهم؛ لكون المتقدمين سمعوا الأحاديث آحادا، أو تفرقوا في البلاد، فاختلفت فتاويهم وأقضيتُهم، وربما بلغتهم الأحاديث فوقفوا عما أفتوا به وحكموا، ولم يتفرغوا لجمع الأحاديث لاشتغالهم بالجهاد وتمهيد الدين.

فلما انتهى الناس إلى تابعي التابعين؛ وجدوا الإسلام مستقرا ممهَّدا، فصرفوا هممَهم إلى جمع الأحاديث، ونظروا بعد الإحاطة بجميع مدارك الأحكام، ولم [21] يخالفوا ما أفتى به الأول إلا لدليل أقوى منه، ولهذا لم يُسمَّ في المذهب بَكري ولا عُمَرِي. قاله الغزالي لما سأله ابنُ العربي عن ذلك.

وفي "جمع الجوامع"[1] وشرحه للمَحَلِّي: "وفي تقليده – أي: الصحابي، أي: تقليدِ غيرِه له – قولان: المحققون - كما قال إمامُ الحرمين - على المنع؛ لارتفاع الثقة بمذهبه، بخلاف مذهب كلٍّ من الأئمة الأربعة، لا لنقص اجتهاده عن

(1) 371/5 مع حاشية العطار.

اجتهادهم".اهـ.

[لا يُنكَر على قول المجتهد إلا بعد الإحاطة بأدلة الاجتهاد]:

ثم قال الشعراني[1]: "وسمعت شيخَنا شيخ الإسلام زكرياءَ رحمه الله يقول: إياكم أن تبادروا إلى الإنكار على قول مجتهد أو تخطئته إلا بعد إحاطتكم بأدلة الشريعة كلها، ومعرفتِكم بجميع لغات العرب التي احتوت عليها الشريعة، ومعرفتِكم بمعانيها وطرقها، فإذا أحطتُم بها كما ذكرنا، ولم تجدوا ذلك الأمر الذي أنكرتموه فيها؛ صحَّ لكم الإنكارُ، والخير لكم. وأنى لكم بذلك وقد روى الطبراني مرفوعا[2]: إن شريعتي جاءت على ثلاثمائة وستين طريقة، ما سلك أحد طريقة منها إلا نجا؟!".

[السر في اختلاف آراء المجتهدين]:

"وسمعتُ[3] بعضَ أهل الكشف يقول: إنما تَعبَّد اللهُ تعالى المجتهدين بالاجتهاد؛ ليحصُل لهُم نصيب من التشريع، ويثبُت لهم فيه القدم الراسخة، فلا يتقدم عليهم في الآخرة سوى نبيِّهم محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فيُحشَرُ علماءُ هذه الأمة، حفاظُ أدلة الشريعة المطهرة، العارفون بمعانيها، في صفوف الأنبياء والرسل، لا في صفوف الأمم. فما من نبي أو رسول إلا وبجانبه عالمٌ من علماء هذه الأمة أو اثنان أو ثلاثة أو أكثر، وكلُّ عالم منهم له درجة الأستاذية في علم الأحكام والأحوال والمقامات والمنازلات إلى ختام الدنيا بخروج المهدي عليه السلام. ومن هنا تعلم أن جميع المجتهدين تابعون للشارع!".

"وقد[4] سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول: ما من قول من أقوال المذاهب المستعملة والمندرسة إلا وقد كان شرعا لنبيٍّ تقدم، فأراد الحق تعالى بفضله ورحمته أن يجعل لهذه الأمة نصيبا من [22] العمل ببعض تشريع الأنبياء؛ ليحصل لهم بعضُ الأجر الذي كان يحصل للعاملين بنحو ما عملوا به من شرائع

---

(1) "الميزان الكبرى" ص39.

(2) لم أقف عليه.

(3) "الميزان الكبرى" ص 41.

(4) "الميزان الكبرى" ص 43.

الأنبياء، خصوصيةً لهذه الأمة، من حيث إن شريعة نبيهم حاويةٌ لمجموع أحكام الشرائع المتقدمة".

"وسمعته - أيضا - يقول: اعتقادنا في جميع الأكابر من العلماء أنهم ما سلموا لبعضهم بعضا إلا لعلمهم بصحة أقوالهم ومستنداتهم؛ لاتصالها بعين الشريعة، لا إحسانا للظن بهم من غير اطلاع على صحتها واتصالها بعين الشريعة".اهـ.

[السنة مبينة لمجمل القرآن والمجتهدون بينوا مجمل السنة]:

"وتأمَّلْ[1] - يا أخي - لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فصَّل بشريعته ما أُجمِل في القرآن؛ لبقي القرآن على إجماله، كما أن الأئمة المجتهدين لو لم يفصلوا ما أُجمل في السنة؛ لبقيت السنة على إجمالها، وهكذا إلى عصرنا هذا. فلولا أن حقيقة الإجمال ساريةٌ في العالم كلِّه من العلماء؛ ما شُرحت الكتب، ولا تُرجمت من لسان إلى لسان، ولا وَضع العلماءُ على الشروح حواشي كالشروح للشروح".

"فإن قلت: فما الدليل على ما قلت من وجود الإجمال في الكتاب والتفصيل له في السنة؟".

"قلنا: قولُه تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل/44]، فإن البيان وقع بعبارة أخرى غيرِ عبارة الوحي الذي نزل عليه. فلو أن علماء الأمة كانوا يستقلون بالبيان وتفصيل المجمل، واستخراج الأحكام من القرآن؛ لكان الحق تعالى اكتفى من رسوله صلى الله عليه وسلم بالتبليغ للوحي من غير أن يأمره ببيان".

"سمعتُ شيخنا شيخ الإسلام زكرياء رحمه الله يقول: لولا بيانُ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجتهدين لنا ما أُجمل في الكتاب والسنة؛ لما قدر أحدٌ منا على ذلك، كما أن الشارع لولا بيَّن لنا بسنته أحكام الطهارة؛ ما اهتدينا لكيفيتها من القرآن، ولا قدرنا على استخراجها منه. وكذلك القول في بيان عدد ركعات

---

(1) "الميزان الكبرى" ص47.

الصلوات من فرض ونفل، وكذلك القول في أحكام الصوم والحج والزكاة وكيفيتها، وبيان أنصبتها وشروطها، وبيان فرضها من سننها، وكذلك القول في سائر الأحكام التي وردت مجملةً في القرآن؛ لولا أن السنة بينت لنا ذلك؛ ما عرفناه. ولله تعالى في ذلك حِكَمٌ وأسرار يعرفها العارفون.اهـ".

"قال سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى: ومن هنا [23] تعلم - يا ولدي - أن السنة قاضيةٌ على ما نفهمه من أحكام الكتاب ولا عكس، فإنه صلى الله عليه وسلم هو الذي أبان لنا أحكام الكتاب بألفاظ شريعته، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم/3-4]، وفي القرآن العظيم: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء/59]، يعني: إلى الكتاب والسنة، واعملوا بما وافقهما أو وافق أحدهما عندكم".

[الجدال في الشريعة من بقايا النفاق]:

"وسمعته[1] مرارا يقول: الجدالُ في الشريعة من بقايا النفاق؛ لأنه يُراد به إدحاضُ حجة الغير من العلماء، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٦٥ ﴾ [النساء/65]، فنفى تعالى الإيمان عمن يجد في الحكم عليه بالشريعة حرجا وضيقا".

"وقال صلى الله عليه وسلم[2]: عند نبي لا ينبغي التنازع!. ومعلوم أن نزاعَ الإنسان لعلماء شريعته وجدالَهم وطلبَ إدحاض حججهم التي هي الحق، كالجدال معه صلى الله عليه وسلم، وإن تفاوت المقام في العلم، فإن العلماء على مَدْرجة الرسل درجوا".

"وكما يجب علينا الإيمان والتصديق بكل ما جاءت به الرسل، وإن لم نفهم حكمته، فكذلك يجب علينا الإيمان والتصديق بكلام الأئمة وإن لم نفهم علتَه،

---

(1) "الميزان الكبرى" ص48.

(2) رواه البخاري في "صحيحه" 1111/3 ح 2997 عن ابن عباس رضي الله عنهما، بلفظ: "ولا ينبغي عند نبي تنازع"، وكذا مسلم في "صحيحه" 1258/3 ح 1637.

حتى يأتينا عن الشارع ما يخالفه".

"وسمعته - أيضا - يقول: لا يكمُل مقامُ العالم عندنا في العلم حتى يَرُدَّ سائرَ أقوالِ المجتهدين ومقلديهم في سائر الأدوار[1] إلى الكتاب والسنة، ولا يصيرَ عنده جهل بمنزع قول واحد منهما لو عُرض عليه".

"قال: وهناك يخرج عن مقام العوام ويستحق التلقيب بالعالم، وهو: أول مرتبة تكون للعلماء بالله تعالى، ثم يترقى أحدهم عن ذلك درجة بعد درجة حتى يصيرَ يستخرجُ جميعَ أحكامِ القرآن وآدابه من سورة الفاتحة، فإذا قرأها في صلاته؛ ربما يكون ثوابه كثواب من قرأ القرآن كلَّه، من حيث إحاطتُه بمعانيه. ثم يترقى من ذلك حتى يصيرَ يُخرجُ أحكامَ القرآن كلِّه وأحكامَ الشريعة وجميعَ أقوال المجتهدين [24] ومقلديهم إلى يوم القيامة من أي حرف شاء من حروف الهجاء، ثم يترقى إلى ما هو أبلغ من ذلك. قال: وهذا هو العالم الكامل عندنا".

"ورُوِّينَا عن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - أنه كان يقول: التسليم نصف الإيمان. قال له الربيع الجيزي: بل هو الإيمان كله يا أبا عبد الله. فقال: وهو كذلك".

"وكان الإمام الشافعي يقول: مِن كمال إيمان العبد: أن لا يبحث في الأصول، ولا يقول فيها: لِمَ ولا كيف. فقيل له: وما هي الأصول؟. فقال: هي الكتاب والسنة وإجماع الأمة.اهـ".

"أي: فنقول في كل ما جاءنا عن ربنا أو نبينا: آمنا بذلك على علم ربنا فيه، ويقاس بذلك ما جاء عن علماء الشريعة؛ فنقول: آمنا بكلام أئمتنا من غير بحث فيه ولا جدال".

"وسمعت سيدي عليا الخواص - رحمه الله تعالى - يقول: إنما أَيَّدَ أئمةُ المذاهب مذاهبَهم بالمشي على قواعد الحقيقة مع الشريعة، إعلاما لأتباعهم بأنهم كانوا علماء بالطريقين".

[كل آراء المجتهدين لها أصل من الشريعة]:

"وكان يقول: لا يَصِحُّ خروجُ قولٍ من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة

---

(1) في النسخة المعتمدة: "أدوار" وهو سبق قلم.

أبدا عند أهلِ الكشف قاطبةً، وكيف يصحُّ خروجُهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، ومع الكشف الصحيح، ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسؤالهم عن كل شيء توقفوا فيه من الأدلة: هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا؟، يقظةً ومشافهةً، بالشروط المعروفة بين أهل الكشف. وكذلك كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن كل شيء فهموه من الكتاب والسنة قبل أن يُدَوِّنوه في كتبهم ويدينوا الله تعالى به، ويقولون: يا رسول الله؛ قد فهمنا كذا من آية كذا، وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا، فهل ترتضيه أم لا؟، ويعملون بمقتضى قوله وإشارته".

"ومَن تَوَقَّف فيما ذكرناه من كشف الأئمة المجتهدين، ومن اجتماعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الأرواحُ؛ قلنا له: هذا من جملة كرامات الأولياء بيقين [25]، وإن لم تكن الأئمة المجتهدون أولياءَ فما على وجه الأرض وليٌّ أبدا".

"وقد اشتهر عن كثير من الأولياء - الذين هم دون الأئمة المجتهدين في المقام بيقين - أنهم كانوا يجتمعون برسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا، ويُصَدِّقهم أهلُ عصرهم على ذلك".

"وكان - أيضا - يقول: لا ينبغي لمقلِّدٍ أن يتوقف في العمل بقولٍ من أقوال أئمة المذاهب ويطالبَهم بالدليل على ذلك؛ لأنه سوءُ أدبٍ في حقِّهم، وكيف ينبغي التوقُّفُ عن العمل بأقوالٍ قد بُنِيَت على أصلِ صحيح الأحاديث، وعلى الكشف الصحيح الذي لا يخالف الشريعة أبدا؟، فإنَّ عِلمَ الكشفِ: إخبارٌ بالأمور على ما هي عليه في نفسها، وهذا إذا حقَّقْتَه؛ وجدتَه لا يخالف الشريعة في شيء، بل هو الشريعة بعينها، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخبر إلا بالواقع؛ لعصمته من الباطل والظن".

"وسمعته يقول[1]: كلُّ مَن نَوَّر اللهُ تعالى قلبَه؛ وجدَ مذاهبَ المجتهدين وأتباعِهم كلَّها تتَّصل برسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق السند الظاهر بالعنعنة، ومن طريق إمداد قلبه صلى الله عليه وسلم لجميع قلوب علماء أمته، فما

(1) "الميزان الكبرى" ص53.

اتَّقد مصباحُ عالِمٍ إلا من مشكاة نور قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فافهم!".

"وسمعته يقول مرة أخرى: ما من قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلا وينتهي سندُه برسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بجبريل، ثم بحضرة الله عز وجل التي تُجلُّ عن التكييف من طريق السند الظاهر، والسند الباطن الذي هو: علم الحقيقة المؤيدة بالعصمة. فمن نقل علمها عن الحقيقة؛ لم يصح منه خطأ في قول من أقواله، وإنما يقع الخطأ في طريق الأخذ عنها فقط".

"فكما يُقال: إن جميع ما رواه المحدثون بالسند الصحيح المتصل ينتهي سنده إلى حضرة الحق جل وعلا، فكذاك يقال فيما نقله أهل الكشف الصحيح من علم الحقيقة، وذلك لأن جميع مصابيحِ علماء الظاهر والباطن قد اتَّقَدَتْ من نور الشريعة، فما من قول من أقوال المجتهدين ومقلديهم إلا وهو مؤيَّدٌ بأقوالِ أهل الحقيقة [26]، لاشك عندنا في ذلك".اهـ ما مست إليه الحاجة من كلام الشعراني في "الميزان"، مع زيادات من غيرها.

وفي "اليواقيت والجواهر" له[1]: "ومَن وصل إلى مقام الكشف؛ وجد جميعَ الأئمة المجتهدين لم يخرجوا عن الكتاب والسنة في شيء من أقوالهم، وشهدها كلَّها مُقتبَسةً من شعاع نور الشريعة؛ لأنهم على آثار الرسل سلكوا".

"فكما أنه يجب عليك - يا أخي - الإيمان والتصديق بصحة كل ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام مما يخالف شريعتك ظاهرا، فكذلك يجب عليك الإيمان والتصديق بصحة ما استنبطه المجتهدون وإن خالف مذهب إمامك، ولا يجوز لأحد الطعن في حكم المجتهد؛ لأن الشارع قد قرر حكم المجتهد، فصار شرعا لله بتقرير الله إياه. فمن خطَّأ مجتهدا بعينه؛ فكأنه خطأ الشارع فيما قرره حكما، فإياكم والطعن على أحد منهم، وتقولون: إنهم محجوبون عن المعارف والأسرار، كما يقع فيه جهلة المتصوفة، فإن ذلك جهل بمقام الأئمة، فإنَّ لهم القدمَ الراسخَ في علم الغيوب، وهم في مقامات الرسل من حيث تشريعُهم للأمة باجتهادهم كما شرعت الرسل لأممهم".

"فهم الذين ورثوا الأنبياء حقيقةَ؛ لأنهم في منازلهم من حيث الاجتهاد؛ لأنه

---

(1) ص26.

- عليه السلام - أباحه لهم في الأحكام، وذلك تشريع عن أمر الشارع كما قاله الحاتميُّ في "الفتوحات"".اهـ.

[معني: أصحاب الحديث هم الأبدال]:

ولما تكلم في "المواهب"[1] على الأبدال وقال: "قال أحمد: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فمَن هم؟". قال شارحها[2]: "قال ابن رجب الحنبلي في "فضل الشام" له: مراد أحمد بأصحاب الحديث: مَن حَفِظَه وعَلِمَه وعمل به. وقال غيره: مراده: مَن هو مثله ممن جمع بين علمي الظاهر والباطن، وأحاط بالأحكام والحِكَم والمعارف كسائر الأئمة الأربعة ونظرائهم، فهؤلاء خيار الأبدال والنجباء والأوتاد. فاحذر أن يسوء ظنُّك بأحدٍ منهم، وأن يُسَوِّل لك الشيطانُ ومن استولى عليه ممن لم يهتد بنور المعرفة أن المجتهدين لم يبلغوا تلك المرتبة. وقد [27] اتفقوا على أن الشافعي كان من الأوتاد، وقيل: إنه تقطب قبل موته. وما أحسن قول شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي المعروف بالراعي[3]، كما في "نفح الطيب"[4] في السِّفْر الثاني في ترجمته[5]:

عليك بتقوى الله ما شئت، واتبع ... أئمةَ دين الحق تُهدى وتُسعد
فمالكُهم والشافعيُّ وأحمد ... ونعمانُهم كلٌّ إلى الخير يُرشد
فتابعْ لمن أحببتَ منهم، ولا تمِلْ ... لذي الجهل والتعصيبِ إن شئت تحمد
فكلٌّ سواءٌ في وجيبة الاقتدا ... متابعُهم جنةَ عدن يخلد

(1) 220/2.

(2) 220/2.

(3) أبو عبد الله الراعي؛ وهو: شمس الدين محمد بن إسماعيل الأندلسي الغرناطي، ولد بها سنة 782 تقريبا ونشأ بها وأخذ الفقه والأصول والعربية عن جماعة، ودخل القاهرة سنة 825 فحج واستوطنها، وسمع بها من الشهاب المتبولي وابن الجزري والحافظ ابن حجر وطائفة. وأم بالمؤيدية وقتا، وتصدى للاشتغال، فانتفع به الناس طبقة بعد أخرى، لاسيما في العربية، بل هي كانت فنه الذي اشتهر به وبجودة الإرشاد لها. وشرح كلا من الجرومية والألفية والقواعد...وغيرها مما حمله عنه الفضلاء. وله نظم وسط قال السخاوي: "كتبت عنه منه الكثير". أضر بآخره، ومات بسكنه بالصالحية يوم الثلاثاء 27 ذي الحجة سنة 853هـ.

(4) 1172/2.

(5) أبيات من الطويل. مؤلف.

وحـــبهمُ[1] دِيـــن يـــزين، وبُغــضُهم خــروجٌ عــن الإســلام، والحـق يـبعد
فلعـــنة رب العـــرش والخلـــق كلِّهـــم علـى مـن قلاهـم والتعـصبَ يقـصد"

[فضل الإمام مالك بن أنس ومذهبه]:

قلت: وأخرج الحاكم وصححه[2] والنسائي، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يخرج ناسٌ من المشرق والمغرب في طلب العلم، فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة". وخرجه الترمذي وحسنه عن أبي هريرة بلفظ[3]: "يوشك أن يضربوا أكباد الإبل فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة!".

"يوشك": يقرب، و"أن يضرب": في موضع رفع اسم يوشك. وفي رواية[4]: "لا تَنْقَضي الساعة حتى يضرب الناس أكباد الإبل من كل ناحية إلى عالم المدينة يطلبون علمه"، كنايةً عن المشي السريع؛ لأن من أراد ذلك يركب الإبل ويضرب على أكبادها بالرِّجل.

وقد فسره الأئمةُ بمالك؛ قال ابن عيينة وغيرُه[5]: هو مالك بن أنس. ومن ثَمَّ كان الناسُ يزدحمون على بابه لأخذ العلم حتى يقتتلوا، وكان له حاجب يأذَن أولا للخاصة، فإذا فرغوا؛ أذِن للعامة.

وممن روى عنه من الأكابر المقتدى بهم: الزهريُّ، والسفيانان، والشافعيُّ، والأوزاعيُّ إمام أهل الشام، والليث إمام أهل مصر، وأبو حنيفة وصاحباه: أبو يوسف ومحمد بن الحسن، وعبد الرحمن بن مهدي؛ شيخ أحمد، ويحيى بن يحيى؛ شيخ الشيخين، وقُتيبة بن سعيد؛ شيخ أصحاب الكتب الستة، وذو النون المصري،

---

(1) في السنخة المعتمدة "وجههم".

(2) لم أجده لا عند الحاكم في "مستدركه" ولا عند النسائي في "سننيه" بهذا اللفظ عن أبي موسى الأشعري، وهو عند الطبراني في "الكبير" وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف عند الأكثرين، كما قال الحافظ نور الدين في "المجمع" 134/1.

(3) "سنن الترمذي" 47/5 ح 2680.

(4) ذكرها القاضي عياض في "ترتيب المدارك" 18/1.

(5) كما في "سنن الترمذي" 47/5.

والفضيل، وابن المبارك [28]، وابن أدهم...رحمهم الله، وكفاه هذا فضلا.

الحفني: "لا يُقال: علماءُ المدينة كثير؛ منهم: الفقهاء السبعة وغيرهم من مشايخ مالك؛ لأن مذاهبَهم لم تُنشر في الأقطار كانتشار مذهبه".

الهلالي: "وذلك لأنه الذي انفرد بهذا الوصف عند الإطلاق، ولم يشتهر به غيرُه من علمائها، فإذا قيل: هذا قول عالم المدينة، أي: أو إمام دار الهجرة؛ عُلم أنه مالك".

وحكي عن الأوزاعي أنه كان إذا ذكره قال: "قال عالم العلماء، وعالم أهل المدينة، ومفتي الحرمين".اهـ.

وعاش حتى لم يبق له نظير بالمدينة، قال القاضي عبد الوهاب: "لا ينازعنا في هذا الحديث أحد من أرباب المذاهب؛ إذ ليس منهم من له إمام من أهل المدينة فيقول هو: إمامي، ونحن نقول: إنه صاحبنا بشهادة السلف له".

عياض[1]: "فوجه احتجاجنا به من ثلاثة أوجه: تأويل السلف، وما كانوا ليقولوا ذلك إلا عن تحقيق، وشهادتِهم له، وإجماعِهم على تقديمه دون من سواه. وأن طلبة العلم لم يضربوا أكباد الإبل من شرق الأرض وغربها إلى عالم ولا رحلوا إليه من الآفاق رحلتَهم إليه.

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا حتى يروا عنده آثارَ إحسان[2]

وفي "المدخل"[3]: "إن مذهب مالك - رحمه الله - مبنيٌّ على أربع قواعد: آية محكمة، وحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ناسخ ولا معارض، وإجماع أهل المدينة، وإجماع أكثرهم بعد اختلافهم ومناظرتهم، وهم الجم الغفير، والنبي مات بين أظهرهم، وعندهم استقر أمر الشريعة، وبان ما استُنسِخ وما بقي، وقلَّ أن تذهب عنهم السُّننُ في ذلك الزمن القريب".

"بل في "الأحكام الكبرى" لابن سهل: إن أميرَ المؤمنين الحكمَ[4] ابنَ أمير

---

(1)"ترتيب المدارك" 119/1.

(2) من البحر البسيط لعبد الملك الحارثي.

(3) 262/1.

(4) الحكم بن عبد الرحمن بن محمد، أمير المؤمنين بالأندلس أبو العاص المستنصر بالله بن الناصر الأموي المرواني، بويع بعد أبيه في رمضان سنة خمسين وثلاث مئة (350هـ)، وكان =

المؤمنين عبدِ الرحمن قال: إن من خالف مذهب مالك بالفتوى وغيرِها، وبلغني خبرُه؛ أنزلتُ به من النكال ما يستحق، وجعلته عبرةً".

"وقد اختبرتُ فيما رأيتُ [29] في الكتب أن مذهب مالك وأصحابه أفضل المذاهب، ولم أر في أصحابه ولا في من تقلد مذهبه غير السنة والجماعة، فليُتَمَسَّكْ بهذا؛ ففيه النجاة إن شاء الله".

وقال أيضا: "وقد بلغني أن قوما يُفتون بغير مذهب مالك، وأنهم يرخصون في الطلاق وغيره بمناكير من الفتوى، وكلُّ مَن زاغ عن مذهب مالك؛ فإنه ممن ران على قلبه، وزُيِّن له سوء عمله، فقد نظرتُ في أقاويل الفقهاء، ورأيت ما وقع من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلَمْ أَرَ مذهبا أتقنَ ولا أبعدَ عن الزيغ من مذهبه، وجُلُّ من يعتقد مذهبا من مذاهب الفقهاء فيهم الجهميُّ والرافضي والخارجي، إلا مذهب مالك؛ فإني ما سمعت أن أحدا تقلد مذهبه قال بشيء من هذه البدع!".اهـ.

وقال المازري[1] رحمه الله: "لستُ ممن يحمل الناس على غير المعروف المشهور من مذهب مالك وأصحابه؛ لأن الورع قد قَلَّ، والتحفظَ على الديانات

=

حسن السيرة، جامعا للعلم، مكرِّما للأفاضل، كبير القدر، ذا نهمة مفطرة في العلم والفضائل، عاكفا على المطالعة. جمعَ من الكتب ما لم يجمعه أحد من الملوك لا قبله ولا بعده، وتطلبها وبذل في أثمانها الأموال، واشتُريت له من البلاد البعيدة بأغلى الأثمان، مع صفاء السريرة والعقل والكرم وتقريب العلماء. وكان موته بالفالج في صفر سنة ست وستين وثلاثمائة (366هـ). ترجم في "التكملة لكتاب الصلة" 226/1، وفي "النجوم الزاهرة" 221/4، وفي "سير أعلام النبلاء" 269/8. قال ابن الآبار في "التكملة" 226/1: "وعجبا لابن الفرضي وابن بشكوال كيف أغفلاه وقد ذكرا مَنْ ليس مثلَه من الولاة؟!".

(1) محمد بن علي بن عمر التميمي المازَري، يُكنى: أبا عبد الله ويعرف بالإمام، وكان آخر المشتغلين من شيوخ أفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر. سمع الحديث وطالع معانيه واطلع على علوم كثيرة من الطب والحساب والأدب وغير ذلك، فكان أحد رجال الكمال في وقته في العلم، قيل كان يفتي في الطب كما يفتي في الفقه. وكان قلمه في العلم أبلغ من لسانه، وألف في الفقه والأصول، وشرح كتاب مسلم، وكتاب "التلقين" للقاضي أبي محمد عبد الوهاب، وليس للمالكية كتاب مثله، وشرح "البرهان" لأبي المعالي الجويني؛ وسماه: "إيضاح المحصول من برهان الأصول". وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وثلاثين وخمسمئة (536هـ)، وقد نيف على الثمانين.

كذلك، وكثُرت الشهوات، وكثُر من يَدَّعِي العلمَ ويتجاسرُ على الفتيا، ولو فُتح لهم باب مخالفة المذهب؛ لاتَّسع الخرقُ على الراقع، وهتكوا حجابَ هيبةِ المذهب، وهُو من المفسدات التي لا خفاء بها".اهـ، نقله الشيخ أبو إسحاق الشاطبي في "الموافقات"[1].

ثم قال[2]: "فانظر كيف لم يَستجِزْ – وهو: المتفَق على إمامته - الفتوى بغير مشهور المذهب، ولا بغير ما عُرف منه؛ بناء على قاعدة مصلحة ضرورية، إذ قَلَّ الورع والديانة في كثير ممن ينتسب للعلم والفتوى، فلو فُتح لهم هذا الباب؛ لانفسخت عُرى المذهب، بل جميع عرى المذاهب؛ لأن ما وجب للشيء وجب لمثله".اهـ.

وذكر ابنُ فرحون أن المازري: "بلغ درجة الاجتهاد وما أفتى قط بغير المشهور، وعاش ثلاثا وثمانين سنة".اهـ.

وكذا وصفه ببلوغ درجة الاجتهاد: تلميذُه بالإجازة أبو الفضل عياض في كتاب "الغنية"[3].اهـ.

وفي "نفح الطيب"[4]: "وقد حكى أبو عبد الله [30] الوادي آشي - حسبما رأيته بخطه: أن القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي أَلَّف كتابا لنصرة مذهب مالك على غيره من المذاهب في مئة جزء، وسماه: "النصرة لمذهب إمام دار الهجرة"، فوقع الكتابُ بخطِّه بيد بعض قضاة الشافعية بمصر، فغرقه في النيل، فقضى الله تعالى أن السلطان فرج بن برقوق سافر إلى الشام ومعه القضاة الأربعة وغيرهم من الأعيان لدفع تيمورلنك عن البلاد، فلم يستطع شيئا، وهُزم إلى مصر، وتفرقت العساكر، وأُخذ القضاةُ والعلماء أسارى، ومن جملتهم ذلك القاضي، فبقي في أسر تيمورلنك إلى أن ارتحل عن الشام، فأخذه معه أسيرا إلى أن وصل إلى الفرات فغرق فيه، أعني: القاضي. فرأى بعض الناس أن تلك بسبب تغريقه الكتاب المذكور، والجزاء من جنس العمل، والله أعلم".اهـ.

---

(1) 146/4.

(2) "الموافقات" 146/4.

(3) ص 65 ترجمة رقم 19.

(4) 299/2.

وفي "طبقات الأعيان"[1] لأبي العباس أحمد ابن عجيبة: "والمُتعيَّن في المغرب هو: مذهب مالك؛ لعدم وجود من يُقرِّر غيرَه".اهـ. ونحوُه للعلامة سيدي عبد الله ابن الحاج إبراهيم العلوي الشنجيطي في شرحه: "نشر البنود" على نظمه: "مراقي السعود"[2].

[فضل الإمام محمد بن إدريس الشافعي ومذهبه]:

أخبر صلى الله عليه وسلم بعالم قريش، وأنه يملأ طباق الأرض علما؛ روى أبو هريرة[3] وعلي[4] وابن عباس[5] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اللهم اهدِ قريشا؛ فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما، اللهم كما أذقتهم عذابا؛ فأذقهم نوالا". أي: عطاء. دعا بها ثلاث مرات، كذا في "المدارك"[6].

وذكره في "الطبقات"[7] السبكية بألفاظ أخر؛ منها: "اللهم اهد قريشا؛ فإن علم العالم يَسَعُ طباقَ الأرض"[8].

ومنها: "لا تسبوا قريشا؛ فإن عالمها يملأ طباق الأرض علما، اللهم إنك أذقتَ أولها نكالا ووبالا، فأذق آخرها نوالا"[9].

ومنها: "عالم قريش يملأ الأرض علما"[10]. قال أحمدُ وغيرُه[11]: "نراه الشافعيَّ؛ لأنه لم ينتشر في طباق الأرض لقريش - صحابي أو غيره - ما انتشر للشافعي".

---

(1) المسمى: "أزهار البستان في طبقات الأعيان" ولم يطبع بعد.

(2) 12/1.

(3) رواه عن أبي هريرة ابنُ أبي عاصم في كتاب "السنة" 637/2 والخطيب في "تاريخ بغداد" 61/2 وابن عساكر في "تاريخ دمشق" 326/51

(4) رواه عن علي عليه السلام الحاكم في "المستدرك" 85/4 بلفظ مغاير.

(5) رواه عن ابن عباس: ابن أبي عاصم في "السنة" 641/2 وأبو نعيم في "الحلية" 65/9.

(6) 140/1.

(7) "طبقات الشافعية الكبرى" 198/1.

(8) رواه الخطيب عن أبي هريرة في "تاريخ بغداد" 61/2.

(9) رواه الطيالسي في "مسنده" ص 39 عن ابن مسعود.

(10) قال العجلوني في "كشف الخفا" 68/2: "رواه أحمد بصيغة التمريض".

(11) كما في "تاريخ دمشق" 339/51.

ابن حجر الهيتمي: "والذي انتشر لعلي وابن عباس ونحوهما مسائلُ قليلةٌ جدا، كما يَعلم ذلك مَنْ سَبَرَ – أي: تَأَمَّلَ- كلامَهم واطلع عليه".

وزَعْمُ الصغاني[1] أن الحديثَ موضوع؛ تهوُّرٌ منه، وإنما فيه نوع ضعف؛ أي: إن مفرداته [31] ضعيفة، ذكروا له شواهد تجبره – أي: وبها يرتقي إلى درجة الحسن لغيره - ولا كذاب فيه ولا مُتَّهَم، وقد جمع الحافظ العسقلاني طرقَه في كتاب مستقل سماه: "لذة العيش في طرق حديث عالم قريش".

وأورده في "الشفا"[2] في: ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من الغيب عن ابن مسعود رفعه.

ومذهب الشافعي - رحمه الله - كما في "المدخل"[3]: مبنيٌّ على آية محكمة، أو حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ناسخ.

[فضل الإمام أبي حنيفة ومذهبه]:

وأخرج الشيخان[4] عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لو كان العلم عند الثريا؛ لتناوله رجال من أبناء فارس".

قال السيوطي[5]: "هذا أصلٌ صحيح يُعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة، وفي

(1) في "موضوعاته" ص 88.

(2) لم أقف عليه في ما بين يديَّ من نسخ "الشفا"، والله أعلم.

(3) 263/1.

(4) في "صحيح البخاري" 1858/4 ح 4615، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأنزلت عليه سورة الجمعة: ﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ ﴾، قال: قلت: من هم يا رسول الله؟. فلم يراجعه حتى سأل ثلاثا، وفينا سلمان الفارسي؛ وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال: لو كان **الإيمان** عند الثريا؛ لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء".

وأما في "صحيح مسلم" 1972/4 ح 2546 فجاء بلفظ: "لو كان **الدين** عند الثريا؛ لذهب به رجل من فارس – أو قال: من أبناء فارس – حتى يتناوله".

قلت: ولم يأت بلفظ "**العلم**" إلا في "المسند" لأحمد 296/2، كما حقق ذلك الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" 643/8. وللحافظ أحمد ابن الصديق جزء في طرق هذا الحديث مطبوعٌ بتحقيقنا سماه "إظهار ما كان خفيا بنكارة حديث: لو كان العلم بالثريا".

(5) "تبييض الصحيفة" 88.

الفضيلة التامة له؛ لأنه لم يبلغ من أبناء فارس في العلم مبلغَه أحد، ولا مبلغ أصحابه. والمرادُ بفارس: الفرس؛ جنسٌ من العجم، كان جدُّ الإمام منهم[1]؛ لكنَّ هذا على أنه منهم، أما على أنه مولى تيم؛ فلا يُفسر به، وهما قولان حكاهما الحافظ في "تقريبه"[2].

الحفني: "قلت: مع كونه من التابعين اتفاقا، على اختلافٍ في أنه هل روى عن الصحابة أم لا؟"[3].

ومما يصلح للاستدلال على عظم شأن أبي حنيفة - أيضا - ما رُوِيَ عنه[4] صلى الله عليه وسلم أنه قال: "تُرفع زينة الدنيا سنة خمسين ومئة"، ومن ثمة قال شمس الأئمة الكودري: "هذا الحديث محمولٌ على أبي حنيفة؛ لأنه مات تلك السنة". كذا ذكره ابن حجر المكي في "الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان"[5].

وقد ذكر الشعراني في "طبقاته"[6] أنه: لم يكن في زمن أبي حنيفة من

---

(1) لأنه أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة. جاء في "تاريخ بغداد" 324/13: "فأما زوطي فإنه من أهل كابل، وولد ثابت على الإسلام. وكان زوطي مملوكا لبني تيم الله بن ثعلبة، فأُعتق، فولاؤه لبني تيم الله بن ثعلبة ثم لبني قفل"، وفي طبقات الحنفية للقرشي، رفع نسبه ليعقوب بن إسحاق عليهما السلام، فيكون من بني إسرائيل. والله أعلم.

(2) ص 563.

(3) في "جامع بيان العلم وفضله" 45/1 للحافظ ابن عبد البر رواية لأبي حنيفة عن ابن جزء الصحابي، ولأهل العلم بالحديث عدة أجزاء في رواية أبي حنيفة عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم، فجزء أبي حامد محمد بن هارون الحضرمي، وجزء أبي الحسن علي بن أحمد بن عيسى، وجزء أبي معشر، وجزء أبي بكر السرخسي، وغيرهم...أفاده الكوثري في تعليقه على "مناقب أبي حنيفة" للذهبي حينما صحح هذا الأخير رواية الإمام عن أنس بن مالك ص 8.

(4) رواه أبو يعلى في "مسنده" 160/2 والبزار في "مسنده" 239/3 عن عبد الرحمن بن عوف، وفيه مصعب بن مصعب، وهو ضعيف كما قال الحافظ الهيثمي في "المجمع" 257/7.

(5) ص101.

(6) "الطبقات الكبرى" ص 78.

الصحابة إلا أربعة: أنس بن مالك، وعبد الله بن [أبي][1] أوفى، وسهل بن سعيد، وأبو الطفيل؛ وهو آخرهم موتا، ولم يأخذ عن أحد منهم.اهـ، فعنده أنه لم يأخذ عن الصحابة.

الحفني: "ولم نعلم من اجتمع به من هؤلاء الأربعة".

وقال في "النصرة": "لم يلق أحدا منهم".

وقال الخطيب[2] [32] والذهبي[3]: "إنه رأى أنَسًا".

[فضل مختصر الشيخ خليل ومكانته بين كتب الفقه]:

وقال الشيخ أحمد بابا السوداني في "نيل الابتهاج"[4] ونقله الهلالي[5]: "ولقد حُكِيَ عن العلامة شيخ شيوخنا ناصر الدين اللقاني[6] أنه حيث عورض كلام خليل بكلام غيره؛ أنه كان يقول: نحن أناس خليليون؛ إن ضل ضللنا...مبالغةً في الحرص على متابعته".

قال: "ومدح مختصرَه الشيخ غ[7] فقال: إنه من أفضل نفائس الإغلاق، وأحق

---

(1) ما بين معكوفين ساقط من الأصل المعتمد.

(2) في "تاريخ بغداد" 328/13.

(3) في "سير أعلام النبلاء" 390/6.

(4) ص 168.

(5) ص 37 طبعة حجرية.

(6) هو محمد بن حسن اللقاني ناصر الدين، أبو عبد الله. من أهل مصر، كان فقهيا مالكيا وأصوليا. انتهت إليه رئاسة العلم بمصر بعد موت أخيه الشمس اللقاني، واستفتي من سائر الأقاليم. له طرر على "التوضيح"، و"حاشية على شرح المَحَلِّي على جمع الجوامع". توفي - رحمه الله - سنة ثمان وخمسين وتسعمائة (958 هـ). تُرجِم في "شجرة النور الزكية" ص 271؛ و"معجم المؤلفين" 167/11.

(7) يعني به: الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني، المكناسي، الفاسي (أبو عبد الله) المقرئ، المحدث، المؤرخ الفقيه، شيخ الإسلام، المولود بمكناسة، والمتوفى بفاس في 9 جمادى الأولى عام تسعة عشر وتسعمئة (919 هـ).من تصانيفه الكثيرة: "شفاء الغليل في حل مقفل مختصر خليل" في فروع الفقه المالكي، "بغية الطلاب في شرح منية الحساب"، "الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون"، وغيرها...له ترجمة في "فهرس الفهارس" 1/ 210 - 214، و"نيل الابتهاج" 333، 334.

ما رُمِيَ بالأحداق، وصُرفت له همم الحذاق، عظيم الجدوى، بليغ الفحوى، مُبَيِّنٌ لما به الفتوى، أو ما هو الراجح الأقوى، جمع - مع شدة الاختصار - شدةَ الضبط والتهذيب، واقتصر على حسن المساق والترتيب، فما نسخ أحد على منواله، ولا سمحت قريحةٌ بمثاله".

ومَدَحَهُ غيرُه بقوله: "هو من أجل المختصرات؛ إذ هو كتاب صغر حجمه وكثر علمه، جمع فأوعى، وفاق أقرانه جنسا ونوعا، واختص بتبيين ما به الفتوى، وما هو الراجح والأقوى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله؛ إلا أنه لفرط الإيجاز؛ كاد يُعَدُّ من جملة الألغاز".

وما أحسن قول من قال:

قال لي الخلُّ: أيُّ علم نفيس ... قلت: الفقه له الحديثُ دليلُ
أو كتابٌ مُنزَّل، لا قياسٌ ... صادَر الأولين وهْو عليل
قال: زدني؛ وأيُّ متن لطيف ... حاز جُلَّ الأحكام وهْو جليل؟
قلت: متن يقال فيه وفاها ... صاغه المرتضى الإمام خليل

ومن قال:

كتاب خليل مَنْبَعُ الخير والهدى ... فحسْبُ الفتى في أن يكون خليلَهُ
يفيد أولى الألباب علما وسؤددا ... فيا رب سهل بالهدى مَدخلي له

ومن قال:

أطلابَ علمِ الفقه؛ مختصرُ الرضى ... خليلٍ لكم فيه الحياةُ، فعيشوا
فلله بيتٌ ضمَّنوه مديحَه ... به يهتدي من في الأنام يطيش
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها ... خليل بن [33] إسحاق الإمامُ يعيشُ

ومن قال:

نافس - فديتُك - في اقتناء نفائسٍ ... مذخورة قد حازها كنزُ الدررْ
أنفاس علم قد بدت أعلامها ... بالحسن مُعلمة بأبدع مختصر
مائة المسائل مُيزت بالألف من ... كل الذي به الفتيا بين البشر
لو أن مالكًا الإمامَ رآه؛ لم ... يخش الدروس لمذهبٍ عنه انتشر
ما قلتُ ذاك تغاليًا، كلا لقد ... أغنى لعَمْري الخُبْر فيه عن الخبر
فعلى خليل من إلهي رحمة ... موصولة تُوْليه أعلى مستقر

ومن قال:

يــا قارئــا مختــصرَ الخلــيلْ لقــد حــويت العلــم يــا خلــيلْ
حـصِّلْه حفظـا، واصـرف الهمـة لـهْ فقــد حــوى مائــة ألــف مــسألهْ
نــصًّا ومــثلها مــن المفهــومْ فـإن شـككت؛ اعـدُدْه فـي المرسـومْ

ومن قال:

كـتاب خلـيلٍ رائـقُ الـنظم فائـقُ على مـذهب الحبـر المقـدس مالـكِ
وقــام بــه للفقــه أيُّ شــريعةٍ وسـهَّل مـا قـد كـان وعْـرَ المـسالكِ

ومن قال:

وإذا طلــبتَ مــن العلــوم أجلهــا فأجلُّهــا عــند التقــي المــؤمنِ
علــمُ الديانــة، وهْــو أرفعهــا لــدى كــل امــرئ مــستيقظ مــتدين

ومن قال:

الفقــه أشــرف عــز أنــت رائــدُه فابـدأ بـتقوى مناهـي الله وانـته لـه
مــسائلُ الفقــه أســياف يمانــيَّةٌ والفقهـاء بهـا صـالوا علـى الجهلـهْ

[دور كتب المذاهب في حفظ الشريعة من التغيير والتحريف]:

وعن علي[1] وابن عمر[2] وأبي هريرة[3] وغيرهم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يحمل هذا الدين من كل خلف عُدولُه، يُنفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين".

قال النووي[4]: "وفي هذا إخبار منه صلى الله عليه وسلم بصيانة هذا الدين وحفظه، وعدالة ناقليه، وأن الله تعالى يوفِّقُ له في كل عصر خلفا من العدول يحملونه وينفون عنه التحريف، فلا يُضيَّعُ ولا يُبَدَّل ولا يُغَيَّر، حتى إنه إذا وقع فيه تبديلٌ أو تغييرٌ من بعض الملحدين؛ يوجَد من ينبه على ذلك ويرده إلى الأصل والصواب. وهم: العدول الحاملون له على الحقيقة كما ورد: لا تزال [34] طائفة

(1) لم أقف عليه من مسند علي بن أبي طالب عليه السلام.
(2) رواه عنه البزار في "مسنده" كما في "المجمع" 140/1.
(3) رواه البزار في "مسنده" كما في "المجمع" 140/1 والخطيب في "شرف أصحاب الحديث" ص 28.
(4) "تهذيب الأسماء" 45/1.

من أمتي ظاهرين[1] - أي: غالبين - على الحق - أي: لتَمَكُّنِهم فيه واتباعهم له - لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمرُ الله. والمراد بهم: أهل العلم؛ لابتداء الحديث في بعض الطرق[2] بقوله: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين. أو أهل الحديث؛ أي: السنة، أو: طائفة مؤلفة من أنواع المؤمنين؛ منهم: شجعان وفقهاء ومحدثون...وغير ذلك، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في قطر".

قال مفتي تونس البُرْزُلي، نقلا عن الإمام المُجمَعِ على جلالته الشيخِ عز الدين، ونَقَلَهُ الرهوني عند قوله: "وقدمت بينة المِلك"[3]: "ومن اعتقد أن الناس قد اتفقوا على الخطإ؛ فهو أولى بالخطإ منه". والحمد لله رب العالمين.

---

(1) رواه البخاري في "صحيحه" 2667/6 ح 6881 عن المغيرة بن شعبة ومسلم في "صحيحه" 1/ 137 ح 156 عن جابر بن عبد الله وفيهما عن غيرهما.

(2) هي رواية معاوية كما في "البخاري" 39/1 ح 71.

(3) هو قول الشيخ خليل في "المختصر" ص 266 من فصل: القدح في الشاهد.

الفصل الثاني:

في أنه يجب اليوم على كل أحد من أهل الهيللة التقيُّد بمذهب من المذاهب الأربعة

في "الميزان الكبرى"[1]: "إن قلت: فهل يجب على المحجوب عن الإطلاع على العين الأولى للشريعة التقيُّدُ بمذهب مُعيَّن؟. فالجواب: نعم؛ يجب عليه ذلك؛ لئلا يَضِلَّ في نفسه ويُضِلَّ غيرَه".

"وكان[2] سيدي علي الخواص - رحمه الله تعالى - إذا سأله إنسانٌ عن التقيد بمذهب معيَّن الآن، هل هو واجب أم لا؟، يقول له: يجب عليك التقيد بمذهب ما دمتَ لم تصل إلى شهودِ عينِ الشريعة الأولى، خوفا من الوقوع في الضلال، وعليه عمل الناس اليوم. فإن وصلتَ إلى شهود عين الشريعة الأولى؛ فهناك لا يجب عليك التقيد بمذهب؛ لأنك ترى اتصال جميع مذاهب المجتهدين بها، وليس مذهبٌ أولى بها من مذهب، فيرجع الأمر عندك إلى مرتبتي التخفيف والتشديد بشرطهما".اهـ.

وفي "اليواقيت والجواهر"[3]: "أما الضعيف - أي: وهو من لم [35] يُعط قوةَ الاجتهاد - فيجب عليه التقليد لأحد من الأئمة، وإلا؛ هلك وضل".

"وفي تفسير الشيخ إسماعيل[4] المسمى بـ: "روح البيان": "والتزامُ مذهب من المذاهب الحقة لازمٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾. [النساء/59]، والاحتراز عن المذاهب الباطلة واجب؛ لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾. [الحشر/7]".

وفي "تبصرة"[5] ابن فرحون: "وقع في الفتاوي لابن عبد النور من كلام الفقيه أبي محمد عبد الله بن علي ابن سَماري في جوابه عن مسائل مختلفة سُئل عنها في سؤال واحد، بعدما تكلم على المجتهد وصفته وطريقته في الفتوى: إن المكلفين

---

(1) ص 29.

(2) ص44.

(3) ص 30.

(4) 350/10.

(5) ص 160 وما بعدها.

قسمان: مجتهد وغيرُ مجتهد. فتكلم على شروط المجتهد ثم قال: وأما غير المجتهد، وهو: الذي ورد السؤال عنه؛ فلما تعلقت الأحكام الشرعية بأحكامه وليس أهلا لابتداعها واستنباطها من مأخذها؛ أوجب الشرع عليه الرجوع إلى قول المجتهدين العدول، فنَزَّل الشرع ظن المجتهد في حقه كظنه لو كان مجتهدًا؛ لضرورة العمل، وهذا أمر مجمع عليه".اهـ.

وفي" الجوهرة" للشيخ إبراهيم اللقاني[1]:

ومالك وسائرُ الأئمة كذا أبو القاسمْ هداة الأمة
فواجبٌ تقليد حَبر منهم كذا حكى القوم بلفظ يفهِم

والمرادُ بسائر الأئمة: باقيهم؛ الحسن البصري والشافعي، وأبو حنيفة وأحمد، والليث وأبو ثور، وداود والسفيانان، وإسحاق وابن جرير، والأوزاعي والأشعري، والماتريدي والجنيد...

والمعنى كما لشارحها العلامة البيجوري[2]: "أنه يَجبُ على كلِّ مَنْ لَم يكن فيه أهليةُ الاجتهاد المطلَق، ولو كان مجتهدَ مذهب أو فتوى: تقليدُ إمام من الأئمة الأربعة في الأحكام الفروعية".

قال: "وما جزم به الناظم هو مذهب الأصوليين وجمهورِ الفقهاء [36] والمحدثين، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾. [النحل/43]، فأوجب السؤالَ على من لم يعلم ويترتب عليه الأخذ بقول العالم، وذلك تقليد له".

"ولا يجوز تقليد غير الأربعة، ولو كان من أكابر الصحابة؛ لأن مذاهبهم لم

(1) "جوهرة التوحيد" لأبي الإمداد برهان الدين إبراهيم بن إبراهيم بن حسن بن علي بن عبد القدوس ابن الولي الشهير محمد بن هارون اللقاني المالكي المتوفى سنة واحد وأربعين وألف (1041هـ)، وهي أرجوزة في العقائد على مذهب السادة الأشاعرة، وهي المتن المختصر المحفوظ المعتمد في التدريس والتعليم، وتعرف بـ: "الجوهرة في علم الكلام"؛ انتهى ابنه عبد السلام من تبييضها بعد موت أبيه سنة 1048هـ، وشرحها ابنه عبد السلام هذا. ولمحمد الأمير المتوفى سنة 1185هـ حاشيةٌ على الشرح، ولإبراهيم الباجوري المتوفى عام ست وسبعين ومائتين وألف (1276هـ) حاشيةٌ عليها.

(2) ص165.

تُدَوَّن ولم تُضبط كمذاهب هؤلاء. وجَوَّزَ بعضُهم ذلك في غير الإفتاء، قال:

وجائز تقليد غير الأربعة   في غير إفتاء وفي هذا سعة

"أمَّا مَن كان فيه أهليةُ الاجتهاد المطلَق فإنه يَحرُم عليه التقليد فيما يقع له عند الأكثر، واختاره الآمدي وابنُ الحاجب والسبكي؛ لتمكنه من الاجتهاد الذي هو أصل التقليد".اهـ.

وبعد أن ترجم في "نصرة القبض"[1] لأرباب المذاهب الثلاثة عشر قال: "فهؤلاء هم الذين وقع إجماعُ الناس على تقليدهم، مع الاختلاف في أعيانهم، وأطبق العلماءُ على اتباعهم والاقتداء بمذاهبهم، ودَرْس كتبهم، والتفقهِ على مآخذهم، والبناءِ على قواعدهم، والتفريعِ على أصولهم، دون غيرهم ممن تقدمهم أو عاصرهم. وقد اندرست اليوم هذه المذاهب، ودرست أعلامُها، وصارت الناس في أقطار الدنيا إلى المذاهب الأربعة المعلومة الأمر، إلا من لا يؤبه به من الفرق الضالة؛ كالزيدية من الشيعة. قال السيد في "شرح المواقف"[2]: وأكثرُهم في زماننا مقلدون؛ يرجعون في الأصول إلى الاعتزال، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة، إلا في مسائل قليلة".اهـ.

وفي "الرسالة"[3]: "واتباعُ السلف الصالح واقتفاءُ آثارهم"..أي: في اتباع طريقتهم وموافقتهم في علمهم من الواجبات.

الشيخ جَسُّوس[4]: "لأن الله تعالى تَوَعَّد بالعذاب مَنْ خالفهم واتبع غيرَ سبيلِهم، فقال: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ

(1) "نصرة القبض والرد على من أنكر مشروعيته في صلاة الفرض" للعلامة الشيخ محمد بن أحمد بن الحاج المسناوي الدلائي المالكي الفاسي المتوفى سنة 1136هـ، أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي وطبقته، وعنه جمع من الناس، وكان من أوعية العلم في وقته. وكتاب "نصرة القبض" طبع مجددا بدار ابن حزم والكلام المنقول من صفحة 25 وما بعدها.

(2) السيد؛ هو: علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني المتوفى سنة ست عشرة وثمانمئة (816 هـ) إمام في اللغة والفلسفة والكلام، من أهم مؤلفاته: "شرح المواقف للإيجي". "الإعلام"159/5.

(3) ص 9 آخر باب: ما تنطق به الألسنة وتعتقده الأفئدة.

(4) حاشية الشيخ جسوس على "الرسالة" 299/3.

ﭐلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾. [النساء/115]، فيجب اتباعُهم في أقوالهم وفي أفعالهم، وفيما [37] تأولوه، وفيما استنبطوه باجتهادهم".

"قال المصنفُ آخرَ الكتاب[1]: وفي اتباع السلف الصالح النجاة، وهم القدوة في تأويل ما أولوه واستخراج ما استنبطوه، وإذا اختلفوا في الفروع والحوادث؛ لم يُخرج عن جماعتهم. قال[2]: والظاهر أن المرادَ بالسلف الصالح هنا: أهلُ القرون الثلاثة".

ثم قال: "فالحاصلُ الذي يظهر: أن مراد المصنِّف أنه: يتعين علينا اتباعُ الأئمة المجتهدين، ولا يجوز لنا أن نخرج عن مذهبهم".اهـ.

وقال أبو الحسن[3]: "المراد بهم: أهل القرون الثلاثة الأولى، من العلماء العاملين، ومن اتصف بأوصافهم من المتأخرين".

الفاكهاني[4]: "وإنما كانوا قدوةً فيما ذَكر؛ لأنهم جمعوا ثلاثة أشياء: العلم الكامل، والورع الفاضل، والنظر السديد. وغلبت عليهم الإصابة. ولولا هذه الشروط؛ ما صح الاقتداء بهم".

وفي "الإبريز"[5]: "فقد كان الناس في تلك القرون متعلقين بالحق، باحثين عليه، إذا ناموا؛ ناموا عليه، وإذا استيقظوا؛ استيقظوا عليه، وإذا تحركوا؛ تحركوا فيه، حتى إن من فتح الله بصيرته ونظر إلى مواطنهم؛ وجد عقولهم - إلا النادر - متعلقةً بالله ورسوله، باحثةً عن الوصول إلى مرضاتهما، فلهذا كثُر فيهم الخير، وسطع في ذواتهم نورُ الحق، وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يُكَيَّف ولا يطاق".

---

(1) ص 169.

(2) 299/3.

(3) "كفاية الطالب الرباني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني" 666/2 لعلي بن ناصر الدين المنوفي الشاذلي، المتوفى سنة تسع وثلاثين وتسعمئة (939 هـ) 666/2.

(4) الإمام أبو حفص عمر بن علي بن سالم اللخمي الإسكندري الشهير بابن الفاكهاني المالكي، المتوفى سنة 731، له شرح على "رسالة ابن أبي زيد" اسمه: "التحرير والتحبير"، كما في "كشف الظنون" 841/1.

(5) ص 202.

"وفيما بعد القرون الفاضلة؛ فسَدت النيات، وكسدت الطويات، وصارت العقول متعلقةً بالدنيا، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات، واستيفاء اللذات".

وفي "جمع الجوامع" وشرحه[1]: "والأصحُّ أنه: يجب على العاميِّ وغيره ممن لم يبلغ درجة الاجتهاد – أي: المطلق – التزامُ مذهب مُعَيَّن من مذاهب المجتهدين، يعتقده أرجح من غيره أو مساويا له وإن كان في نفس الأمر مرجوحا على المختار. ثم في المساوي؛ ينبغي السعي في اعتقاده أرجحَ؛ ليتجه [38] اختيارُه على غيره".

وفي "المدخل"[2]: "والأساس الذي يحتاج إليه المبتدئ: اتباعُ السلف رضوان الله عليهم أجمعين فيما أخذ بسبيله... فذكر بعض أحوالهم ثم قال: ولأجل ذلك جعلهم الله أئمةً يُقتدى بهم، ويُرجع إلى أقوالهم وأحوالهم"...

وفيه أيضا[3]: "فمَن أراد السلامة؛ فلينسُج على منوال من مضى، فالخير بحذافيره في الاقتداء بهم وبأحوالهم في القليل والكثير، نسأل الله الكريم من فضله أن يمُنَّ علينا بما منَّ به عليهم، فإنه أهل لذلك، والقادر عليه، بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم".

وفي الحطّاب[4]: "قال القرافي في "شرح المحصول"[5]: قال إمامُ الحرمين[6]: أجمع المحققون على أن العوام ليس لهم أن يتعلقوا بمذاهب أعيان الصحابة رضي الله عنهم، بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة الذين سبروا أو نظروا، وبوبوا وهذبوا؛ لأن الصحابة - رضي الله عنهم - لم يعتنوا بتهذيب مسائل الاجتهاد، وإيضاح طرق النظر، بخلاف مَن بعدَهم". أي: ولأن مذاهبهم لم تكثر فروعها حتى يمكن المقلد الاكتفاء بها طول عمره.

---

(1) "شرح المحلي على جمع الجوامع" 40/6 مع حاشية العطار.

(2) 168/2.

(3) 169/2.

(4) "مواهب الجليل" 36/1.

(5) "تنقيح الفصول" ص 350.

(6) في "البرهان في أصول الفقه" 744/2.

[أدلة من قال بعدم تقليد غير الأئمة الأربعة]:

ثم قال القرافي: "ورأيت في بعض كتب الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ما معناه: إن التقليد يتعين لهذه الأئمة الأربعة دون غيرهم؛ لأن مذاهبهم انتشرت وانبسطت، حتى ظهر فيها تقييد مطلقها وتخصيص عامها وشروط فروعها، فإذا أطلقوا حكما في موضع؛ وُجد مكمَّلا في موضع آخر. وأما غيرهم؛ فتنقل عنه الفتاوي مجردةً، فلعل لها مكملا أو مقيدا أو مخصصا، لو انضبط كلام قائله؛ لظهر، فيصير في تقليده على غير ثقة، بخلاف هؤلاء الأربعة".

قال: "وهذا توجيهٌ حسن، فيه ما ليس في كلام إمام الحرمين. أي: ويجوز ذلك؛ لأن أمر النقل خفيف بالنسبة إلى العمل، فإنه قد يكون المقصود منه[1] الاطلاع على وجوه الفقه، والتنبيه للمدارك، وعدم الوفاق، فيوجب ذلك التوقفَ على أمور، والبحث على أمور".

وقال ابن عرفة في كتاب "الأقضية"، عن كتاب" الاستغناء": "انعقد الإجماع في زماننا على تقليد [39] الميت، إذ لا مجتهد فيه".

وقال الرازي في "المحصول"[2]: "الإجماع على جوازه في زماننا؛ لانقطاع المجتهدين".

ومعناه كما في "منع الموانع"[3]: "أن الإجماع انعقد من المجتهدين في المذاهب، الناظرين في الشريعة، وإن لم يَتَرَقَّوا إلى درجة الاجتهاد عند خلو الزمان عن المجتهدين، على جواز تقليد الميت".

وفي أصل "الروضة": "الناسُ اليوم كالمُجمعين على أنه لا مجتهَد اليوم، فلو مَنعنا تقليد الماضين؛ لتركنا الناس حَيارى!".

وفي "منهاج"[4] البيضاوي، والذي اختصره من كلام الإمام: "واختلف في تقليد الميت، والمختار: جوازه، للإجماع عليه في زماننا".

(1) أقحمت في هذا الموضع لفظة [على] وهما.

(2) 98/6.

(3) 12/2.

(4) 268/3 مع "الإبهاج" للسبكي.

وفي "جمع الجوامع" وشرحه[1]: "ويجوز تقليد الميت؛ لبقاء قولِه، كما قال الشافعي رضي الله عنه: المذاهب لا تموت بموت أربابها. خلافا للإمام الرازي في منعه، قال: لا بقاء لقول الميت؛ بدليل انعقاد الإجماع بعد موت المخالف".

قال: "وتصنيف الكتب في المذاهب مع موت أربابها لاستفادة طريق الاجتهاد من تصرفهم في الحوادث، وكيفية بناء بعضها على بعض، ولمعرفة المُتَّفق عليه من المختلف فيه. وعورض بحجية الإجماع بعد موت المُجمعين.

وثالثها: يجوز إن فُقِد الحي للحاجة، بخلاف ما إذا لم يُفْقد.

ورابعها: قال الصفي الهندي: يجوز تقليده فيما نُقل عنه إن نَقله مجتهدٌ في مذهبه؛ لأنه لمعرفته مداركَه يُمَيِّز بين ما استمر عليه وما لم يستمر عليه، فلا ينقل لمن يُقلِّده إلا ما استمر عليه، بخلاف غيره".اهـ.

قال الشيخ حُلُولُو في "شرحه"[2]: "ولا خفاءَ في ثبوت الإجماع في ذلك؛ إذ لم يُنقل عن أحد من أهل العلم بعد استقرار المذاهب المفتى بها إنكاره".

وقال التادلي: "نُظَّارُ أهل الأعصار والأمصار اليوم على ذلك من غير تنازع، ولو سُدَّ هذا الباب لقُلِّد من لا يستحق أن يُقلَّد، لا سيما وقد فسدت العقولُ، وتبدلت، وكثُرت البدع وانتشرت، فكان الرجوع إلى سلف المسلمين وأئمة الدين هو الواجب على المقلدين".

وفي "المدخل"[3]: "فليست العبادة بالعادة، ولا بالاستحسان ولا بالاختيار، وإنما هي راجعة إلى امتثال أمر المولى سبحانه وتعالى مع بيان أمر رسوله المعصوم في الحركات والسكنات، صلوات الله [40] عليه وسلامه. فحيث مشى مشينا، وحيث وقف وقفنا. وكذلك يتعين الرجوع لما استنبطه العلماء وأفادوه من كتاب الله عز وجل وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، مما للقياس فيه مدخل. اللهم مُنَّ

---

(1) 24/6 وما بعدها مع حاشية العطار.

(2) "الضياء اللامع" 120/2. وحلولو هو: أحمد بن عبد الرحمن بن موسى بن عبد الحق الزليطني القيرواني، أبو العباس، المعروف بحلولو: عالم بالأصول، مالكي، من أهل القيروان، استقر بتونس، وولي قضاء طرابلس الغرب، ثم صرف عنه فرجع إلى تونس وولي مشيخة بعض المدارس، إلى أن توفي بها عام ثمانية وتسعين وثمانمئة (898 هـ).

(3) 483/4-484.

علينا بذلك بكرمك يا كريم".

"وأيضا؛ فما حدث بعد السلف - رضي الله عنهم - لا يخلو إما أن يكونوا علموه وعلموا أنه موافق للشريعة ولم يعملوا به، ومعاذ الله أن يكون ذلك، إذ إنه يلزم منه تنقيصهم وتفضيل مَن بعدهم عليهم، ومعلوم أنهم أكملُ الناس في كل شيء، وأشدهم اتّباعا".

"وإما أن يكونوا علِموه وتركوا العمل به، ولم يتركوه إلا لموجب أوجب تركَه، فكيف يمكن فعله؟. وهذا مما لا يتعقل".

"وإما أن يكونوا لم يعلموه؛ فيكون من ادعى علمه بعدهم أعلمَ منهم، وأفضل وأعرف بوجوه البر، وأحرص عليها، ولو كان ذلك خيرا؛ لعلموه، ولظهر لهم، ومعلوم أنهم أعقل الناس وأعلمهم. وقد قال مُطَرّف بن عبد الله بن الشِخّير: عقول الناس على قدر أزمنتهم. ولأجل هذا المعنى لم يكن عندهم إشكال في الدين، ولا في الاعتقادات؛ لوفور عقولهم. وإنما حدثت الشُّبه بعدهم لما خالطت العُجمة الألسن، فلنقصان عقولِ مَن بعدهم عن عقولهم؛ وقع ما وقع!".اهـ.

وكان سيدي أبو الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - يقول كما في "الطبقات الكبرى"[(1)] للإمام الشعراني: "كل علم يَسبق إليك فيه الخواطر، وتميل إليه النفس، وتلتذ به الطبيعة؛ فارم به وإن كان حقا. وخذْ بعلم الله الذي أنزله على رسوله، واقتد به، وبالخلفاء والصحابة والتابعين مِن بعده، وبالأئمة الهداة المبرَّئين عن الهوى ومتابعتِه، تسلمْ من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه. وماذا عليك أن تكون عبدا لله ولا علم ولا عمل؟، وحسبك من العلم: العلمُ بالوحدانية، ومن العمل: محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبة [41] الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة".

قال رجل: "متى الساعة يا رسول الله؟". قال صلى الله عليه وسلم: "ما أعددتَ لها؟". قال: "لا شيء؛ إلا أني أحب الله ورسوله". فقال: "المرء مع من أحب!"[(2)].

---

(1) ص 291.

(2) رواه البخاري في "صحيحه" 1349/3 ح 3485 ومسلم في "صحيحه" 2032/4 ح 2639 عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وقال ابن خلدون في "مقدمته"[1]، في مبحث: علم الفقه، بعدما تكلم على الأئمة الأربعة، ما نصه: "ووقف التقليدُ في الأمصار عند هؤلاء الأربعة، ودرَّس المقلدون لِمَن سواهم، وسدَّ الناسُ باب الخلاف وطرقَه لما كثُر تشعب الاصطلاحات في العلوم، ولِمَا عاق عن الوصول إلى رتبة الاجتهاد، ولِما خُشي من إسناد ذلك إلى غير أهله، ومن لا يوثق برأيه ولا بدينه، فصرحوا بالعجز والإعواز، وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء، كل من اختص به من المقلدين، وحظروا أن يتداول تقليدهم لما فيه من التلاعب، ولم يبق إلا نقلُ مذاهبهم، وعمِل كلُّ مقلِّد بمذهب مَن قلده منهم، بعد تصحيح الأصول واتصال سندها بالرواية، لا محصول اليومَ للفقه غيرُ هذا".

"ومُدَّعي الاجتهاد لهذا العصر؛ مردود على عقبه، مهجور تقليده، وقد صار أهل الإسلام اليوم – أي: آخر المائة الثامنة كما صرح بذلك أولَ الكتاب – على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة".

قال[2]: "ولما صار مذهب كلِّ إمام عَلَمًا مخصوصا عند أهل مذهبه، ولم يكن لهم سبيل إلى الاجتهاد والقياس؛ احتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق وتفريعها[3] عند الاشتباه، بعد الاستناد إلى الأصول المتقرّرة من مذهب إمامهم، وصار ذلك كله يحتاج إلى مَلَكة راسخة يُقتدر بها على ذلك النوع من التنظير أو التفرقة، واتباع مذهب إمامهم فيهما ما استطاعوا، وهذه المَلَكَة هي: علم الفقه لهذا العصر، وأهلُ المغرب جميعا مقلدون لمالك رحمه الله".اهـ.

وفي جوابٍ لسيدي عبد المالك بن محمد التاجَمُّوعْتِي[4] ذكره القاضي أبو

(1) ص 448.

(2) ص 449.

(3) هكذا في النسخة المعتمدة، والذي في المطبوعة: "وتفريقها"، ولعله الصواب كما يدل عليه ما يأتي من كلام ابن خلدون، والله أعلم.

(4) هو: قاضي سجلماسة العلامة الأديب المحدث الخطيب النوازلي المسند أبو الوليد عبد الملك بن محمد التاجموعتي المتوفى سنة ثمانية عشر ومئة وألف (1118هـ)،له من التصانيف في السنة وعلومها: رسالة في العلم النبوي سماها: "ملاك الطلب في جواب أستاذ حلب"، يعني الإمام أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي الشافعي. ترجمته في "نشر المثاني" =

القاسم العَمِيري[1] في "فهرسته" ما نصه: "قراءةُ "الجامع الصحيح" للبخاري بقصد التيمن والتبرك بحديث المصطفى عليه الصلاة والسلام، والتفقهِ فيه، والتيقظِ بمآخذ الأئمة ومدارك أقوالهم، بقدر [42] الاستطاعة لا بقدر الاستنباط، إذ هو شيء مفروغ منه، تولاه النقاد من الأئمة المجتهدين؛ كمالك وأصحابه، والشافعي وأحمد وأبي حنيفة...وغيرهم، من أفضل القربات وأعمال البر لمن يُتقن ذلك ويُحسنه، نحوا ولغةً وأخذا من أفواه علماء هذا الشأن، لا من الكتب من غير تدريب المشايخ".

وقيَّد عقبه سيدي عبد الله بن محمد المَجَّاصي ما نصه: "ما أجاب به هو الحق الذي لا غبار عليه، ويجب المصير إليه".اهـ.

[بيان أقسام المجتهدين وصعوبة مرتبة اجتهاد الفتوى]:

ثم المجتهد ثلاثةُ أقسام: مجتهد مطلق، ومجتهد مذهب، ومجتهد فتوى.

- فالمطلق؛ كالصحابة وأهل المذاهب الأربعة.
- ومجتهد المذهب؛ هو: الذي يقدر على إقامة الأدلة في مذهب إمامه؛ كابن القاسم وأشهب.

ومجتهد الفتوى؛ هو: الذي يقدر على الترجيح؛ ككبار المؤلفين من أهل المذهب. قاله الصاوي على" الدردير".

وفي الأُبِّي[2]: "إن الأول هو المستجمع لشرائط الاجتهاد، التي منها: معرفة اللغة والنحو، والتصريف، وطرق البلاغة، والكتاب والسنة المتعلقة بالأحكام، دون

=

كما في "الموسوعة المغربية" 1910/5، و"فهرس الفهارس" 255/1، وفي "معجم المؤلفين" 6/ 166 ووقع في هذا الأخير أن المترجَم توفي بفاس، والصواب أنه توفي رحمه الله بتافلالت.

(1) أبو القاسم بن سعيد العَميري المكناسي، العلامة المشارك المطلع، له شرح على العمل الفاسي، وله فهرس "التنبيه والإعلام بفضل العلم والأعلام"، مات - رحمه الله - سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وألف (1178 هـ) ودُفن بضريح المولى أحمد بن خضراء بمكناس.. تُرجم في "فهرس الفهارس" 283/2، وفي "تذكرة المحسنين" كما في "الموسوعة المغربية" 2382/7.

(2) 70/1 من "إكمال الإكمال".

أحاديث غير الأحكام، مميِّزا بين صحيحها وسقيمها، وعالما بأحوال الرواة في التعديل والتجريح، وبِسِيَر الصحابة، وبمواقع الإجماع، وبالمتقدم والمتأخر، والناسخ والمنسوخ، وبأصول الفقه الذي باعتباره تُستنبَط الأحكام، وبمراتب الأدلة وما يجب تقديمه منها، ولا بدّ أن يكون له فقه نفس، أي: زيادةُ فطنة، وفقهُ النفس غريزة لا يتعلق بها كسب".اهـ.

[تعذر بلوغ مرتبة الاجتهاد المطلق بعد المائة الثالثة]:

وفي المُناوي الكبير على "الجامع الصغير"[(1)]: "عن الشهاب الرملي: مَن تأمَّل صعوبة مرتبة اجتهاد الفتوى، الذي هو أدنى مراتب الاجتهاد؛ ظهر له أن مدعيها - فضلا عن مدعي الاجتهاد المطلق - في حيرة عن أمره، وفساد فكره، وأنه ممن ركب متن عميا، وخبط خبط عشوا".

قال: "ومَن تصور مرتبة الاجتهاد؛ استحيى من الله أن ينسبها لأحد من أهل هذه الأزمنة، بل قال ابن الصلاح: قد انقطعت من نحو ثلاثمائة [سنة، ولابن الصلاح نحو ثلاثمائة سنة]، [43] فتكون انقطعت من نحو ستمائة [سنة][(2)]. بل نقل ابن الصلاح عن بعض الأصوليين أنه: لم يوجد بعد عصر الإمام الشافعي مجتهد مستقل". إلى هنا كلام الشهاب.

ثم قال: "فإذا كان بين الأئمة نزاع طويل في أن إمامَ الحرمين وحجةَ الإسلام الغزالي - وناهيك بهما - هل هما من أصحاب الوجوه أم لا؟، فما ظنك بغيرهما؟. بل قال الأئمة في الرُويَاني[(3)] صاحب "البحر": إنه لم يكن من أصحاب الوجوه. مع

---

(1) 11/1.

(2) العبارتان بين معكوفين ساقطتان من النسخة المعتمدة، والتصويب من "فيض القدير".

(3) هو: قاضي القضاة عبد الواحد بن إسماعيل الرُويَاني، كان صاحب الوجاهة والرياسة والقبول التام عند الملوك، وكان يلقب بفخر الإسلام ويعرف بصاحب البحر. أخذ العلم عن والده، وتفقه على جده، وعلى محمد بن بنان الكازروني بأفارقين. وصار في المذهب بحيث قال: "لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي". ولد في ذي الحجة سنة خمس عشر وأربعمئة (415 هـ)، وقتله الملاحدة شهيدا بجامع آمل يوم الجمعة حادي عشر من المحرم سنة اثنين وخمسمائة (502هـ).ترجمته في "طبقات الفقهاء" للشيرازي ص 247، وفي "شذرات الذهب" 4/2، وفي "سير أعلام النبلاء" 261/19.

قوله: لو ضاعت كتب الشافعي؛ لأمليتها من رأسي".

"فإذا لم يتأهل هؤلاء الأكابر لمرتبة الاجتهاد المذهبي، فكيف يسوغ لمن لا يفهم أكثرَ عباراتهم على وجهها أن يدعي ما هو أعلى من ذلك، وهو الاجتهاد المطلق؟!".

"هذه[1] الشرائط يَعِزُّ وجودها في زمننا في شخص من العلماء، بل لا يوجد في البسيطة اليوم مجتهدٌ مطلق، هذا مع تدوين العلماء كتبَ التفسير والسنن والأصول والفروع، حتى ملأوا الأرض من مؤلفات صنفوها، ومع هذا؛ فلا يوجد في صقع من الأصقاع مجتهدٌ مطلق، بل ولا مجتهد في مذهب إمام، تُعتبر أقواله وجوهًا مخرجة في مذهب إمامه. ما ذاك إلا أن الله تعالى أعجزَ الخلائق عن هذا؛ إعلاما لعباده بتصرُّم الزمان، وقرب الساعة، وأن ذلك من أشراطها".

"وقد قال شيخ الأصحاب القفَّال: مجتهد الفتوى قسمان؛ أحدهما: مَن جَمع شرائط الاجتهاد، وهذا لا يوجد. والثاني: من ينتحل مذهب الأئمة؛ كالإمام الشافعي، وعرف مذهبه، وصار حاذقا فيه، بحيث لا يشِذُّ عنه شيء من أصوله، فإذا سُئل عن حادثة؛ فإن عرف لصاحبه نصا؛ أجاب عنها به، وإلا؛ فيجتهد فيها على مذهبه، ويخرجها على أصوله، وهذا أعزُّ من الكبريت الأحمر".

"فإذا كان هذا قولَ القفال[2] مع جلالة قدره، وكون تلامذته وغلمانه أصحابَ

---

(1) هذا الكلام نقله المناوي عن ابن أبي الدم حيث قال في "فيض القدير" 12/1: "وقال عالم الأقطار الشامية ابن أبي الدم بعد سرده شروط الاجتهاد المطلق: هذه الشرائط"...الخ الكلام المنقول.

(2) الإمام الكبير العلامة شيخ الشافعية أبو بكر عبد الله بن أحمد بن عبد الله المروزي الخراساني، قال الفقيه ناصر العمري: "لم يكن في زمان أبي بكر القفال أفقه منه ولا يكون بعده مثله، وكنا نقول: إنه مَلَك في صورة الإنسان"، حدث وأملى. وكان رأسا في الفقه قدوة في الزهد. وقال أبو بكر السمعاني في أماليه: "كان وحيد زمانه فقها وحفظا وورعا وزهدا"، وله في المذهب من الآثار ما ليس لغيره من أهل عصره، وطريقته المهذبة في مذهب الشافعي التي حملها عنه أصحابه أمتن طريقة وأكثرها تحقيقا. توفي - رحمه الله - سنة سبع عشرة وأربعمائة (417 هـ). ترجمته في "طبقات الفقهاء" ص 225، وفي "سير أعلام النبلاء" 405/17.

وجوه في المذهب، فكيف بعلماء عصرنا؟. ومن جملة غلمانه: القاضي حسين[1]، والفوراني[2]، ووالد إمام الحرمين[3]، والصيدلاني[4]، والسنجي[5]...وغيرهم،

(1) القاضي حسين بن محمد بن أحمد: العلامة شيخ الشافعية بخراسان أبو علي، تفقه بأبي بكر القفال المروزي، وله "التعليقة الكبرى" و"الفتاوى" وغير ذلك؛ وكان من أوعية العلم، وكان يُلَقَّب بحبر الأمة. مات - رحمه الله - بمرو الروذ في المحرم سنة اثنتين وستين وأربعمائة (462 هـ). ترجمته في "طبقات الفقهاء" ص 234، و"سير أعلام النبلاء" 260/18.

(2) في النسخة المعتمدة: الفواراني، وهو سبق قلم؛ والفوراني هو: العلامة كبير الشافعية أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن فوران المروزي الفقيه صاحب أبي بكر القفال، له المصنفات الكبيرة في المذهب، وكان سيد فقهاء مرو، وسمع علي بن عبد الله الطيسفوني والقفال المروزي، توفي سنة إحدى وستين وأربعمائة (461 هـ). ترجمته في "طبقات الفقهاء" ص 234، و"سير أعلام النبلاء" 264/18.

(3) شيخ الشافعية أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني: والدُ إمام الحرمين، كان فقيها مدققا محققا نحويا مفسرا، تفقه بنيسابور على أبي الطيب الصعلوكي، وبمرو على أبي بكر القفال، قال أبو عثمان الصابوني: "لو كان الشيخ أبو محمد في بني إسرائيل؛ لنقلت إلينا شمائله وافتخروا به"، وله من التواليف: كتاب "التبصرة" في الفقه، وكتاب "التذكرة"، وكتاب "التفسير الكبير"، و"كتاب التعليقة"؛ توفي في ذي القعدة سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة (438 هـ). ترجمته في "سير أعلام النبلاء" 617/17، و"طبقات الشافعية الكبرى" 73/5.

(4) محمد بن داود بن محمد الداودي: أبو بكر شارح مختصر المزني، وهو: الصيدلاني، تلميذ الإمام أبي بكر القفال المروزي، قال الشيرازي في "طبقات الفقهاء" ص230: "وكان إماما في الفقه والحديث، وله مصنفات جليلة"، وقد كان هو والقفال المروزي متعاصرين، ووفاته متأخرة عن القفال بنحو عشر سنين، ولم يعرف في أي سنة كانت وفاته؟. ترجمته في "طبقات الفقهاء" ص230، و"طبقات الشافعية الكبرى" 148/4.

(5) هو: الشيخ أبو علي بن شعيب المروَزي السنجي، كان من أجل أصحاب القفال، وأخذ عن الشيخ أبي حامد الإسفراييني، وكان إمام زمانه في الفقه، وشرح "المختصر" شرحا طويلا، وشرح - أيضا - "التلخيص" وفروع ابن الحداد، وهما في غاية النفاسة والتحقيق. قال ابن قاضي شهبة في "طبقات الشافعية" 207/2: "توفي سنة سبع - بتقديم السين - وعشرين وأربعمائة (427 هـ)". كذا قاله الرافعي في "التذنيب"، وقيل: سنة ثلاثين (430 هـ) وبه جزم الذهبي".اهـ. قلت: بل الذهبي جزم بأنه مات سنة اثنين وثلاثين وأربعمئة (432 هـ) كما في "سير أعلام النبلاء" 526/17، أما الذي جزم بأنه مات سنة ثلاثين وأربعمئة؛ فهو السبكي كما =

وبموتهم [44] وموت أصحاب أبي حامد انقطع الاجتهاد وتخريج الوجوه من مذهب الشافعي، وإنما هم نقلة وحفظة. فأما في هذا الزمان؛ فقد خلت الدنيا منهم، وشغر الزمان عنهم. إلى هنا كلام ابن أبي الدم".

وقد صرح حجةُ الإسلام بخلو عصره عن مجتهد، حيث قال في "الإحياء"[1] في تقسيمه للمناظرات ما نصه: "أما مَن ليس له رتبة الاجتهاد، وهو: حكم حال أهل العصر؛ فإنما يُفتى فيه ناقلا عن مذهب صاحبه، ولو ظهر له ضعف مذهبه لم يتركه".

وقال في "الوسيط"[2]: "هذه الشروط – يعني: شروط الاجتهاد المعتبرة في القاضي – قد تعذرت في عصرنا".اهـ كلام المناوي.

وفي "الديباج"[3] في ترجمة ابن بشير: "وكان يستنبط أحكام الفروع من قواعد أصول الفقه، وعلى هذا مشى في كتابه "التنبيه"، وهي طريقة نبه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد على أنها غيرُ مخلَصَة، وأن الفروع لا يَطَّرِد تخريجها على القواعد الأصولية". اهـ.

ونقله الرهوني[4] عند قول المتن في النكاح: "ولها وللولي تركُها"، وقال: "قلت: ولقد أَدرَكْنا مِن أكابر الشيوخ مَن كان في المعقول: أصولا وبيانا وعربيةً ومنطقا؛ بحرا لا يُجارى، ينحو هذا المنحى، ويسلك في فتاويه هذه الطريقة، فيَرُدُّ عليه مَن لا يدانيه بنصوصٍ هي بالرد عليه حقيقة. ولقد عاصَرْنا مَن يرجع إلى "جمع الجوامع" في الفتوى فيتيه عن سبيل النجا، ويخبط خبط عشوا". انتهى.

وفي "التوضيح": "والمجتهد عزيز الوجود في زمننا، وهو في زمانننا أمكنُ لو أراد الله بنا الهداية؛ لأن الأحاديث والتفاسير قد دُوِّنت، وكان الرجل يرحل في طلب

=

في "طبقات الشافعية الكبرى" 344/4، وقيل: مات سنة نيف وثلاثين، وجزم به ابن خلكان في "وفيات الأعيان" 135/2.

(1) 43/1.

(2) 291/7.

(3) ص 87.

(4) 250/3.

الحديث الواحد، لكن لا بدّ من قبض العلم على ما أخبر عليه الصلاة والسلام"[1].
اهـ، ونحوه لابن عبد السلام. والحمد لله رب العالمين. [45].

(1) روى البخاري في "صحيحه" 52/1 ح 100 ومسلم في "صحيحه" 2058/4 ح 2672 عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه: سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالما؛ اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا".

الفصل الثالث:

في أنه يحرم علينا الاستدلال بالكتاب والسنة على حكم من أحكام الدين وفروعه، لجهلنا بطريق الاستدلال وعجزنا عن تحصيل شروطه

[التحذير من الجرأة على الفتوى والكلام في الوحي]:

في الحديث: "مَن تكلم بغير علم؛ لعنته ملائكة السماء والأرض"[1]، ولا يَغترُّ بكونه لا يجد من يُنكر عليه في الدنيا، فبعد الموت يأتيه الخبرُ، إما في القبر أو على الصراط، والنبي صلى الله عليه وسلم هناك يخاصمه ويقول له: "كيف تجاوزت حديثي وتتكلم فيما ليس لك به علم؟. فإما أن تَرُدَّ شيئا قلتُه وإما أن تَنسُب إليَّ ما لم أقله. أما رأيت فيما أُنزل: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء/36]؟".

فيا ندامتَه يومئذ، ويا فضيحته، هذا إن مات مسلما، وإن عوقب - والعياذ بالله - بسوء الخاتمة كما يقول الخطباء على المنابر في بعض الخطب: "وأقرب ذنب يعاقَب العبد عليه بسوء الخاتمة".

وكما نقل الشيخ محي الدين القرشي الحنفي في "تذكرته" عن الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه قال: "أكثرُ ما يَسلُب الإنسان: الإيمانَ عند الموت، وأكبرُ أسباب ذلك: الظلمُ". وأيُّ ظلمٍ أعظمُ من الجرأة على الخوض في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير علم؟، نسأل الله العافية.

وكيف يَحِلُّ لمن لم يُتقِنْ فنا واحدا من العلوم المشترطَة في التكلم في القرآن؛ وعدتها: خمسة عشر، أن يتجرأ على الاستدلال بآيات القرآن على حكم من الأحكام، وعلى أمر من الأمور، جاهلا بطريق الاستدلال، عاجزا عن تحصيل شروطه. ومثلُ هذا هو الذي ورد فيه الحديث: "من قال في القرآن بغير علم [46]

---

(1) رواه ابن عساكر في "تاريخ دمشق" 20/52 عن علي بن أبي طالب عليه السلام، بلفظ: "من أفتى بغير علم...". وعزاه السيوطي - أيضا - في "الجامع الصغير" إلى ابن لال، والديلمي، كلاهما عن علي رضي الله عنه.

فليتبوأ مقعده من النار"[1]، وفي رواية: "فقد كفر"[2].

فلو استحيى من الله؛ لوقف عند مرتبته – وهي: التقليد – وترك الاستدلال لأهله، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾. [النساء/83]، وأولوا الأمر هم: المجتهدون، كما قال ابن العباس، وجابر بن عبد الله، ومجاهد، وأبو العالية، والضحاك...وغيرهم[3]. وانظر "بلوغ المأمول في خدمة الرسول"، و"إتمام النعمة في اختصاص الإسلام بهذه الأمة" للسيوطي.

فالمُترامي على ذلك وقاحةً وجرأةً يقال له بلسان الشرع: اخسأ؛ فلن تعدو قدرك، ولا وصلتَ أن تُرشد غيرك، ليس بعشك فادرجي، ولا بمنزلك فاخرجي، عذرنا النخل في إبداء شوك...

إذا رُزق الفتى وجهاً وَقَاحًا ... تقلب في الأمور كما يشاءُ
إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستحي فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء

إذا لم تصُن عِرضا ولم تخش خالقا ... وتستحيِ مخلوقا؛ فما شئت فاصنعْ

إذا قَلَّ ماءُ الوجه قَل حياؤه ... ولا خير في وجه إذا قل ماؤهُ

ورُب دَنِيَّة ما حال بيني ... وبين ركوبها إلا الحياء
فكان هو الدواءَ لها، ولكن ... إذا ذهب الحياء فلا دواء

إذا لم يكن للمرء عين بصيرةٌ ... فلا غَرْوَ أن يرتاب والصبحُ مُسْفِرُ[4]

---

(1) رواه الترمذي في "سننه" 199/5 ح 2950 عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(2) لم أقف على هذه الرواية والله أعلم.

(3) كما عزاه إليهم وإلى غيرهم السيوطي في "الدر المنثور" 153/3.

(4) هذه أبيات مفرقة أوردها الإمام سيدي جعفر الكتاني لموضوع واحد.

[بيان أن الحديث مضلةٌ إلا لمن تفقه]:

وفي "الرسائل الكبرى"[1] لابن عباد: "ولقد نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثِه مَن قال مِن العلماء ما معناه: لو كان لي حكمٌ لفعلت بكل من يذكر من العوام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مُحتجًا به ومستدلا كذا وكذا. قال سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى: الحديثُ مَضلة إلا للفقهاء، يعني: لسوء فهم من عدى الفقهاء، ولذلك استثناهم". [47].

"وأما اعتقاد أن الحديث من حيثُ هو ضلال، وأن المتبعين له ضُلَّال؛ فمِن اعتقادات الحمقاء الجهال. فليحذر مَن أراد النجاة من أن يُحَكِّم فهمَه القاصر على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأخذ معانيَه عن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، الذين يَعْلَمون مواقعها، ويضعونها مواضعها، كما قال من قال، وأظنه ابنَ وهب: لولا مالك؛ لضللت".اهـ.

وعبارة ابن حجر الهيتمي في "فتاواه الحديثية"[2]: "وقال ابن وهب: كلُّ صاحب حديث لا يكون له أصل في الفقه؛ لا يفلح أبدا، ولولا أن الله أنقذنا بمالك؛ لضللنا. وقال بعضهم: لا أجهل من صاحب حديث إن لم يتفقه فيه!".

"وقال مالك رضي الله عنه لابنَيْ أخته: بكر وإسماعيل: أراكما تحبان الحديث وتطلبانه؟، قالا: نعم. قال: إن أحببتما أن تنتفعا به وينفعَ الله بكما؛ فأقِلَّا من الحديث وتفقها. أشار إلى أنه لا بدّ من معرفة الحديث، لكن العمدة إنما هي على التفقه فيه".اهـ.

واستُفيد من هذا مزيد فضل الفقه، وأنه ثمرة الحديث، وإن كان طلب الحديث أشد، وتحصيله أشق.

وقال الشافعي: "من حفظ الفقه؛ عظُمت قيمته، ومن تعلم الحديث؛ قويت حجته، ومن تعلم الشعر والعربية؛ رق طبعه، ومَن تعلم الحساب؛ جزل رأيه، ومن

(1) ص324، بتحقيق هونركمب كنثال، KENNETH L.HONERKAMP (university of georgia) طبع بدار المشرق ببيروت سنة 2005.

(2) ص 373.

لم يصن نفسه؛ لم ينفعه علمه".

إذا مـــا اعتـــز ذو علـــم بعلـــم ... فعلـمُ الفقـه أشـرفُ فـي اعتـزازِ
فكـــم طِـــيب يفـــوحُ ولا كمـــسكٍ ... وكـــم طيـــر يطيـــر وكـــلا كـــباز

غيره:

تفقَّـــه؛ فـــإن الفقـــه أفـــضلُ قائـــد ... إلـى البـر والـتقوى، وأعـدلُ قاصـدِ
هـو العَلَـمُ الهـادي إلـى سَـنن الهـدى ... هـو الحصنُ يُنجي من جميع الشدائدِ
فـــإن فقـــيها واحـــدا مـــتورعًا ... أشـدُّ علـى الـشيطان مـن ألـف عابـدِ

غيره:

واحـتَفِل للفقـه فـي الـدين، ولا [48] ... تنـــشغل عـــنه بمـــال وخـــوَلْ
واهجـــر الـــنوم، وحَـــصِّلْهُ، فمـــن ... يعـرفُ المطلـوب؛ يحقـرْ مـا بـذلْ
لا تقـــل: قـــد ذهـــبت أربابُـــه ... كـل مـن سـار علـى الـدرب وصـلْ
فـــي ازديـــاد العلـــم إرغـــامُ العِـــدا ... وجَمـــالُ العلـــم: إصـــلاحُ العمـــل

قال بعض المفسرين[1] في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾. [البقرة/269]: "إنها الفقه في دين الله عز وجل".

وفي الحديث: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، ويلهمه رشده، وإنما أنا قاسم والله المعطي"[2].

"الناس معادن؛ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذ فقُهوا"[3].

"ما عُبد الله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من

(1) أخرج ابن أبي حاتم في "التفسير" 324/2، عن مالك بن أنس قال: "قال زيد بن أسلم: إن الحكمة العقل، وإنه ليقع في قلبي أن الحكمة الفقه في دين الله، وأمر يدخله الله القلوب من رحمته وفضله، ومما يبين ذلك: أنك تجد الرجل عاقلاً في أمر الدنيا إذا نظر فيها، وتجد آخر ضعيفاً في أمر دنياه عالماً بأمر دينه بصيراً به يؤتيه الله إياه ويحرمه. هذا فالحكمة: الفقه في دين الله".

(2) رواه البخاري في "صحيحه" 39/1 ح 71 ومسلم في "صحيحه" 719/2 ح 1037 عن معاوية بن أبي سفيان، دون زيادة: "ويلهمه رشده"، فهي عند عبد الله بن أحمد في: "زوائد الزهد" ص 161 والطبراني في "الكبير" 259/14.

(3) رواه البخاري في "صحيحه" 1315/3 ح 3394 ومسلم في "صحيحه" 1958/4 ح 2526 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ألف عابد، ولكل شيء عمادٌ وعماد العبادة الفقه"[1].

"خير دينكم: أيسره، وأفضل العبادة: الفقه"[2].

"أفضل العبادة: الفقه، وأفضل الدين: الورع"[3].

"يسير الفقه خير من كثير العبادة"[4]، و"أفضل أعمالكم: الفقه"[5].

والمراد بالفقه: الذي هو شرط في الشرف دنيا وأخرى: ما لا رخصة للمكلَّف في تركه.

وفي "أجوبة ابن رشد": "إن قوله: الحديث مَضلة إلا للفقهاء. ليس بحديث، وإنما هو من قول ابن عيينة أو غيرِه من الفقهاء، وهو كلام صحيح بَيِّنٌ معناه؛ لأن الحديث – أي: كالقرآن – منه: ما يَرِد بلفظ الخصوص والمراد به العموم، ومنه: ما يرِدُ بلفظ العموم والمراد به الخصوص، ومنه: الناسخ ومنه المنسوخ، ومنه: ما لم يصحبه عمل، ومنه: مشكِلٌ يقتضي ظاهرُه التشبيه؛ كحديث النزول؛ أي: ينزل ربنا[6]،

---

(1) أخرجه الطبراني في "الكبير" 450/19 والبيهقي في "الشعب" 234/4 عن أبي هريرة.

(2) رواه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" 82/1 عن أنس بن مالك.

(3) رواه الطبراني في "الكبير" 251/9 عن ابن عمر.

(4) رواه الطبراني في "الكبير" 129/1 عن عبد الرحمن بن عوف.

(5) لم أقف عليه إن أدرجه المؤلف حديثا مستقلا، وليس هو من تمام الحديث قبله، والله أعلم.

(6) رواه البخاري في "صحيحه" 384/1 ح 1094 ومسلم في "صحيحه" 521/1 ح 758 عن أبي هريرة، وهذا كلام نفيس للغاية للحافظ ابن حجر رحمه الله من "فتح الباري" 30/3 أنقله بطوله في المسألة لنفاسته، قال رحمه الله: "قوله: ينزل ربنا إلى السماء الدنيا. استدل به من أثبت الجهة، وقال: هي جهة العلو. **وأنكر ذلك الجمهور**؛ لأن القول بذلك يفضي إلى التحيز تعالى الله عن ذلك".

"وقد اختلف في معنى النزول على أقوال؛ فمنهم: من حمله على ظاهره وحقيقته، وهم: المشبهة تعالى الله عن قولهم. ومنهم: من أنكر صحة الأحاديث الواردة في ذلك جملة؛ وهم: الخوارج والمعتزلة، وهو مكابرة، والعجب أنهم أولوا ما في القرآن من نحو ذلك وأنكروا ما في الحديث؛ إما جهلا وإما عنادا".

"ومنهم: من أجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الإجمال، منزها الله تعالى عن الكيفية والتشبيه، وهم: جمهور السلف، ونقله البيهقي وغيره عن الأئمة الأربعة، والسفيانين والحمادين والأوزاعي والليث وغيرهم".

"ومنهم: من أوله على وجه يليق مستعمَلٍ في كلام العرب".

=

وحديث الصورة؛ أي: خلق الله آدم على صورته[1]، أو: على صورة الرحمن[2]. أي[3]: متجليا على صورته بشيء من صفاته؛ كالرحمة، أو خلق وجه آدم على صورة

=

"ومنهم: من أفرط في التأويل حتى كاد أن يخرج إلى نوع من التحريف".
"ومنهم: من فصل بين ما يكون تأويله قريبا مستعملا في كلام العرب وبين ما يكون بعيدا مهجورا، فأوَّل في بعض وفوَّض في بعض، **وهو منقول عن مالك**، وجزم به من المتأخرين ابن دقيق العيد".
"قال البيهقي: وأسلمها الإيمان بلا كيف والسكوت عن المراد، إلا أن يرد ذلك عن الصادق فيصار إليه. ومن الدليل على ذلك: اتفاقهم على أن التأويل غير واجب؛ فحينئذ التفويض أسلم...وقال ابن العربي: حُكيَ عن المبتدعة رد هذه الأحاديث، وعن السلف إمرارها، وعن قوم تأويلها، وبه أقول؛ فأما قوله: "ينزل" فهو راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته، بل ذلك عبارة عن مَلَكه الذي ينزل بأمره ونهيه. والنزول كما يكون في الأجسام يكون في المعاني، فإن حملته في الحديث على الحسي؛ فتلك صفة الملَك المبعوث بذلك، وإن حملته على المعنوي، بمعنى أنه: لم يفعل ثم فعل؛ فيسمى ذلك نزولا عن مرتبة إلى مرتبة فهي عربية صحيحة.انتهى".
"والحاصل: إنه تأوله بوجهين: إما بأن المعنى: ينزل أمره أو الملك بأمره، وإما بأنه استعارة بمعنى التلطف بالداعين، والإجابة لهم ونحوه... وقد حكى أبو بكر ابن فورك أن بعض المشايخ ضبطه بضم أوله على حذف المفعول؛ أي: يُنزل ملكا، ويقويه ما رواه النسائي من طريق الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد بلفظ: إن الله يمهل حتى يمضي شطر الليل، ثم يأمر مناديا يقول: هل من داع فيستجاب له...الحديث، وفي حديث عثمان بن أبي العاص: ينادي مناد: هل من داع يستجاب له... الحديث. قال القرطبي: وبهذا يرتفع الإشكال، ولا يعكر عليه ما في رواية رفاعة الجهني: ينزل الله إلى السماء الدنيا، فيقول: يسأل عن عبادي غيري. لأنه ليس في ذلك ما يدفع التأويل المذكور. وقال البيضاوي: ولما ثبت بالقواطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز؛ امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع أخفض منه، فالمراد: نور رحمته، أي: ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام، إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة".انتهى المراد من كلام الحافظ.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" 2299/5 ح 5873 ومسلم في "صحيحه" 2017/4 ح 2612 عن أبي هريرة.
(2) روى ابن أبي عاصم في كتاب "السنة" 228/1 عن ابن عمر مرفوعا: "لا تقبحوا الوجوه؛ فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن". وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" 430/12.
(3) للعلماء في ضمير "صورته" ثلاثة أقوال: أنها عائدة إلى بني آدم، دليله: سبب ورود الحديث
=

هذا الوجه، وذلك أنه - عليه السلام - رأى رجلا يضرب عبده على وجهه، فقال له ذلك، أي: لا تضربه على وجهه؛ فإن الله خلق وجه ....الخ، وآدم أبوك، فكيف تضرب وجها يشبه وجه أبيك؟".

"وقول النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل[1] [49]: من تقرب إليَّ شبرا؛ تقربتُ إليه ذراعا، ومن تقرب إلي ذراعا؛ تقربتُ إليه باعا، ومن أتاني يمشي؛ أتيته هرولة. وما في معناه من الأحاديث؛ لأن هذا كلَّه لا يَعلم معناه إلا الفقهاء".

"فمتى جمع الحديثَ أحدٌ ولم يتفَقَّهْ فيه؛ أضلَّه بِحَمله في جميع المواضع على ظاهره من الخصوص والعموم، والتشبيه والعمل بالمنسوخ".

"وقولهم: الفقيه لا يستحق اسم الفقه إلا بعد معرفته بالحديث، معناه: لا يستحقه لمعرفته بالحديث، وإنما يستحقه للتفقه فيه. ومعرفتُه للحديث إذا لم يتفقه فيه؛ مَضلة له".اهـ.

=

الذي يذكره الإمام المؤلف هنا، الثاني: أنها كناية عن اسمين ظاهرين؛ فلا يصلح عودها على الباري عز وجل، الثالث: أنها عائدة عليه سبحانه، إما أنها صورة ملك لأنه خلقه وأمره، وإما الصورة بمعنى الصفة...انظر تفصيله في "دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه" لابن الجوزي ص20-21.

ولمحققي الصوفية قولٌ آخر في توجيه هذا الخبر، فقد قال القطب الشعراني في "اليواقيت والجواهر"ص75: "فإن قلت: فإذا كان الحق تعالى لا يشبه خلقه في شيء مطلقا، فما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: إن الله خلق آدم على صورته؟. فالجواب: ما قاله الشيخ في الباب الحادي والستين وثلاثمائة: إن المراد هنا بالصورة: أن الله تعالى جعل كلا من آدم وبنيه يأمر وينهى، ويعزل ويولي، ويؤاخذ ويسامح ويرحم...ونحو ذلك؛ لكونه خليفة في الأرض، إذ الصورة تُطلق ويراد بها: الشأن والحكم والأمر، أي: الله تعالى جعل آدم يفعل بأمره ما يشاء الله سبحانه له. فهذا هو معنى الصورة".اهـ.

وللشيخ الإمام أبي الفيض سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني كلام نفيس في المسألة، يرجع لها في كتاب: "لسان الحجة البرهانية" بتحقيقنا. طبع دار الكتب العلمية.

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" 2694/6 ح 6970 ومسلم في "صحيحه" 2061/4 ح 2675 عن أبي هريرة.

ونحوُه لابن حجر الهيتمي في "أجوبته الحديثية"[1] وزاد: "ومَن لا يعرف إلا مجرد الحديث؛ يضل فيه، كما وقع لبعض متقدمي الحديث، بل ومتأخريهم؛ كابن تيمية وأتباعه، وبهذا يُعلم فضلُ الفقهاء المستنبطين على المحدثين غير المستنبطين".

"ومن ثَم قال صلى الله عليه وسلم[2]: رُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه[3]. وقال: بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج[4]. فمُستنبطو الفروعِ هم خيار سلف الأمة وعلماؤهم وعدولهم، وأهل الفقه والمعرفة فيهم، فهم قومٌ غُذوا بالتقوى، ورُبوا بالهدى، أفنوا أعمارهم في استنباطها وتحقيقها بعد أن ميزوا صحيح الأحاديث من سقيمها، وناسخها من منسوخها، فأَصَّلوا أصولها، ومهدوا فروعها، فجزاهم الله عن المسلمين خيرا، وأحسن جزاءهم، كما جعلهم ورثة أنبيائه وحفاظ شريعته وشهود آلائه، وألْحَقنا بهم، وجعلنا من تابعيهم بإحسان، إنه الكريم الجواد الرحمن، والحمد لله رب العالمين".اهـ. [50].

---

(1) ص 373.

(2) رواه الترمذي في "سننه" 34/5 ح 2657 عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(3) رواه أبو داود في "سننه" 322/3 ح 3660 عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(4) رواه البخاري في "صحيحه" 1275/3 ح 3274 عن عبد الله بن عمرو.

الفصل الرابع:

في أن من سلك غير سبيل من ذكرنا وانتحل غير الطريق الذي قدمنا فهو مبتدع ضال

ومُضل جاهل غال، خذله الله وأضله، وأعماه وأذله، فاسد الأحوال، كاذب الأقوال، لا يقام لكلامه وزن، بل يُرْمى في كل وعر وحَزْن، إن استمر على ذلك إلى الممات يعامله الله بعدله، بمقتضى جريمته، أجارنا الله وجميعَ المسلمين من مثل طريقته وعقيدته، يُجاهَد بما يمكن من المعارضة والانتهار، حتى يُلقَم الحجر ويُفحم ويحصل الانتصار.

[وجوب هجر وتعزير المبتدع في الدين، المخالف للجماعة]:

في تفسير الشيخ إسماعيل المسمى بـ: "روح البيان"[1]: "واعلم أن من الأمور اللازمة: تعليم الجهلاء ورد الملاحدة والمبتدعة، فإنه كوضع الدواء على جراحات المجروح، أو كقتل الباغي المضر، وردهم بالأجوبة القاطعة، مما لا يخالف الشريعة والطريقة".

"ألا ترى أن الله تعالى أمر حبيبه - عليه الصلاة والسلام - بالجواب للطاعنين في القرآن، وقد أجاب السلف عمن أطال على القرآن وذهب إلى حدوثه ومخلوقيته وكتبوا رسائل، وكذا علماء كل عصر جاهدوا المخالفين بما أمكن من المعارضة حتى ألقموهم الحجر وأفحموهم، وخلَّصوا الناس من شبهاتهم وشكوكهم؟. وفي الحديث: من انتهر[2] - أي: منع بكلام غليظ - صاحب بدعة - [سيئة مما هو عليه من سوء الاعتقاد والفحش من القول والعمل - ملأ الله تعالى قلبه أمنا وإيمانا، ومن أهان صاحب بدعة][3]؛ آمنه الله تعالى يوم القيامة من الفزع الأكبر".اهـ.

وفيه أيضا[4]: "والملاينة المطلوبة في الشرع - أي: كقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾. [طه/44]، ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى

---

(1) 190/9 عند شرح قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾. الآية [الفرقان/6].

(2) رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء" 344/3 عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما.

(3) ما بين معكوفين ساقط من النسخة المعتمدة، أثبته من "روح البيان" لضرورته.

(4) "روح البيان" 221/1.

هِىَ أَحْسَنُ ﴾. [العنكبوت/46]، ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾. [النحل/125]، ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾. [الكهف/22]، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ -إلى قوله- فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾. [البقرة/258]، ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾...الآية [مريم/42]، ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ﴾...الآية. [الأنعام/83] – هي: التي تكون من غير مداهنة ومن غير أن يتكلم مع المبتدع بكلام يظن أنه يَرْضى مذهبه، أو يسكت له على ما يخالف الحق، فيكون سكوته مؤيدا لبدعته".اهـ.

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ . [الفتح/29]، إذ لا تأخذهم بهم رأفة، بل هم معهم كالأسد على فريسته؛ لأن الله تعالى أمرهم بالغلظة عليهم، فلا يرحمونهم.

وعن الحسن: "بلغ من تشديدهم عليهم أنهم: كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تمس ثيابهم، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم، وبلغ من تراحمهم فيما بينهم أنه: كان لا يرى مؤمن مؤمنًا إلا صافحه وعانقه".

ومن حق المسلمين في كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف، فيتشددوا على من ليس من ملتهم ودينهم، ويتحامون ويعاشرون إخوانهم المؤمنين في الإسلام، متعطفين بالبر والصلة والمعونة، وكف الأذى والاحتمال منهم. قاله الخطيب.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ - بالسيف - وَٱلْمُنَٰفِقِينَ - باللسان والحجة - وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾. [التوبة/72]. استعملْ الغلظة والزجر والخشونة والبغض بالانتهار والمقت، وشدِّدْ عليهم في الخطاب، ولا تعاملهم باللين.

وعن قتادة: "مجاهدة المنافقين بإقامة الحدود عليهم". وعن مجاهد: "بالوعيد". وقيل: "بإفشاء أسرارهم".

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرتدد مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ - عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع، أو أنهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم لأجنحتهم - عَلَى

ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ - أشداء - عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾. [المائدة/ 54]. بمعنى أنهم: جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين. وجدالهم بحق للوقوف على الحق محمود [52]، ودليلُ مشروعيته: الكتابُ والسنة والإجماع.

فقد حكى الله مناظرة الأنبياء مع أممهم، كقصة نوح مع قومه، حتى: ﴿ قَالُوا يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا ﴾. [هود/32]، وكما في الآيات المتقدمة .

وقد أقام - عليه السلام - بمكة عشر سنين يدعوهم إلى الله تعالى، ويُبَيّن لهم البراهين الساطعة والآيات القاطعة، ويحتج عليهم، ويقرعهم، ويوبخهم ويتلو عليهم: ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾. [البقرة/111].

وفي الصحيح[1]: "تحاج آدم وموسى..."، وفي حديث[2]: "لا عدوى...فمن أعدى الأول".

وأجمع الصحابةُ على جوازه وفِعلِه، ومضى على ذلك السلف والخلف.

[المناظرة لا تكون إلا مع من يُرجى منه الرجوع إلى الحق]:

نعم؛ في "الرسائل الكبرى" لابن عباد: "المناظرة إنما تستقيم مع من يُرجى معه حصول فائدة المناظرة، وهو: الآخذ بالحق إذا تبين. وأما من جرى عليه القدَر بجحوده على هواه، حتى لا مساغ فيه لكلام أحد - أي: بل يجحد الحق بعد ظهوره تعنتا وعنادا، ويظهر الخلل في كلام المحق لينسب بذلك شرف العلم لنفسه والجهل لغيره - فلا فائدة للمناظرة معه".اهـ.

(1) "صحيح البخاري" 2439/6 ح 6240 و"صحيح مسلم" 2032/4 ح 2652 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) رواه البخاري في "صحيحه" 2161/5 ح 5388 ومسلم في "صحيحه" 1742/4 ح 2220 عن أبي هريرة ولفظه: "لا عدوى ولا صفر ولا هامة"، فقال أعرابي: "يا رسول الله؛ فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟". قال: "فمن أعدى الأول؟". وللدكتور الطبيب محمد علي البار - حفظه الله - كتاب في شرح هذا الحديث وما في معناه من الناحية الطبية.

وقد قال الشافعي[1]: "ما ناظرتُ أحدا قط إلا أحببت أن يُوَفَّق ويُسدَّد ويعان، ويكون عليه رعاية من الله عز وجل، وما كلمتُ أحدا قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه، ولا أبالي أن يُبَيِّنَ اللهُ عز وجل الحق على لساني أو على لسانه".

وقال أيضا: "ما أوردتُ الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هِبْتُه واعتقدت مودته، ولا كابرني أحدٌ على الحق ودافع الحجة؛ إلا سقط من عيني ورفضته".اهـ.

وفي التنزيل: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ [غافر/5].

رُوي[2] عن مالك أنه كان يقول: "أهل بلدنا يكرهون الجدال والبحث والنظر إلا فيما عنه عمل دون ما سبيله الإيمان والاعتقاد، فإنهم لا يرون فيه جدالا ولا مناظرة".

قال القاضي عبد الوهاب: لأن في مناظرة أهل الأهواء بَسْطًا معهم، وتأنيسَهم [53]، وإظهارَ بدعتهم، وإعلانَ ضلالتهم، وهو ضد ما يجب من هجرانهم ومعاقبتهم، وإخفائهم وترك مواصلتهم، والسلام عليهم، وقد يقع للجهال والولدان شبهةٌ تُشَوِّش عليهم الصحيح".

وقال الشيخ زروق: "إنَّ الكلامَ مع أهل الأهواء ومنازعتَهم ضررٌ في الغالب، ولا ينفع إلا النادر، والنادرُ لا حكم له".اهـ.

ولذلك قال عبد الله بن عمر: "أما أنا؛ فعلى بينة من ربي، فإن كنتَ شاكا؛ فاذهب إلى شاك مثلك فناظِره".

ومن كتاب "سيَر السلف" للحافظ إسماعيل الأصبهاني: "قال بِشْرٌ بن الحارث: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى؛ لا تخاصم أهلَ الأهواء فيُلقُوا في قَلبك شيئا فيُرْديك، فيسخط الله عليك".اهـ.

---

(1) أسنده عنه أبو نعيم في "الحلية" 118/9.

(2) أسنده عن مالك ابن عبد البر في "الاستذكار" 513/2.

وأخرج الإمام أحمد في "مسنده"[1] والحاكم[2] وأبو داود[3] عن عمر[4]: "لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم".

المناوي[5]: "لا تجالسوا أهل القدر؛ فإنه لا يؤمَن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ولا تفاتحوهم".

العلقمي[6]: "لا ترفعوا الأمر إلى حكامهم، أو لا تبتدئوهم بالمجادلة والمناظرة في الاعتقاديات؛ لئلا يقع أحدكم في شك، فإن لهم قدرةً على المجادلة بغير الحق".

وقال المظهري: "لا تناظروهم، ولا تبحثوا معهم عن الاعتقاد؛ فإنهم يوقعونكم في شك، ويشوشون عليكم اعتقادكم" .اهـ. وهذا بالنسبة لغير المهرة في العلم.

وقال مالك: "لا تُمَكِّن زائغَ القلب من أذنيك؛ لا تدري ما يَعْلَقُك من ذاك".

وسمع رجلٌ من الأنصار من أهل المدينة شيئا من بعض أهل القدر، فعلَقَ قلبُه به، فكان يأتي إخوانَه الذين استصحبوهم، فإذا نهوه قال: "كيف بما علق قلبي؟، لو علمتُ أن الله راض أن ألقي نفسي من فوق هذه المنارة لفعلت!".

ولما التقى سيدي أحمد - الشهير باللوزي[7] - مع سيدي عبد الوارث[8]،

---

(1) 30/1.

(2) "المستدرك" 159/1.

(3) 228/4 ح 4710.

(4) مرفوعا.

(5) "فيض القدير" 389/6.

(6) لفظة "العلقمي" مقحمة هنا في كلام المناوي، فلعلها ثابتة في نسخة المؤلف رحمه الله من "فيض القدير".والله أعلم.

(7) هو: الولي الصالح أبو العباس سيدي أحمد الشهير باللوزي الأندلسي، قال في "أزهار البستان": "كان مصحوبا بالنور من أول قدم"، توفي عام ثمانية وألف (1008 هـ)، له ترجمة في "نشر المثاني"، انظر "موسوعة أعلام المغرب" 1104/3.

(8) هو: الشيخ سيدي عبد الوارث الياصلوتي جمع الولاية الكبرى والعلم الغزير، ولد عام ثمانية وثمانين وثمانمئة (888 هـ)، وتوفي عام واحد وسبعين وتسعمئة (971 هـ)، كما في "نشر المثاني"، انظر "الموسوعة" 1104/3.

أولَ ما قال له: "أوصيك: إياك والفقراء". وكان اللوزي كثير المخالطة لهم، فقال له [54]: "وأين لي عنهم؟". فقال له: "خفتُ أن تَسقُط بيد مبطل يصبغك صبغة لا تكاد تجد مَن يخرجك منها، ولو علمتُ أنك تقع على المحقين؛ لقلت لك: ابسُط لهم خدك". كما في "النشر" عن "المطمح".

وفي "نصرة القبض" فيما يشبه ما نحن فيه: "فإن تلك الفئة الخاسرة، ممن لا يفهم الخطاب، ولا يحسن الجواب، وممن لا يُطمَع في رجوعه للحق إذا تبين أو يرجى منه المتاب، ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾. [المطففين/ 14]، فالكلام مع مثلهم ضائع، وتبيين الحق لهم غير نافع، والمشتغل به ضارب في حديد بارد، وطالبٌ إصلاح الفاسد، كدابغةٍ وقد حلِم الأديم[1].

ومن البلية: عذْلُ من لا يرعوي عن جهله، وخطاب من لا يَفْهَمِ[2]

﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾. [النجم/ 29].

وفي "الجرعة الصافية": "قال ابن القاسم: لما ظهر الفساد في الأمة، واختلفت آراؤها ومذاهبُها؛ قلت لمالك رضي الله عنه: إذا كان الحقُّ معي؛ أفأجادل عنه حتى أُظهرَه؟. قال: قُل الحقَّ، فإن قُبل منك وإلا؛ فاصمُت. ولما جاء حفص القرطي ليناظره؛ قال له: يا مالك؛ إني جئتُ لأناظرك. قال: وما تريد من ذلك؟. قال إن غلبتُك اتبعتني، وإن غلبتني؛ اتبعتُك!. قال: وإن جاءنا ثالثٌ فغلبنا؟، قال: اتبعناه. قال: وإن جاءنا رابع فغلبنا؟. قال حفص: اتبعناه. قال: يا هذا؛ إنك تريد أن تكون كل يوم على دين جديد حتى تلقى الله ولا دين لك، أما أنا؛ فعلى بينة من ربي، وبصيرة من ديني، لم يلتبس عليَّ الأمرُ حتى أجادل على ظهوره، لم يأتنا بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبيّ، ولا بعد الكتاب كتاب فيلتبسَ الأمرُ علينا، أخذنا ديننا – أي: بواسطة أشياخه، لأنه من تابع التابعين على الصحيح – عن أصحاب رسول الله

---

(1) قال في "مجمع الأمثال" 150/2: "كدابغة وقد حلم الأديم، يضرب للأمر الذي قد انتهى فساده، وذلك أن الجلد إذا حلم فليس بعده إصلاح. وهذا المثل يُروى عن الوليد بن عتبة أنه كتب إلى معاوية: فإنك والكتاب إلى علي كدابغة وقد حلم الأديم".

(2) البيت من الكامل للمتنبي.

صلى الله عليه وسلم، فاقتفينا [55] آثارهم فيه حذوَ القدم بالقدم، وهم آخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاقتفوا آثاره فيه حذو القدم بالقدم، لم يشكُّوا ولم يرتابوا، تلقوه منه غضا طريا لم يُشَبِ بغيره، ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾. [النجم/3-4]، ثم منَّ عليه وعليهم بقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾. [المائدة/3]، ثم ثُرت أنت وأصحابُك لا بارك الله فيكم، فاشتغلتم بنقض الدين بعد كماله، وبإخفاء الحق بعد ظهوره، وإطفاء نور الله بعد وضوحه، وبتشكيك الأمة في دينها بعد يقينها، ﴿ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝ ﴾. [التوبة/32]، مثلُك أنت وأصحابُك، فاخسأْ صاغرا".

[الفرق بين المراء المذموم والجدال المحمود، وذم التشدق في الكلام]:

وكان إذا فَهِمَ من السائل التعنيتَ؛ لم يجبه، وأعرض عنه؛ دفعا للمِراء والجدل، وإعراضا عن الجاهلين.

المراءُ: طعنُك في كلام الغير بإظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله، أو إظهار مزيتك عليه.

والجدال: عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها، وهو يكون بحق للوقوف عليه وهو محمود كما تقدم، وبباطلٍ بأن يكون لمدافعة حق أو بغير حق وهو مذموم، وهو المراد هنا!.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ونحن نتمارى في شيء من أمر الدين؛ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا لم يغضب مثله، ثم انتهرَنا وقال صلى الله عليه وسلم: إنما هلك مَن كان قبلكم بهذا، ذروا المراء لقلة خيره، فإن المؤمن لا يماري، ذروا المراء؛ فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء؛ فكفى العبدَ إثما أن لا يزال مماريا، ذروا

المراء؛ فإنه أولُ ما نهاني عنه عز وجل بعد عبادة الأوثان"[1].

وأخرج أبو داود[2] والترمذي[3] وحسَّنه عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال - أي: المظهر الفُصح إن قصد [56] ببلاغته الفخر وإظهار جهل الغير- الذي يتخلل بلسانه تخلُّل البقرة بلسانها".

قال العلقمي: "قال في "النهاية"[4]: أي: يتشدق في الكلام بلسانه، ويلفه كما تلف البقرة الكلأ بلسانها لفًّا".اهـ.

الحفني: "وخصَّها دون بقية الدواب؛ لأنها تُخرج لسانها لتأخذ المرعى ثمَّ تأكل، بخلاف بقية الدواب؛ فإنها تأكل بأسنانها. فشبه البليغَ بجماعة البقر، بجامع شدة تحرك اللسان".

وفي رواية[5]: "يتجلل تجلل"، بالجيم، فيكون شُبِّه بالبقرة الجلالة التي تأكل الجلة؛ أي: العذرة، بجامع كثرة تحرك اللسان لما هو قذر.

وأخرج[6] عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تعلم صرف الكلام –أي: فضله وما تكلفه من زيادة فيه وراء الحاجة – ليسبيَ به قلوبَ الرجال أو الناس؛ لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا"، أي: توبة ولا قربة، أو نافلة ولا فريضة.

---

(1) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" 152/8 عن أبي الدرداء وأبي أمامة وواثلة بن الأسقع وأنس بن مالك، وفيه كثير بن مروان ضعيف جدا كما قال الحافظ نور الدين في "المجمع" 156/1.

(2) في "سننه" 301/4 ح 5005.

(3) في "سننه" 141/5 ح 2853 وعبد الله راوي هذا الحديث هو: ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه، لا ابن مسعود كما ربما يتوهم من عرف قاعدة الإطلاق في اسم عبد الله، كما أبان ذلك أبو داود في "سننه" عند رواية هذا الخبر.

(4) "النهاية في غريب الأثر" 73/2.

(5) لم أقف على هذه الرواية.

(6) أبو داود في "سننه" 302/4 ح 5006.

وأخرج[1] عن عبد الله بن عمر أنه قال: "قدم رجلان - في "فتح الباري"[2]: لم أقف على تسميتهما صريحا، وزعم جماعة أنهما: الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم - من المشرق، فخطبا فعجب الناس، يعني: لبيانهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن من البيان لسحرا. أو: إن بعض البيان لسحرٌ". أصله: "إن بعض البيان كالسحر".

الزرقاني في "شرح الموطأ"[3]: "يعني: إن منه لنوعا يحل من العقول والقلوب في التمويه محلَّ السحر، فإن الساحر بسحره يزين الباطل في عين المسحور حتى يراه حقا، فكذا المتكلم بمهارته في البيان وتقلبه في البلاغة وترصيف النظم؛ يسلب عقل السامع، ويشغله عن التفكير فيه والتدبر، حتى يخيَّلَ الباطل حقا والحق باطلا، فتُستمال به القلوب كما تستمال بالسحر، فشُبِّه به تشبيها بليغا بحذف الأداة".اهـ

وقال أبو عبيد البكري الأندلسي في "شرح أمثال" أبي عبيد القاسم بن سلام: "قال الناس: إن هذا في مدح البيان، ويصممون كتبه على هذا [57] التأويل، وتلقاه العلماء على غيره. فقال مالك في "الموطأ"[4]: باب ما يكره من الكلام. فحمله على الذم، وهذا هو الصحيح في تأويله؛ إذ سمى تعالى السحر فسادا؛ لقوله: ﴿ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾. [يونس/81]".

قال الجلال السيوطي: "وهو ظاهر صنيع أبي داود؛ أي: لكونه بوَّب لذلك بقوله: باب ما جاء في التمشدق[5] في الكلام".

وهذا إذا كان البيان في أمر باطل، وإلا؛ كان مدحا، كمن بيَّن الكتاب والسنة بقانونهما، واستمال قلوبا وسحرها بأخذها على وجهٍ أَمَر به تعالى، لا جَرم أنه سحرٌ محمود، لا يشك فيه من يحسن شيئا من العلم.

---

(1) أبو داد في "سننه" 302/4 ح 5007.

(2) 237/10.

(3) 518/4.

(4) 984/2.

(5) هكذا أوردها الإمام المؤلف رحمه الله، وفي سنن أبي داود: "التشدق" وكذا في شروحه، والله أعلم.

وأخرج[1] عن أبي ظبية عن عمرو بن العاص قال يوما، وقام رجل فأكثر القول، فقال عمرو: "لو قصد في قوله؛ لكان خيرا له، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لقد رأيتُ – أو: أُمرت – أن أتجوز في القول؛ فإن الجواز هو خير".

وفي الحديث الحسن كما في "الأجوبة الحديثية للهيتمي"[2]: "إن الله يُبغض الثرثارين والمتشدقين". وفي رواية[3]: "إن أبغضكم إلي، وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيْهِقُون"، أي: المكثرون للكلام مع التشدق فيه، وإظهار التفاصح، وأنه بليغ لا يصل أحد إليه في ذلك، زهوا وعجبا. والحمد لله رب العالمين.

---

(1) 302/4 ح 5008.

(2) ص 379.

(3) أخرجه الترمذي في "سننه" 370/4 ح 2018 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه بلفظ: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"، قالوا: "يا رسول الله؛ قد علمنا: الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟"، قال: "المتكبرون".قال أبو عيسى: "وفي الباب عن أبي هريرة، وهذا حديث حسن غريب".

الفصل الخامس:

في وجوب هجرانه ومجانبته، وتركه وإهماله ومنابذته

[هجران المبتدع واجب ديني]:

تفسير الشيخ إسماعيل[1]: "دل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم ﴾. [البقرة/120]، على قبح الصحبة لأهل الهوى والبدع، والاتباع لهم في أقوالهم وأفعالهم".

"وفي الحديث[2]: من اتبع قوما على أعمالهم؛ حُشر في زمرتهم - أي: جماعتهم - وحوسب يوم القيامة بحسابهم وإن لم يعمل بأعمالهم. وربما للإنسان شركة أي: في إثم[3] الزنا وإثم القتل وغيرهما إذا رضي به من عامل واشتد حرصه على فعله".

"وفي الحديث[4]: من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب [58] عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن حضرها. وحضورُ مجلس المعصية إذا كان لحاجة أو لاتفاق جريانها بين يديه، ولا يمكن دفعها؛ غيرُ ممنوع، وأما الحضور قصدا؛ فممنوع!".

"ومن سنة الصالحين: الانقطاعُ عن مجالس أهل اللهو واللغو، والمجانبة عن اتباع أهل الهوى والبدع. ورُوِيَ أن ابن المبارك رُئي في المنام؛ فقيل له: ما فعل ربك بك؟. فقال: عاتبني وأوقفني ثلاثين سنة، بسبب أني نظرتُ باللُّطف يومًا إلى مبتدع. فقال: إنك لم تعاد عدوِّي في الدين!. فكيف حالُ القاعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين؟!".

---

(1) 290/1.

(2) أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس" 595/3 والخطيب البغدادي في "التاريخ" 196/5 عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه بلفظ: "من أحب قوما على أعمالهم حشر يوم القيامة في زمرتهم فحوسب بحسابهم وإن لم يعمل أعمالهم". قال العجلوني في "كشف الخفا" 916/2: "قال المؤلف: هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والمتهم به: إسماعيل، قال ابن عدي: يحدث عن الثقات بالبواطيل، وقال الدارقطني: كذاب متروك".

(3) في النسخة المعتمدة "اسم" في كليهما، وهو سهو من الناسخ.

(4) أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" 266/7 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

"والمتمسك بسنة سيد المرسلين عند فساد الخلق واختلاف المذاهب والملل له؛ أجر مائة شهيد، وفي الحديث[1]: سيأتي على الناس زمان تخلُق فيه سنتي وتتجدد فيه البدعة، فمن اتبع سنتي يومئذ؛ صار غريبا، وبقي وحيدا، ومن اتبع بدع الناس؛ وجد خمسين صاحبا أو أكثر".

"وللصحبة تأثير عظيم كما قيل:

عَـدْوَى البلـيد إلـى الجلـيد سـريعةٌ والجمـرُ يوضَـع فـي الـرماد فـيخْمُد"

"وقد نهى عليه السلام عن مجالسة أهل الأهواء والبدع، وتبرأ منهم، وفي الحديث[2]: يجيء قومٌ يُميتون السنة ويوغلون في الدين – أي: يُدخلون فيه ما يفسده، أو يدخلون فيه دخول المريب – فعلى أولئك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين".اهـ.

وقال النووي[3]: "وردت أحاديثُ بهجران أهل البدع والفسوق ومُنابذي السنة".اهـ.

قال الزرقاني في "شرح الموطأ"[4]: "ومازالت الصحابة والتابعون ومَن بعدهم يهجُرون من خالف السنة أو من دخل عليهم من كلامه مفسدة".اهـ. وأصله للسيوطي في "تنوير الحوالك"[5] قائلا: "وقد ألفتُ في ذلك كتابا سميته: "الزجر بالهجر"، فيه فوائد".اهـ.

وقال ابن عبد البر[6]: "أجمع العلماء أن من خاف من مكالمة أحد وصِلَته ما يفسد عليه دينَه أو يُدخِل عليه مضرة في دينه؛ أنه يجوز له مجانبتُه وهجره وبُعده، ورُب صَرْم جميل [59] خير من مخالطة مؤذية".اهـ.

وقال مالك لرجل سأله عن الاستواء: "الاستواءُ معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. وأظنك رجل سوء؛ أخرجوه عني!". فانصرف الرجل وهو يقول:

---

(1) لم أجده.

(2) رواه الديلمي في "مسند الفردوس" 500/5 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) "شرح النووي على مسلم" 106/13.

(4) 328/4.

(5) 213/1.

(6) "التمهيد" 127/6.

"يا أبا عبد الله؛ لقد سألتُ عن هذا أهل العراق وأهل الشام فما وُفِّق فيها أحدٌ توفيقك".

جَسُّوس: "وإنما أمر بإخراجه؛ لأن صاحب البدعة تجب مجانبته وإخراجه من مجالس العلم، لئلا يُدخِل على المسلمين فتنةً بسبب إظهار بدعته".

[ضرر مخالطة الأشرار وأهل الأهواء]:

مخالطة الأشرار من أعظم الأخطار، مخالطة الجاهل أضر من السم وأنفذ من السهم، يضعف الجاهل إن تُورِك ويقوى إن شورك، ضرر الجاهل أعم من ضرر الشر؛ لأن قانون الشر معلوم، وقانون الجهل غير معلوم!.

لا تصحب أخا الجهل ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حليما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا هو ماشاه
وللشيء على الشيء ... مقاييس وأشباه

لا تسئلن عن امرئ وسل به ... إن كنت تجهل أمره ما الصاحب

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

اختر لصحبتك من أطاعا ... إن الطباع تسرق الطباعا

بنَيَّ اجتنب كل ذي بدعة ... ولا تصحبن من بها يوصف
فيسرق طبعك من طبعه ... وأنت بذلك لا تعرف

إذا شئت أن تحظى بوصلي وقربتي ... فجانب قرين السوء واصرم حباله

صاحبُ السوء يغَذِّيك من دناءة طبعه فتتغيرُ به طباعك، ومن لكنة لفظه فيفسُد بها كلامك، ومن فساد آدابه فيلين بها رأيك، ويدربُك على سوء الآداب، ويذيع لك مكتوم السر، ويدل بنقصه على نقصك، وبقلة دينه على قلة دينك، فإن

الحكماء قد تقرر عندهم أن دين المرء على دين خليله[1]، وإن الشكل منجذب إلى شكله، كما قيل: "إن الطيور على أمثالها تقع".

ثم إنه إن أردتَه لنصرتك؛ خذلك، وإن أردته للرأي؛ غرَّك، وإن أطلعته على عورتك؛ كشفك، وإن خالفته [60] أو أهملته ساعةً؛ عاداك وقذفك. ثم إنه يُزهد أهل الفضل في مودتك، ويُطمع الأراذل في صحبتك.

وأخرج الشيخان وغيرهما مرفوعا[2]: "مثل الجليس السوء كمثل صاحب نافخ الكير؛ إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه". وقد قالوا: "الوحدة ولا الجليس السوء!". وقالوا: "الجلوس مع الكلب أولى من الجلوس مع من يحملك على الآثام".

وأخرج أبو نعيم في "الحلية"[3]، والخطيب في "تاريخه"[4] عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أعرض عن صاحب بدعة بوجهه، بُغضا له في الله؛ ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا، ومن انتهر صاحب بدعة؛ أمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة؛ رفعه الله في الجنة مائة درجة، ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبُشرى أو استقبله بما يَسُر؛ فقد استخفَّ بما أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم".

وأخرج الطبراني في "الكبير"[5] عن عبد الله بن بُسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من وقَّر صاحب بدعة؛ فقد أعانه على هدم الإسلام!".

عن سهل بن عبد الله التُّستَري: "من صحح إيمانه، وأخلص توحيده؛ فإنه لا يأنس إلى مبتدع، ولا يجالسه، ولا يواكله، ولا يشاربه، ولا يصاحبه، ويظهر من

---

(1) هو حديث أخرجه الترمذي في "سننه" 589/4 ح 2378 وأبو داود في "سننه" 259/4 ح 4833 عن أبي هريرة.

(2) "صحيح البخاري" 741/2 ح 1995 و"صحيح مسلم" 2026/4 ح 2628 عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(3) 200/8.

(4) 263/10.

(5) بل رواه الطبراني في "المعجم الكبير" 96/20 عن معاذ بن جبل بلفظ: "من مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام".

نفسه العداوة والبغضاء. ومَن داهن مبتدعا؛ سلبه الله حلاوة السُنن، ومن تحبب إلى مبتدع لطلب عز الدنيا، أو عَرَضٍ منها؛ أذله الله بتلك العزة، وأفقره بذلك الغنى، ومن ضحك إلى مبتدع؛ نزع اللهُ نور الإيمان من قلبه، ومن لم يُصدِّق فليُجرِّبْ!".

وقال الجزولي في "شرح الرسالة": "يجب هجران أربعة: الفاسق، والمبتدع، والكافر، والمنافق".

وفي "المدخل"[1]: "وقد كان السلف - رضي الله عنهم - من اتبع السنة؛ أحبوه واعتقدوه، وعظموه ووقروه واحترموه، ومَن كان على غير ذلك؛ تركوه وأهملوه، ومقتوه وأبغضوه".

وفي الزياتي على نظم سيدي العربي الفاسي في الذكاة: "البدعيُّ المختلف [61] في تكفيره وفسقه كالحروري[2] والقدري[3]. ابن الحاجب: فلمالك والشافعي والقاضي فيهم قولان. وفي "المدونة": ولا يناكَحون، ولا يصلى خلفهم، ولا تشهد جنائزهُم، ولا يُسلَّم عليهم".اهـ.

المواق من" المدونة"[4]: "قال مالك: إذا أيقنتَ أن الإمام قدري أو حَروري، أو غيرُه من أهل الأهواء؛ فلا تُصلِّ خلفه ولا الجمعة، فإن أيقنته وخِفته؛ فصلِّها معه وأعدها ظهرا. ووقف مالك في إعادة من صلى خلف مبتدع، وقال ابن القاسم: يعيد في الوقت".

"ابن يونس: انظر قوله: أَعِدْها ظهرا، مع وقفه في إعادة من صلى خلف مبتدع، والفرق بين ذلك: أن الذي صلى تُقاةً؛ صلَّى على أن يعيد، لا تجزئه الأولى، وأما الذي وقف فيه مالك؛ فقد قصد الائتمام، على أن هذا فرضه ولا يعيد، فالصواب أن تجزئه". انتهى، والحمد لله رب العالمين.

---

(1) 344/2.

(2) الحرورية: يقولون بتكفير الأمة، ويتبرأون من الختنين، ويتولون الشيخين، ويسبون ويستحلون الأموال والفروج، ويأخذون بالقرآن ولا يقولون بالسنة أصلا. ولهم أحوال قبيحة في الشريعة، مذكورة في كتب الملل والنحل، وهم خوارج. ينظر "التنبيه والرد" ص53.

(3) القدرية: هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى. كما في "الملل والنحل" ص141.

(4) 83/1-84.

الفصل السادس:

في أنه يجب بغضه في الله، مادام لم يرجع إلى الله

قال عليه السلام لأَبي ذر(1): "يا أبا ذر؛ أيُّ عُرى الإيمان أوثق؟". فقال: "الله ورسوله أعلم". قال: "الموالاة في الله، والحب في الله، والبغض في الله".

وأخرج أبو داود(2)، والضياء عن أبي أمامة: "من أحب لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان". وأخرج الإمام أحمد والطبراني(3) مرفوعا: "لا يجد العبد صريحَ الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فإذا أحب لله وأبغض لله؛ فقد استحق الولاية لله".

وفي "العهود المحمدية"(4): "أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن: نحب لله ونبغض لله، حتى زوجتنا وأولادنا، وأموالنا وأعمالنا، فلا يكون لنا في شيء من ذلك علة نفسانية أبدا، وهذا العهد من أعز ما يوجد".

ثم قال بعد كلام(5): "فعُلم أن الفاسق ينبغي بغضه في الله؛ لفقد الصفات الصالحة التي ندبنا الحق إلى محبته [62] لأجلها، ومتى أحببنا فاسقا من حيث فسقُه؛ فقد خرجنا عن الشريعة. فليتفقد من يريد يحب لله ويبغض لله نفسَه قبل أن يحب بالطبع ويكره بالطبع، كما هو واقع في أكثر الناس، فمادام الشخص موافقا للناس على أغراضهم النفسانية؛ فهم يحبونه ويشكرونه ولو كان فاسقا، ومتى تكدروا منه؛ قامت عليه القيامة، ولو كان على أعمال الثقلين".اهـ.

وفي "قوت القلوب"(6) لأبي طالب المكي: "فبغض المبتدع والفاجر والمجاهر، والظالم المتعدي، وترك موالاتهم ونصرتهم؛ واجبٌ على المؤمنين، ومن أجل ذلك صارت الموالاةُ لأولياء الله عز وجل، والمعاداة لأعدائه - حقا -

---

(1) رواه البيهقي في "شعب الإيمان" 70/7.

(2) "سنن أبي داود" 220/4 ح 4681.

(3) "المسند" 340/3 عن عمرو بن الجموح، ولم أجده بهذا اللفظ عند الطبراني في "معاجمه الثلاثة"، كما أن الحافظ الهيثمي لم يعزه إليه في "مجمع الزوائد" 89/1، بل اقتصر على عزوه للمسند. والله أعلم.

(4) ص395.

(5) ص397.

(6) 154/2.

أوثقَ عرى الإيمان"...

إلى أن قال[1]: "فإن سُلِّط عليك العدو حتى تحب الفساق وتواليهم، وتنصرهم على فسقهم؛ فقد انسلخ منك الإيمانُ كما انسلخ الليل من النهار، ولست منهم في قليل ولا كثير؛ لأن هذه العقوبة مرتبطة بعرى الإيمان، وهي وهو في قرن واحد مقترنان، فهذا من أكبر الكبائر التي ينحل عَقْدُ الإيمان معها، وتنتقض عراه بها، نعوذ بالله من رضا لا ينفع، ومن حب لا ينفع، كما نعوذ به من عمل لا يُرفع، وعلم لا ينفع"...

قال: "وقد رُوِّينا في الخبر[2]: إن الله عز وجل أخذ على كل مؤمن الميثاقَ أن يبغض كل منافق، وأخذ على كل منافق أن يبغض كل مؤمن. وفي الخبر المشهور: المرء مع من أحب، وله ما اكتسب[3]...الحديث. وفي الآخر[4]: مَن أحب قوما ووالاهم؛ حُشر معهم يوم القيامة".

"ورُوِّينا عن عمر بن الخطاب وعن ابنه عبد الله - دخل لفظ أحدهما في الآخر: لو أن عبدا صَفَنَ – أي: صف قدميه – عند الركن والمقام، يعبد الله عز وجل عمرَه، ويصوم نهاره، ويقوم ليله، ثم لقيَ الله تعالى يوم يلقاه وليس في قلبه محبة وموالاة لأولياء الله تعالى، ولا بغض ومعاداة لأعدائه؛ لما نفعه ذلك شيئا. وقد جاء نحوه وبمعناه مسندا. وعن عمر وغيره: إن أحدكم ليشيب [63] في الإسلام ولم يوال في الله عز وجل وليا ولم يعاد فيه عدوا، وذلك نقص كبير".اهـ.

[البغض متوجه لأفعال العاصي لا لذاته]:

ثم الذي يجب أن يتوجه البغض إليه في المعاصي - كما في "الإبريز"[5] - هو: أفعاله لا ذاته المؤمنة وقلبه الطاهر وإيمانه الدائم. وبغض الذات؛ إنما أمرنا به

---

(1) 155/2.

(2) ذكره علي القاري في "المصنوع" ص 46 وقال: "لم يوجد".

(3) أخرجه الترمذي في "سننه" 595/4 ح 2385 عن أنس بن مالك.

(4) رواه الطبراني في "الأوسط" 293/6 عن علي بن أبي طالب عليه السلام بلفظ: "ثلاث هن حق: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولى الله عبدٌ فيوليه غيره، ولا يحب رجل قوما إلا حشر معهم".

(5) ص 122.

في حق الكافر، فنبغض ذواتهم وكل ما يصدر عنها. وأما المؤمن العاصي؛ فإنا لم نؤمر ببغضه بغضا يطفئ محبةَ ذاته، ومحبةَ إيمانه بالله تعالى، ومحبةَ إيمانه برسوله صلى الله عليه وسلم، ومحبةَ إيمانه بجميع الرسل، ومحبةَ إيمانه بجميع الأنبياء عليهم السلام، ومحبةَ إيمانه بسائر الكتب السماوية، ومحبةَ إيمانه باليوم الآخر وكلَّ ما فيه من حشر ونشر، وجنة ونار، وصراط وميزان، ومحبةَ إيمانه بجميع الملائكة عليهم الصلاة والسلام، ومحبةَ إيمانه بالقدر خيره وشره...وهكذا نحبه على كل وصف ممدوح فيه، وإنما نبغض أفعاله، وندعو له بخير، ولا سيما إن نظرنا إليه بعين الحقيقة![1]...والحمد لله رب العالمين.

---

(1) يعني: أنه إنما جرت الأقدار على لسانه، لحكمة أرادها الحق سبحانه وتعالى، والله تعالى لا يريد إلا لحكمة، فلا نعترض على قضاء الله، ونعطف ونرأف ونرحم العبد الذي ابتلي بجريان مثل تلك الأقدار عليه..والله أعلم. مصحح.

الفصل السابع:

في تعزيره وعقوبته، المترتبة على شنيع جريمته

في شرح أبي العباس الهلالي على خطبة "المختصر"[1]: "وقال ابنُ مرزوق، حسبما نقل ذلك عن المازري في أثناء كلامه على أحاديث مطلقة أنه يجب تقييدها بأحاديث وردت في معناها مقيدة ما نصه: وإنما يحملها على الإطلاق مَن لا علم له بما يعتقد، ولا أخذ العلم عمن إليه شرعا يُستنَد، وإنما علمه من الصحف، المذمومُ شرعا فاعلُه، المُستوجبُ في الفروع الأدبَ الوجيعَ وطول السجن، كما نص عليه سحنون ومَن قبله، فكيف به في الأصول والمعتقدات؟!". هـ.

وبعدما حكى في "الشفا"[2] الخلافَ في أهل الأهواء؛ هل هم كفار أو فساق عصاة [64] ضلالٌ، وصَوَّب تركَ إكفارِهم، قال ما نصه: "لكنهم يُغلَظ عليهم بوجيع الأدب، وشديد الزجر والهجر، حتى يرجعوا عن بدعتهم. وهذه كانت سيرةَ الصدر الأول فيهم، فقد كان نشأ على زمان الصحابة وبعدهم في التابعين مَن قال بهذه الأقوال من القدر ورأي الخوارج والاعتزال، فما أزاحوا لهم قبرا، ولا قطعوا لأحد منهم ميراثا، لكنهم هجروهم، وأدبوهم بالضرب والنفي والقتل، على قدر أحوالهم، ولأنهم فساق ضلال عصاة، أصحاب كبائر عند المحققين وأهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم".اهـ.

وثبت عن عمر - رضي الله عنه - أن سجَن صبيغا على سؤاله عن (الذاريات) و(المرسلات) و(النازعات) وشِبهِهِنَّ، وأمْرُه للناس بالتفقه في ذلك، وضربه ضربا وجيعا مرة بعد مرة، ونفاه إلى العراق، وقيل: إلى البصرة، وكتب: أن لا يجالِسه أحد. قال المحدث: فلو جاءنا - ونحن مائة - لتفرقنا عنه. ثم كتب أبو موسى إلى عمر أنه: "قد حسنت توبته، فأمره عمر، فخلى بينه وبين الناس". نقله ابن فرحون في "تبصرته"[3].

وورد أنه: لما أكثر ضربه قال: "إن كنتَ تريد دوائي؛ فقد بلغ موضع الداء،

---

(1) ص 8 طبعة حجرية.

(2) ص 311.

(3) وقصته مذكورة في "سنن الدارمي" 67/1.

وإن كنت تريد قتلي؛ فعجل عليَّ!"، فخَلَّى سبيله، كما في "الأجوبة الحديثية"[1] للهيتمي.

ونقل ابن فرحون أيضا: "وأما الداعية إلى البدعة، المُفرِّق لجماعة المسلمين؛ فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا؛ قتل. وقال بذلك بعض الشافعية في قتل الداعية؛ كالجهمية والروافض والقدرية. وصرح الحنفية بقتل من لا يزول فساده إلا بالقتل".اهـ.

وتقدم من كلام الهيتمي[2]: "ينبغي تبصير الجاهل، وتأديب الفاسق، واستتابة المبتدع، وإلا؛ فقال بعض أئمة المالكية: يضرب إلى أن يموت!".اهـ.

[قصص من التاريخ عُزِّر خلالها أهل الأهواء والبدع]:

وفي "المختصر"[3]: "وعزَّر الإمامُ لمعصية الله أو لحق آدمي، حبسًا ولومًا، وبالإقامة [65] ونزع العمامة، وضرب بسوط أو غيره، وإن زاد على الحد أو أتى على النفس".

وقضية هذا الرجل شبيهةٌ بقضية برزيز الذي ورد إلى قصر كَتَامة، وزعم أنه عيسى ابن مريم، وظهر على يده خوارق وانفعالات؛ كنزول موائد الطعام بين يديه، بحيث لا يدري أحد من أين تأتي؟، واجتمع عليه الآلاف من الخلق، وكان الإمام سيدي عبد الله الورياغلي[4] غائبا، ولما قدم وسمع به؛ ذهب إليه، وسأله عن الواجب والجائز والمستحيل في حق الله تعالى وفي حق رسله عليهم الصلاة والسلام؟، فلم يجبه بشيء، فسأله عن حاله، فقال: "أنا عيسى، وهذه الصومعة تشهد لي"، وأشار إليها فولولت وقالت: "نعم".

فقام الورياغلي وقال: "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!"، ولَطَمَ وجهَ برزيز، وجره حتى ظنوا أنه مات، وأمر أصحابه بضربه، ففعلوا، وجروه إلى مزبلة وطرحوه

(1) ص 272.

(2) "الأجوبة الحديثية" 272.

(3) ص 289.

(4) الفقيه الأجل الذي كاد يبلغ درجة الاجتهاد سيدي أبو محمد عبد الله الورياجلي (هكذا في "الدوحة" بالجيم)، كانت وفاته في العشرة الأولى من المائة التاسعة. من "دوحة الناشر" ص 34 ترجمة رقم 16.

عليها، وتفرق الناس عنه، وأمر به للسجن، فحمل إليه، وبقي به أربعة أشهر، ثم سرحه لما تاب.

وغاب عن القصر سنتين، ثم قدم واعترف بأنه كان مع شيطان من الجن واشترط عليه أن يدعي النبوة ويأتيه هو بكل ما يريد، ويدخل في جدور الحيطان، ويكلم الناس بتصديقه، ومن اليوم الذي ضربه فيه؛ لم يره، وأنه لازم تعلم العلم، وتاب إلى الله، وجاء ليأخذ عنه دينه حيث مَنَّ الله عليه بالإسلام على يده. فلازمه، وصلح حاله، وكان من خيار أصحابه. انظر "دوحة الناشر"[1] وغيرَها.

وقضية أحمد بن عبد الله ابن أبي محلي الفلالي[2] الذي ذهب لبلاد القبلة، ودعا لنفسه، وادعى أنه المهدي المنتظر، وأنه بصدد الجهاد. فاستخف قلوبَ العوام واتبعوه، ودخل سجلماسة ودرعة ومراكش، واستولى عليها، وأخرج مَن بها منها. وكان بمراكش زيدان[3]، فاستغاث بأهل السوس الأقصا، فخرجوا إلى ابن أبي محلي، فقتلوه وهزموا عسكره، ورجع زيدان إلى ملكه، ومدة دعواه وإتلافه للدين ثلاث سنين إلا رُبع، كما رمز لذلك مَن قال: "قام طيشا ومات [66] كبشا[4]".

وقضية مهدي الموحدين، وكان فقهيا، له رحلة إلى المشرق، ولقي فيها المشايخ؛ كالغزالي: محمد بن تومرت السوسي، الذي دخل مراكش، وجعل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وشاع ذلك، فأنهوا أمره إلى السلطان وأغروه به، فأمر بإخراجه، فخرج إلى تلك الجبال، وجعل يدعو إلى الدين، وأقبل عليه الناس، ثم تظاهر بأنه هو المهدي. فلما اجتمع إليه ناس؛ حضهم على إعلاء الدين، وجهاد المفسدين، فتقدم بهم إلى مراكش، وجرت بينه وبين المرابطين حروب شديدة مات في خلالها.

وهذه الدعوى ابتُلِيَ بها كثير من ضعفة العقول ممن تقدم، فهي بلوى قديمة.

---

(1) ص 34.

(2) الفقيه المتصوف أبو العباس أحمد بن عبد الله ابن أبي محلي الفيلالي ادعى المهدوية، توفي عام اثنين وعشرين وألف (1022هـ)، انظر "موسوعة أعلام المغرب" 1209/3.

(3) يعني: السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي، المتوفى عام ثلاثة وثمانين وألف (1083 هـ).

(4) 19 بعد 1000. مؤلف.

وكان الشيعةُ ادَّعَوا ذلك لزيد بن علي، وقد أنكر الفقهاءُ على الجميع وضللوهم، ولا شك في ذلك عند كل من يعترف بوجود المهدي في آخر الزمان.

وقد ألف السيوطي: "العرف الوردي"، و"الكشف". وكان العلامة سيدي الكبير السرغيني[1] يحكي أنه رأى نسخة من اختصار ابن تومرت للموطأ، وفي أولها بخط بعض تلامذته: "حدثنا الإمام المعصوم، المهدي المعلوم"...وهي من أحباس خزانة القرويين، لكن لا يُدرى أين صار أمرها؟. وطائفة من شيعته لم يصدقوا بموته، فبقوا مدة طويلة ينتظرون ظهوره، وهذه ركاكة قوية، أوجبت فقد العقل بالكلية.

وانظر "النشر"، و"حُسن المحاضرة" لليوسي. والحمد لله رب العالمين.

---

(1) الفقيه الإمام، العالم الزاهد، الورع الصوام القوام، محمد الكبير بن محمد بن محمد بن محمد السرغيني العبدي، ولي الخطابة والإمامة والتدريس بجامع الحمراء بفاس، ألف تقييدا على "الحطاب" و"المواق"، واختصر "صحيح مسلم"، وله تأليف على قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾، توفي بفاس عام أربع وستين ومئة وألف (1164 هـ).

خاتمة:

في حمقه واختلاله وهوسه، وإزالته جلباب الحياء عن وجهه

ما أحسن قوله في "شرح الصغرى"[1]: "وقَلَّ أن يفلَح مَن أولع بصحبة كلام الفلاسفة - أي: أو غيرهم من أهل الأهواء - أو يكون له نور إيمان في قلبه أو لسانه، وكيف يُفلح مَن والى من حادَّ الله ورسولَه، وخرق حجاب الهيبة، ونَبَذ الشريعة وراء ظهره، وقال في حق مولانا جل وعز ما سولت له نفسه الحمقاء، ودعاه إليه وهمه المختل؟. ولقد خُذل بعض الناس، فتراه يشرف كلام الفلاسفة الملعونين [67]، ويشرف الكتب التي تعرضت لنقل كثير من حماقاتهم، لما تمكن في نفسه الأمارة بالسوء من حب الرياسة، وحب الإغراب على الناس، بما يَنْبَهِمُ على كثير منهم من عبارات واصطلاحات يوهمهم أن تحتها علومًا دقيقة نفيسة، وليس تحتها إلا التخليط والهوس، والكفر الذي لا يرضى أن يقوله عاقل. وربما يوثر بعض الحمقاء هوسَهم على الاشتغال بما يعنيه من التفقه في أصول الدين وفروعه، على طريقة السلف الصالح، والعمل بذلك".

"ويرى هذا الخبيث - لانطماس بصيرته، وطرده عن باب فضل الله تعالى إلى باب غضبه - أن المشتغلين بالتفقه في دين الله تعالى، العظيم الفوائد دنيا وأخرى؛ بلداء الطبع، ناقصوا الذكاء. فما أجهل هذا الخبيث، وأقبح سريرته، وأعمى قلبه، حتى رأى الظلمة نورا والنور ظلمة، ﴿ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ ﴾. [المائدة/41-42]".

"نسأله - سبحانه - أن يعاملنا ويعامل جميع أحبتنا إلى الممات بمحض فضله، وأن يَلطُف بجميع المؤمنين، ويقيهم في هذا الزمان الصعب مواردَ الفتن، بجوده وكرمه، بجاه أشرف الخلق، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(1) ص 150.

ولله در من قال:

مـــا أحـــدٌ طالـــت لـــه لحـــية ... فـــزادت اللحـــيةُ فـــي هيئـــتهْ
إلا ومـــا يـــنقُصُ مـــن عقلـــه ... أكبـــرُ ممـــا زاد فـــي لحيـــتهْ

ومن قال:

إذا كبـــرتْ للفتـــى لحـــيةٌ ... فطالـــت وصـــارت إلـــى ســـرتهْ
فنقـــصانُ عقـــل الفتـــى عـــندنا ... بمقـــدار مـــا طـــال مـــن لحيـــتهْ!

ومن قال:

وكـــل امـــرئ ذي لحـــية عَثْوَلـــيَّةٍ ... يقـــوم علـــيها؛ ظـــن أنَّ لـــه الفـــضلا
وما الفضل في طول السبال وعرضها ... إذا الله لـــم يجعـــلْ لـــصاحبها عقـــلا

ومَن قال مِن جملة قصيدة استقصى فيها مذامَّها، وأطال فيها:

ولحـــــــــيةٌ عظـــــــــيمةٌ ... طـــــــــويلة مُـــــــــشهَّره
طلـــــبتُ فـــــيها وجهَـــــهُ ... بـــــــشدة، فلـــــــم أره
معـــــــــــرفةٌ، لكـــــــــنه ... أصـــــبح فـــــيها نكـــــره
يُقـــسِم عُـــشر عـــشرها ... يكفـــي رجـــالا عـــشره
كـــم قـــرية للقَمْـــل فـــي ... حافاتهـــــا ومقبـــــره
لـــو كـــان ذاك التـــيسُ عِجْـــ ... لا عـــــبدتْه الـــــسَّمِره

الخ...

ونظر عليُّ بن حجر السعدي[1] إلى عبد العزيز بن منيب القرشي[2]، وكان طويل اللحية، فقال:

لـــيس بطـــول اللحـــا ... تـــستوجبون القـــضا
إن كـــان هـــذا كـــذا ... فالتـــيْس عـــدلٌ رضـــا!

---

(1) علي بن حجر بن إياس بن مقاتل بن مخادش بن مشمرج: الحافظ العلامة الحجة، روى له البخاري ومسلم والترمذي والنسائي، مات سنة أربع وأربعين ومائتين (244هـ)، "سير أعلام النبلاء" 507/11.

(2) الإمام، الحافظ، محدث مرو، أبو الدرداء، عبد العزيز بن منيب بن سلام المروَزي، روى له ابن ماجه والنسائي في "عمل اليوم والليلة"، توفي سنة سبع وستين ومائتين (267هـ)، انظر "سير أعلام النبلاء" 151/13.

وفي "التوراة": "لا يغرَّنَّك طول اللحا، فإن التيس له لحية!".

وقال بعضهم: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فقلت: يا رسول الله [68]؛ أشتهي لحيةً كبيرة. فقال لي: لحيتك جيدة، وأنت تحتاج إلى عقل تام".

وقال صلى الله عليه وسلم[1]: "اعتبروا عقل الرجل في ثلاثٍ: في طول لحيته، ونقش خاتمه، وكنيته".

وقال صلى الله عليه وسلم[2]: "مِن سعادة المرء: خفة عارضيه"، وفي رواية: "لحيته"، وفي أخرى: "لِحْيَيْه". المناوي: "المراد بخفتها: عدم عظمها وطولها".

الحفني: "وإنما كان ذلك من سعادته؛ لأن عظمها كما يدل على الجمال، فربما يحصل لصاحبها اختيال وتكبر، وذلك سبب للشقاوة والعياذ بالله تعالى".

وعن المُثَنَّى: "إذا رأيت رجلا ذا لحية طويلة، ولم يتخذ لحية بين لحيتين؛ كان في عقله شيء".

وقال النخعي: "عجبت لعاقل كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين، فإن التوسط في كل شيء حسن!".

ولذا قيل: "كلما طالت اللحية تَشَمَّر العقل". وقيل: "ما طالت لحية إنسان قط إلا ونقص من عقله بقدر ما طال منها". وكان بعض السلف يقبض على لحيته فيأخذ ما تحت القبضة[3].

لكل داء دواءٌ يُستطب به ... إلا الحماقةُ أعيت من يداويها

يا لَلرجال لأمر هال مفظعهُ ... ما مَرَّ قطُّ على سمعي توقعهُ

فليت فلانا كان في بطن أمه ... وليت فلانا كان ولد حمار!

اللهم أرنا الحق حقا وأعنا على اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وأعنا على اجتنابه،

(1) أخرجه الديلمي في "مسند الفردوس" 89/1 عن عمرو بن العاص.

(2) قال العجلوني في "كشف الخفا" 377/2: "رواه الطبراني عن ابن عباس رفعه. قال السيوطي في "مختصر الموضوعات": إنه موضوع. وأخرجه ابن عدي عن أنس بزيادة، ولفظه: من سعادة المرء أن يشبه أباه، ومن سعادة المرء خفة لحيته. وفي لفظ: خفة عارضيه. وقال في "الفتاوي الحديثية" لابن حجر المكي: رواه الطبراني والخطيب، وأورده ابن الجوزي في "الموضوعات". وقيل: إن فيه تصحيفا، وإنما هو: خفة لحييه بذكر الله. حكاه الخطيب".

(3) صح ذلك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وغيره.

بفضلك وكرمك، يا أرحم الراحمين، وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، صبيحة يوم الخميس في 26 من شوال عام 1321[1]. [69]

(1) قال مصححه العلامة الأديب سيدي عبد الرحمن ابن سيدي جعفر الكتاني رحمه الله: "بلغت مقابلته بقدر الاستطاعة، وأصلح ما وقع فيه من الخلل، إلا ما زاغ عنه البصر، على نسخة المؤلف - رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين - سادس وعشري ربيع الأول عام 1325هـ".

قال محققه الفقير إلى رحمة مولاه عدنان بن عبد الله زهار: "انتهيت من قراءة هذا الكتاب النفيس، وعلقت عليه بما مر صبيحة يوم الأربعاء 27 رمضان الأبرك من عام 1428هـ، ولله الحمد من قبل ومن بعد، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه".

جواب عن

مقالات الشيخ مظهر النقشبندي

(في بيان إشكالات كلام العارفين وتوجيهها)

تأليف شيخ الإسلام

أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني

(1323-1246)

تحقيق

عدنان بن عبد الله زُهار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الهادي الأمين، صلاةً تقرُّ بها أعيننا عند لقائه، وتنفعنا يوم المحشر للشُرب من حوضه، وعلى آل بيته الأبرار، وصحابته الأطهار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛ فهذه رسالة منيفة، حاويةٌ لفوائد غزيرة، بعبارة لطيفة، أجاب فيها الإمام العلَم سيدي جعفر بن إدريس الكتاني - رضي الله عنه ونفع به - عن مقالات عرفانية، منسوبة إلى شيخ الطريقة النقشبندية: الشيخ الإمام محمد مظهر النقشبندي.

وقد جاءت تلك المقالات غريبة في ظاهرها، مستبعَدةً في مضمونها، مستوجِبةَ الإنكار على قائلها، لِما تُوهمه عباراتها من تجاوز لحدود الشريعة، وقلب حقائق التوحيد، وتغيير مرتكَزات العقيدة، فسارعَ الناسُ إلى إعلان التبرؤ منها ومن كاتبها، وتسابقوا في تفويق سهام الذم والملامة لمُنشئها، وتهافت كثيرٌ منهم على تجريح قائلها وتبديع مضامينها وتفسيق عباراتها.

وقد صدر منهم ذلك غيرةً على الشريعة، فهم لذلك معذورون، بل مأجورون مُثابون، إذ لولا وقوفُهم على مثل تلك الأقوال المنسوبة إلى الدين؛ لبقي الشرعُ من غير حصن حصين، ولا مُدافع عن سياجه المكين، لذلك قال الشيخ الأكبر في "الفتوحات":

"يَجِب على كل عارف سترُ ما تعطف الحق به على قلبه من علوم الأسرار، ولا يظهره للعامة فيقع عليه النكير، ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة: لا يبلغ أحدٌ دُرَج الحقيقة حتى يشهد فيه ألفُ صديق بأنه زنديق. وذلك لأنه إذا نطق بعلوم الأسرار؛ لا يسع الصديقين إلا أن ينكروا عليه، غيرة على ظاهر

الشريعة المطهرة".اهـ.

لكن من أهل الشأن والاصطفاء مَن لا تغرُّه ظواهر العبارات، ولا تضرُّه مخالفتها لأصول الشرائع المتجلِّيَات، فيحمل كلام أهل الصدق على التصديق، ويُخرج له المخارج بالتوفيق لا بالتلفيق، حيث شهد في كلامهم ما لا يشهد أسرارَه إلا صِدِّيق، ويفرق من القول بين تحقيق العارف وبين سفسطة الزنديق.

وهذا مقام إمامنا المؤلف سيدي جعفر الكتاني - رضي الله عنه - الذي نظر في كلام الشيخ النقشبندي نظرة العارف الغارف، وأخرج كلامَه من إغلاق إلى إحقاق، وأحكم المتشابه من مقولاته، وأفصح عن المبهَم من عباراته، فكان كتابُه جوابا عن الشيخ النقشبندي من جهة، ودفاعا عن مذهب الصوفية أهلِ الحقائق من جهة ثانية، وتقعيدا لضوابط النظر في كلام أهل الشهود، والحكم عليه من جهة ثالثة.

• فبعدما نقل المقالات المنتقَدة على الشيخ مَظهر مترجمةً إلى العربية كما وصلته، وأعلمَ أنه يدافع عن عالم لم يره ولا اجتمع به ولا عرفه؛ قدَّم ببحث حول آفة الاعتراض على الأولياء لمجرد عدم مطابقة ظاهر كلامهم للشريعة وأصولها، ثم أعقب ذلك ببيان لخطة كتابه وطريقة تأليفه.

• فجعل مطلبا أول: في بيان استمرار الوراثة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على يد أولياء الله وأصفيائه الأخيار، ثم فرَّع للحديث عن سبب اختفائهم عن أعين الناس وحكمة بطونهم عن شهادات العباد وأسرار ذلك، مُوردا أسماء ومراتبَ الولاية في الأمة المحمدية، والتي لا يطلع عليها إلا أهلها.

• وأما المطلب الثاني: فخصه - رحمه الله - للحديث عن مَنبع قدرة الأولياء، ومَصدر قُوتهم في التصرف في الأكوان التي ينكرها من حُجب عن الحقيقة، وحدثنا بعد ذلك أن من أسباب الإنكار عليهم في هذا الباب: الجهل والجهالة.

• وعن طريق حسن التخلص التي تتميز بها كتابات سيدي الإمام المؤلف - رحمه الله - انتقل للحديث عن ضوابط فهم كلام العارفين، وشروط النظر في مقالاتهم، مُعلِما أن ذلك لا يتيسر لأيٍّ كان، مستأنسا بكلام أهل الشأن والعرفان،

أولي القدم المبسوطة في هذا الشان.

• وكان مقدمة جوابه عن مقالات النقشبندي - رضي الله عنه - احتمالا سائغا مقبولا معروفا في التاريخ، وهو: إمكانية الدس في كتب القوم، والزيادة في مؤلفاتهم، من طرف حسادهم، وعلى أيد المجوس واليهود أعداء الدين، وعقب بكون ذلك سنة جرت وعُرفت وانتشرت واشتهرت، لم يَسلم منها كبار العارفين، فلا يبعد أن تكون المقالات المنسوبة إلى الشيخ النقشبندي مما زيد عليه ونُسب إليه.

• والمطلب الخامس: ارتأى أن يجعله لتأكيد سنية تسليط الأعداء على الأولياء والعارفين، ناقلا كلام السيوطي في "التحدث بالنعمة" الذي أوعب فيه المسألة وأظهر فيه هذه الحقيقة. لينتقل إلى استغراب إنكار المنكِر على الولي ما لا ينكره على النبي، فإنهم جزموا أن: كل ما كان معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لولي. وكلامهم العرفاني الغيبي الكشفي الشهودي يجري عليه ما جرى على الكرامات وأصلها من المعجزات.

• وحقق جوابه عن مقالات النقشبندي عبارة عبارةً دون تكلف في التأويل، ولا ليٍّ لأعناق الحجج والبراهين، بل بمنطق حكيم مطابق للشرع السليم، ومستنبَط من عمومات السنة والقرآن المبين.

• فخص مبحثا لحقيقة مقام الأولياء؛ حيث إنهم لا يصلون أبدا إلى مقام الأنبياء مهما بلغوا وحيثما وصلوا، مستندا إلى عموم النصوص، ومؤيدا كلامه بأقوال أهل التحقيق من الصوفية والفقهاء.

• ولم يمنع ذلك في نظر الشيخ المؤلف السديد بلوغ الولي درجة الاجتهاد في الفروع، وليس ذلك بغريب ولا بعيد، فالذي بلغ درجة يشاهد فيها الحق، ألا يسهل عليه معرفة أحكامه؟، وبيَّن أن مدد الفقهاء مكتسَب سماعا ومشافهة وفطنة وذكاءً، وكُمَّل العارفين مددُهم الحق ذاته، وشتان بين واصل وموصول.

• وأرجع كون الولي قبلة للعالم إلى أن المراد بذلك والسر فيه: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فهو المقصود بما للأولياء، مستخرجا بعض ذلك من

كلام لسيدي عبد العزيز الدباغ كما في "الإبريز".

• وأوقفنا الإمام المؤلف على حقيقة تصرف الأولياء في الكون، والمراد بذلك: أن المتصرف هو الله ذاته، وإنما أجرى ذلك على يد من أحب واصطفى، فصار نسبةُ التصرف إليه مجازا لا حقيقة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

• وإذا قيل: إن الولي يعرف ذات الله وصفاته، فالمراد بذلك كما حققه سيدي الإمام جعفر بن إدريس الكتاني: أنه تعرفٌ عن طريقة الكشف والإلهام، مما لا حظ للحجة فيه ولا البرهان.

• وهل يسمعُ الأولياءُ كلام الله القديم كما سمعه سيدنا موسى الكليم على نبينا وعليه الصلاة والتسليم؟. سؤالٌ حير ألباب أهل التحقيق، وأشكل على كثير من أصحاب التعلق الوثيق، وفُتِح مغلقُه على أهل الاجتباء والتوفيق، الذين نقل كلامَهم الإمام المؤلف وزاد عليه أمورا وفوائد من البحث الدقيق، فلله دره.

• وعن بركة الأولياء وقدرتهم في جلب المغفرة ودفع سخط الله، أوقفنا الشيخ سيدي جعفر على حقائق ووقائع ورقائق ومنافع، وخلص بعد ذلك إلى إمكانية الترقي في مقامات الإحسان، بنظرة رضا من ولي صاحب عرفان.

• وأسدل الستار على إجاباته، ببحث عن الإمام المهدي الذي يظهر آخر الوقت بأماراته، والذي لا يبعدُ أن يكون المُجاب عنه النقشبندي، شيخا له أو وزيرا لبعض وزرائه، كما تراه محققا مدققا منمقا في كتاب الإمام المؤلف "الجواب عن مقالات الشيخ النقشبندي".

فرحمه الله وجزاه خيرا عن الإسلام والمسلمين.

طريقة العمل:

لا تختلف طريقة إخراج هذا "الجواب" عن باقي الأعمال المحققة سابقا؛ نسأل الله الهداية والتوفيق.

وصف المخطوطة:

اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على نسخة حجرية، صعب عليَّ قراءة فقرات وكلمات كثيرة منها، وهي المرموز لها بـ: "خ"، والله المسؤول.

وللأستاذ المكرم فضيلة الشيخ المحترم سيدي الحاج عمر بناني جزيل

الشكر والامتنان، على ما أسدى ويسدي من نصح ودعم ودعاء لنشر كلمة الحق عموما، والذي أسهم في إخراج هذا العمل خصوصا.

وكذا للأستاذ النشيط الأخ الدكتور العلامة سيدي حمزة ابن سيدي علي الكتاني حفظه الله وبارك في عمره وعمله، وهو من وجهني لاختيار هذا العمل، بل هو الذي مدَّني بنسخة منه له خاصة، فأسأل الله أن يجازيه الجزاء الأوفى، والحمد لله رب العالمين.

عدنان بن عبد الله زُهار

كان الله له

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا محمد وآله

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي عذر المتكلمين بما لاح لهم من الأسرار، وشاهدوه من الأنوار، من غير قصد منهم ولا اختيار، لِـتَحَيُّر نظرهم في شهود جمال الذات الأزلية، وكمال الطلعة الأحمدية، وقلقُهم وانزعاجهم إذا تجلى لقلوبهم ما لا يُطاق من العلوم الوهبية اللدنية، فهم غيرُ مأمورين ولا مأزورين، لكونهم سُكارى حَيارى مغلوبين، فلا عتب عليهم ولا لوم ولا تثريب، ذلك حكمُ أصدق القائلين: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾. [البقرة/286]، ﴿ إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ﴾ [الطلاق/7]، لأنه أرحم الراحمين.

والصلاةُ والسلام الأتمان الأكملان على إنسان عين العيون، ومعدن السر المصون، الذي مِن مدَده كان ما كان وما يكون، فهو في الحقيقة منسوب إليه في جميع الأحوال والشؤون، وعلى آله وأصحابه ووارثي نور هديه، الناصرين الحق[1] بالحق، القائمين لله ببذل غاية المقدور ظاهرا وباطنا وقوفا مع الصدق.

[سبب تأليف الرسالة]:

وبعد؛ فيقول العبد الفقير الجاني، جعفر بن إدريس الكتاني: وَرَدَ علينا من المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، ورقةٌ مشتملةٌ على بعض ما انتقده بعضُ الأئمة الأعلام، العارفين باللغة الفارسية وطرقها، من كتاب الشيخ محمد مظهر النقشبندي المجاور بها[1]، الذي أَلَّفَهُ في مناقبه ومناقب بعض آبائه بتلك اللغة، وبمطبعة دَهْلي من الهند طبعه، وفرَّق كثيرا من نُسخه على بعض

(1) في الأصل المعتمَد: "للحق".

تلامذته ونشره، ولفظها:

"الحمد لله؛ هذه صورة بعضِ ما انتقده بعضُ الأفاضل العارفين باللغة الفارسية من كتاب محمد مظهر النقشبندي، المجاور بالمدينة المنورة، الذي ألَّفه في مناقبه ومناقب آبائه باللغة الفارسية، وطبعه بمطبعة دهلي من الهند، وقسَّم كثيرا من نسخه على بعض تلامذته".

"فذكر في مناقب نفسه في موضع أن والده شهد له ببلوغ مقامات الأنبياء، بل أثبت له الترقي فوقها".

"وفي موضع آخر: أنه شهد له ببلوغ رتبة الاجتهاد".

"وفي موضع آخر: أنه وصل إلى مقام صار فيه قبلةً لجميع العالَم، من العُلويين والسُفليين، من غائب وحاضر، وحي وميت، وشقي وسعيد، وأنه صار عالما بهم، سميعا بهم، بصيرا بهم، مُحيِيًا مميتا، ومُعطيا ومانعا، ورازقا وضارا ونافعا، وأنه صار يسمعهم ويبصرهم، ويعلمُ بهم في آن واحد بأحوالهم المتشابهة والمتضادة، وأنه علم الأشياء قبل الأشياء، وأن الحال استمر به نحو نصف ساعة..".

"وقال في موضع آخر: إنه وصل إلى مقامٍ عرف فيه ذات الله وصفاته الثمانية: القدرة والإرادة، والعلم والحياة، والسمع والبصر، والكلام وصفة التكوين. وعرف تعلقاتها وشؤونها [مجردة][1] عن النِّسب والإضافات".

"وقال في موضع آخر: إنه كان يصلي صلاة الأوابين، فرأى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأولياء يُصَلُّون خلفه، إلا النبيَّ صلى الله عليه وسلم؛ لأنه قام مقامَه".

"وقال في موضع آخر: إنه خُلق من طينة النبي صلى الله عليه وسلم".

"وقال في موضع آخر في مناقب بعض آبائه: إن ذاته جامعةٌ لكمالات النبوءة والرسالة، وإنه في الفضل بعد الخلفاء الأربعة".

"وفي موضع: إنه في رتبة [2] الصدِّيق".

"وفي موضع آخر: إنه ليس في الأمة مثله".

(1) بياض بالأصل، جبرناه بما يناسب.

"وقال في بعضهم[1]: إنه سمع كلام الله المنزَّه عن الحروف والأصوات".

وقال في بعضهم: إنه يحس بالصلاة التي يصليها الناس على النبي صلى الله عليه وسلم، كأنها نازلة عليه، وكذلك الأشعار النعتية التي يمتدحُ الناسُ بها النبي صلى الله عليه وسلم".

"وقال في بعضهم: إن من استغفر له غُفر له، ومن رآه غُفر له، ومن أخذ قبضةً من تراب مقبرته ووضعها في مقبرةٍ؛ غُفر لأهلها".

"وقال: إن أباه أخبر بأن المهدي المنتظر يكون من تلامذة أحد أبنائه، وكأنه يعني نفسه، وإنه يكون شيخا للمهدي..".

"وغير ذلك من الكلام الذي مَن رآه ووقف عليه؛ عَلم أنه كَذَبَ وافترى، وتجرأ على الله والرسول والصحابة وسلف الأمة. وهذا الكلامُ لا يرتضيه أحدٌ من المسلمين، ويؤدي إلى تشكيك عوام الموحدين".اهـ لفظُها.

[آفة الاعتراض على الأولياء]:

فلما رأيتُها وتأملتُها غايةَ التأمل؛ وجدتُ تلك المقالات قابلةً للمنهَج القويم بضربٍ من التأويل، فقلت مستعينا بالله على الخوض في ذلك، وإن كنت بمعزل عما هنالك، وعليه توكلت وإليه أنيب، إنه سميع قريب مجيب:

اعلم أنَّا ما لقينا هذا الرجلَ صاحبَ تلك المقالات، ولا سمعنا كلامَه ولا تباحثنا معه في أمر من الأمور، حتى يَظهر لنا ما هو عليه من الولاية أو الزندقة، وإدخال ألف أهون من إخراج واحد[2]، وسمعنا من غيرِ واحد من الثقات العدول الذين يميزون بين الطيب والخبيث ممن لَقيه؛ أنه من الأعلام في الظاهر والباطن.

وكتُبُ الصوفية فيها من ذلك النمط العجبُ العجاب، الذي يُحَيِّر عقول ذوي الألباب، وفي الرائية[3]:

---

(1) هكذا في خ.

(2) أي: إدخال ألف كافر إلى الإيمان أهون من إخراج مؤمن واحدٍ منه.

(3) يعني: رائية الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن خلف القرشي التيمي البكري الصديقي، أبو العباس، تاج الدين الشريشي السلاوي، متصوف مالكي، برع في علم الكلام وأصول الفقه، له نظم، ولد في سلا (بجوار الرباط عاصمة المغرب) ونشأ بمراكش، وقرأ بها وبفاس وبالأندلس، وحج، فأخذ عن علماء بغداد ومصر وغيرهما، وتصوف على يد أبي حفص =

ومــن يعتــرض والعلــم عــنه بمعــزل ... يرى النقص في عين الكمال ولا يدر

أي: ومن يعترض على أرباب الطريقة وهو جاهل؛ فإنه يرى الكمال نقصانا، ويقلب الأمور وهوَ لا يدري [3].

قلــــوب العارفـــين لهـــا عـــيون ... تـــرى مـــا لا يُـــرى للناظـــرين
وألــــسنةٌ بأســــرار تناجــــي ... تغـــيب عـــن الكـــرام الكاتبـــين
وأجـــنحةٌ تطيـــر بغيـــر رفـــيق ... إلـــى ملكـــوت رب العالمـــين
فتــرتعُ فــي ريــاض القــدْس طــورا ... وتـــشربُ مـــن بحـــار العارفـــين
عـــبادٌ قـــد ســـروا بالـــسر حتـــى ... دنـــوا مـــنه وصـــاروا واصـــلين
وأفـــئدة تهـــيم بعـــشق وجـــدا ... إلـــى جبـــروت ذي حـــقٍّ يقـــين
فـــإن أردت إدراك المعالـــــي ... افـــبذلُ الـــروح مـــنك قلـــيلٌ فيـــنا

وقد قال ابنُ عرضون في "مُقنع المحتاج"[(1)]: "قال الولي الصالح سيدي محمد بن محمد بن علي بن عمر بن محمد الفراوضي الزواوي[(2)] - رحمه الله تعالى ورضي عنه - في "الأسلوب الغريب في التعلق بالحبيب": ويا أخي؛ إياك والاعتراض؛ فإنه مرض من الأمراض، والتمضمضَ بالأعراض لأجل الأغراض، وقلَّ أن يكون له الاعتراض".اهـ.

وقال أبو إسحاق الشاطبي في كتابه المسمى بـ: "الإفادات والإنشادات"[(3)]: "لما توفي شيخُنا الأستاذ الكبير، العلَم الخطير؛ أبو عبد الله[(4)] الفخار؛ سألتُ اللهُ أن

=

السُّهْرَوَرْدي (عمر بن محمد) واستقر في الفيوم (بمصر) وتوفي بها عام 641 هـ، اشتهر بقصيدة له في التصوف رائية سماها: "أنوار السرائر وسرائر الأنوار، شرحها أحمد بن يوسف بن محمد الفاسي في مجلد مخطوط بخزانة الرباط (د277). انظر "تذكرة المحسنين" لعبد الكبير الفاسي، كما في "موسوعة أعلام المغرب" 409/1.

(1) كتاب "مقنع المحتاج في آداب الزواج" تأليف: محمد بن الحسن ابن عرضون الزجلي، القاضي أبو عبد الله الشفشاوني المغربي المالكي، المتوفى سنة اثنى عشرة وألف (1012هـ) له شرح عقائد السنوسي. و"مقنع المحتاج" مخطوط بالخزانة التيدسية كما في "فهرس ما لم يفهرس من المخطوطات المغربية في الخزانات الخاصة"، للشريف ص 178.

(2) لم أقف على ترجمته.

(3) ص4.

(4) في "الإفادات" أبو عبد الله محمد ابن الفخار.

يُرِيَنيهِ في المنام فيوصيني بوصية أنتفع بها في الحالة التي أنا فيها من طلب العلم، فلما نِمتُ تلك الليلةَ؛ رأيتُ كأني أدخل عليه في داره التي يسكن بها، فقلتُ له: يا سيدي؛ أَوْصِني. فقال: لا تعترض على أحد!".اهـ.

[خطة الكتاب]:

والكلام عليها يستدعي تقديمَ خمسة مطالب:

الأول: في أن الخصوصية والاصطفائية، ليست خاصةً بمن تقدم في الأعصار الماضية.

الثاني: في أن الحرية إذا تحققت في الباطن لا بدّ من رشحات تظهر على الظاهر، وأنه لا غرابة في إعطاء الأولياء من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول الأكابر القادات، وأنه لا ينبغي لأحد أن يعترض على السادات.

الثالث: في أن الأكابر مِن ذَوي التحقيق والتصديق [4]، يردُّون ذلك إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق.

الرابع: في أن ما نُسب إليهم مما يُعارض ظاهرَ الشريعة وما عليه الجمهور؛ مدسوسٌ عليهم وبهتان وكذب وزُور.

الخامس: في أن تسليطَ الأعداء على الأولياء، سنةُ الله في الأنبياء والأحباء والأصفياء.

المطلب الأول

[في أن الخصوصية والاصطفائية، ليست خاصةً بمن تقدم في الأعصار الماضية]

اعلم أن الخصوصية والاصطفائية ليست خاصةً بمن تقدم، بل كلَّما توفيَّ داعٍ إلى الله؛ خلَفَه آخر مثلُه أو خيرٌ منه مادامت الدنيا: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾. [البقرة/106].

فــإن فــضل رســول الله لــيس لــه ... حــدٌّ فيُعــربَ عــنه ناطــق بفــمِ
وكلهــم مــن رســول الله ملــتمس ... غَـرْفًا مـن البحـر أو رشْـفًا مـن الـديَمِ

[استمرارُ وراثة الأقطاب والأولياء لمقامات الرسل والأنبياء][1]:

فالنبي صلى الله عليه وسلم جُمِع فيه كلُّ ما افترِق في جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، فمَن ظن أن مراتب الولاية خالية، والأولياء معدومون، وأحوالهم انقطعت، وطريقهم ومقامات من تقدم منهم لا ينالها من تأخر بعدهم؛ فقد حجَّر واسعا، إذ باب الله مفتوح أبدا، والطريقة المحمدية مسلوكة دائما، وفضل الله غير مقطوع، ونيله غير ممنوع، والفتح النبوي المحمدي نالَ الأولين والآخرين مِن أهل الإيمان، كلٌّ أخذ منه ميراثَه بحسب ما قُسِّم له في سابق الأزل، وفضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

والدليل على عدم تغير مراتب الولاية في كل زمان، ووجود الأولياء في كل وقت وأوان: أن النور الإلهي لا انطفاء له، وهو مُودَعٌ في قلوب أنبيائه صلوات الله عليهم، والأولياء ورثة الأنبياء، كلٌّ أَخَذ منهم ميراثه على قدر ما قسَّم الله في سابق علمه. فما من مقام نبي إلا ويعمِّرُه وليٌّ من هذه الأمة المحمدية، وإن كان

(1) راجع في الموضوع كتاب: "الكمال المتلالي، والاستدلالات العوالي، في محاججة أهل التفريط والتغالي، وأن فيضان الربوبية والمحمدية لا ينقطع بل متتالي"، لابن أخت صاحب الكتاب: الإمام أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني، قدس سره، فقد أوعب وحطب. طبع طبعة حجرية.

لا يبلغ [5] منه مبلغَ النبي، إذ ليس من شرط الوارث أن يبلغ درجةَ الموروث فيما ورث منه!.

فتجد من الأولياء محمديا وإبراهيميا، وموسويا وعيسويا، وسليمانيا...إلى غير ذلك من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. والقطب: هو المحمدي؛ لأنه جُمع فيه ما افترق في غيره، كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم جُمع فيه ما افتُرق في الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام، اغترفوا من بحر محمد صلى الله عليه وسلم[1]؛ فهو صلى الله عليه وسلم قطبُهم وإمامُهم، فصار النور الإلهي مُودَعا في قلوب أولياء الله بواسطة النبوة، فإذا انعدم الأولياء؛ طُفِئَ نور الله، والله متم نوره. والأولياء أنوار الأنبياء، وقلوبُ الأولياء معادنُ أسرار الأنبياء، كما أن الأنبياء أنوار الحق وقلوبهم معادن أسراره، والنور النبوي المرفع من النور الإلهي لا انطفاء له.

نعم؛ لما عميت القلوب، وطُمست البصائر من ميلها إلى الشهوات، واسودت مرآة الفكر من دخان المخالفات، واحترقت الأرواحُ من نار الشهوات، وتراكم على النفوس سحائبُ الظلمات، وانحجبت القلوب عن شهود الأنوار، وطمست البصائر عن كشف الأسرار، إذا قيل في زماننا: "هذا رجل بخت عليه محِّلوا". لاسيما إن أقيم ذلك الرجل في الأسباب؛ نفوا عنه الكمال، وحكموا على باطنه بما رأوا في ظاهره من الاحتراف الجائز شرعا، وقالوا: "ليست هذه أحوال الأولياء". وقد قالها الذين من قبلهم حيث قالوا: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ لَوۡلَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾. [الفرقان/7]، وقالوا: ﴿ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يَأۡكُلُ مِمَّا تَأۡكُلُونَ مِنۡهُ وَيَشۡرَبُ مِمَّا تَشۡرَبُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المؤمنون/33] منه.

قال في "كفاية المريد"[2]: "ولقد أدى الحال في هذا الزمان: أن الناس إذا

---

(1) هكذا في خ، والظاهر أن العبارة سقط منها ما يقدر بـ: "الذين"، أي: الذين اغترفوا...

(2) لأبي عبد الله محمد بن علي الصفاقسي الخروبي (بالخاء المعجمة) الفقيه المالكي الصوفي، ولد بطرابلس الغرب، وانتقل إلى الجزائر، سكن إلى أن توفي بها سنة ثلاث وستين وتسعمائة (963 هـ)، له «رسالة ذوي الإفلاس إلى خواص أهل فاس"، و"شرح صلوات ابن مشيش"، و"كتاب الأنس في التنبيه عن عيوب النفس"، و"كفاية المريد وحلية العبيد" في =

سمعوا ما كان عليه الرجال في الصدر الأول من الأحوال والمقامات والمجاهدات، وما فَتَح اللهُ على أيديهم من الكرامات [6] والأسرار الربانية والعلوم اللدنية؛ تعجبوا من ذلك، وقالوا: تلك أمة قد خلت، والطريق اندرست، وربما رأوا أحدا من مشايخ الزمان يقرع باب الكريم لينال من فضله الفهمَ؛ فسخِروا منه واستخَفُّوا به، ويؤذونه. أَمَا علِمُوا أن لهم نفوسا كنفوسنا، وشهوةً كَشهوتِنا، وأنهم بشرٌ مثلُنا؟. لكن جاهدوا في الله حق جهاده حتى اجتباهم، وجرَّعوا أنفسهم المرارات حتى تمتعوا بالحلاوات، ولا يصيب الشفاء مَن لم يتجرَّعْ مرارةَ الدواء".

وسَأل بعضُ الفقهاء مولانا عبد العزيز الدباغ كما في "الإبريز"[1]، عما نُقل عن الشيخ زروق من أن التربية انقطعت بالاصطلاح، ولم يبقَ إلا التربية بالمحبة والحال؛ فعليكم بالكتاب والسنة من غير زيادة ولا نقصان، هل ذلك صحيح أم لا؟.

فأجاب: "المقصودُ من التربية هو: تطهير الذات من رعوناتها حتى تطيق حمل السر، وليس ذلك إلا بقطع علائق الباطل عن وجهتها، ثم ذلك تارةً بصفائها في أصل خلقتها؛ وهذه حالة القرون الثلاثة الفاضلة، فلذلك كانت التربية فيها غيرَ محتاج إليها، وتارة بسبب من الشيخ فيه، وذلك فيما بعدها؛ حيث فسدت النيات، فصار الشيخ يلقى مريدَه، فيعرفه، فيجده على هذه الحالة، فيأمره بالخلوة والذكر، وتقليل الأكل".

"فبالخلوة؛ ينقطع عنِ المبطلين، وبالذكر؛ يزول كلام الباطل، وبتقليل الأكل؛ يقل البخار الذي في الدم فتقل الشهوة، فيرجع العلق إلى التعلق بالله ورسوله، فإذا بلغ إلى هذا؛ أطاق حمل السر".

"ثم بقي الأمر على هذه مدة، ثم اختلط الحق بالباطل، فصار أهل الباطل يربون على نية فاسدة، وكثر ذلك في أعصار الشيخ زروق وشيوخه، فظهر لهم من النصحية أن يشيروا بالرجوع عن هذه التربية، وأن يقفوا بالناس في ساحة الأمن،

=

التصوف، و"مزيد اللبن عن آداب وأسرار القواعد الخمس". انظر: "دوحة الناشر" من "الموسوعة المغربية" 895/2.

(1) ص 309، وقد تصرف الشيخ الإمام المؤلف - رحمه الله - في كلام سيدي عبد العزيز الدباغ زيادة ونقصا، تقديما وتأخيرا، بما لا يضر المعنى، وقد نبه على ذلك في آخر النقل.

وهي: اتباع الكتاب والسنة، ولم يروا انقطاعها رأسا [7] وحاشاهم من ذلك، فإن نور النبي صلى الله عليه وسلم شامل، وبركته عامة إلى يوم القيامة، والمربي متعدد - والحمد لله - في البلاد والعباد، فلا تخرجْ عن أهل السنة والجماعة، واطلبْه تجدْه، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون".اهـ بتصرف كثير.

[أسباب اختفاء الأولياء وانحجابهم عن الناس]:

وقال الشيخ سيدي أحمد بن محمد بن عطية[1] رحمه الله تعالى: "اعلم - وفقنا اللهُ وإياك - أن السادات الأولياء لا يخلو منهم زمان، وليس لعددهم نقصان، لكن حُجبوا عنا لأجل فجورنا وانطماس بصيرتنا وكثرة معاصينا، حتى لا نراهم إلا بشرا مثلنا، أخفاهم الحق سبحانه عن خلقه، وأسبل عليهم رداء ستره، فإذا قال لنا قائل: إن فلانا وليٌّ من أولياء الله تعالى. قلنا: هذا مُحال لا يُتصور في العقل أن فلانا وليّ، لاسيما إن كان أقيم في الأسباب؛ نفوا عنه الكمال، وقالوا: ليس هذا من أحوال الرجال، إنما هو بشر مثلنا. وقد قال مَن قبلَهم: ﴿ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [المؤمنون/24] الآية".

"قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: أولياءُ الله عرائس، ولا يرى العرائسَ المُجرمون. وقال سيدي عبد الله العثماني[2]:

(1) الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد ابن عطية الأصغر، كان فقيها فرَضيا، سمع من الشيخ أبي المحاسن الفاسي، وكان يزوره في كل جمعة، توفي سنة ستة عشر وألف (1016 هـ). انظر "الإعلام بمن غبر" لعبد الله الفاسي من "الموسوعة المغربية " 1164/3.

(2) الشيخ المنوَّر العارف الصوفي أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق بن عبد العظيم العثماني، ولد سنة خمس وأربعين وتسعمائة (945 هـ)، وكان لا يقرأ شيئا من العلوم، فلما أقبل على الشيخ أبي المحاسن الفاسي؛ فتح الله عليه، وصار يتكلم برقائق وإشارات، وألف بقرب لقائه: "سلاح أهل الإيمان"، وألف نظمًا في السلوك قاس فيه السفر المعنوي على السفر الحسي، وشرحهما بشرحين. وتوفي عصر يوم الاثنين خامس ربيع الأول سنة سبع وعشرين وألف (1027 هـ). ترجم في "الابتهاج" للحافظ الفاسي وفي "نشر المثاني" للقادري، انظر "موسوعة أعلام المغرب" 1237/3.

فعسكر الأبرار مكمول العددْ ... ما دامت الأرواحُ تحمل الولدْ
يبعثهم مدبِّرُ الأحيانْ ... مِن شكل أهلِ ذلك الزمانْ
يخفيهم في خَلقه عن خَلقهْ ... وذاك فاعلم من عظيم لطفهْ
لأنهم عرائسُ الرحمنْ ... يحجبهمْ عن كل ذي خذلانْ
ولم يوصل لولي ساعته ... ألفى الذي أهَّله لحضرتهْ

وقال سيدي أبو المواهب التونسي:

إختفاء الرجال في كل عصر ... تحت سوء الظنون قدْرٌ جليلُ

وقال ابن عطاء الله: "اعلم أن اختفاء أولياء الله أكثرُ من ظهورهم مع بقاء وجودهم؛ لأن الله تعالى سلَب التصديق من قلوب الخلق، فلا تهزهم الموعظة [8]، ولا يُذّكِّرُهم الحديثُ والآيةُ".

وقال أيضا: "إياك - يا مسكين - أن تعتقد أن أولياء الله لم يوجَدوا؛ فتُحجبَ عن رؤيتهم، وتفوتَك صحبتهم".

قال بعضهم: "واللهِ؛ لا خلت الدنيا من الرجال؛ لأنهم دعائم الوجود".

وقال يحيى بن معاذ[1] رحمه الله تعالى: "الولي: ريحان الله؛ لا يشمُّه إلا الصالحون من عباده".

فلا بدّ من الدعاة إلى الله في هذه الأمة الشريفة، الذين مددهم من الحقيقة المحمدية، وسترَ مولانا سبحانه سرَّ الخصوصية، الذي هو من أنوار النبوءة المشرقة عليهم بأوصاف البشرية، التي هي من صفات الحدوث والافتقار والاحتياج...وغير ذلك.

وإنما سترها - سبحانه - مع أن الظهور التام لا ينبغي أن يكون إلا لها؛ لأنها

---

(1) يحيى بن معاذ الرازي الواعظ من كبار المشايخ له كلام جيد ومواعظ مشهورة، أحد رجال الطريقة، ذكره أبو القاسم القُشَيري في "الرسالة" وعدَّه من جملة المشايخ، وقال في حقه: "نسيج وحده في وقته". له لسان في الرجاء خصوصا وكلام في المعرفة؛ خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين (258 هـ). ومن كلامه: "كيف يكون زاهدا من لا ورع له، تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك". ترجم في "حلية الأولياء" 51/10، و"سير أعلام النبلاء" 15/13، و"وفيات الأعيان" 165/6، و"طبقات الصوفية" ص98.

رفيعة القدر، جليلة الخطْر، فأجلّها عن الابتذال بوجود إظهارها، وصانها من أن ينادي عليها الاشتهار بين الأغيار فيكون ذلك نوعا من الإهانة لها.

كما أشار إلى ذلك في "الحكم" بقوله[1]: "سترَ أنوار السرائر بكثائف الظواهر، إجلالا لها أن تُبتذل بوجود الإظهار، وأن ينادَى عليها بلسان الاشتهار".

قال الشيخ زروق[2]: "وسترهم عنك حتى لا تعرف وليا من عدو رحمةً بك في غالب الأمر، لأنك بين أحد أمرين: أن تطلعَ على وليّ؛ فتُظهر حالَه، وذلك إذاية له. أو تتبجح بصحبته، أو تطلع على سيئ؛ فتؤذيه، أو تستنقصه، أو ترى لنفسك الفضل عليه، أو تعترض على الحق في ابتلائه، وفي ذلك كله إساءة أدب".اهـ.

وقال الشيخ سيدي عبد الله الغزْواني[3]: "اعلم أن أهل الدائرة والعدد لا ينقص عددهم ولا ينقطع مددهم مادامت الدنيا، فالقطب: واحدٌ بمكة لم يزل، والنقباء: السبعة بالشام، والنجباء: اثنا عشر بمصر، والبدلاء: أربعون بالمغرب، والأوتاد: أربعة على أركان الأرض، والأولياء والصالحون والأخيار في سائر أقطار الأرض موجودون، وعِدة الجميع: ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد أهل بدر[4]، وقيل: وأربعة عشر على عدد الرسل عليهم الصلاة والسلام[5]".

---

(1) الحكمة الخامسة والخمسون بعد المائة.

(2) "شرح الحكم" السابع عشر للشيخ زَرّوق ص151.

(3) العارف بالله سيدي أبو محمد عبد الله بن عجال الغزواني، كان يتعلم العلم بفاس فسمع بالشيخ أبي الحسن علي صالح فلازمه، ولما طلب منه التربية أرشده إلى صاحب الوقت الشيخ العارف سيدي أبي فارس عبد العزيز التباع المعروف بـ: "الحرّار"، فصاحبَه وأفاد منه، وهو أحد رجالات مراكش المعروفين، حيث دفن بها بعد وفاته عام خمسة وثلاثين وتسعمائة (935 هـ)، به أحوال وكرامات شهيرة معروفة. انظر "تذكرة المحسنين" لعبد الكبير الفاسي، و"دوحة الناشر" لابن عسكر من "الموسوعة المغربية" 853/2.

(4) روى أحمد 248/1، والطبراني في "الكبير" 388/11، من حديث ابن عباس: "كان أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر". وكذلك أخرجه البيهقي في "السنن" 7/ 363، من رواية عبيدة بن عمرو السلماني، أحد كبار التابعين.

(5) اختلفت الروايات في عدد الرسل، ففي بعضها أنهم: ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولا، رواها ابن حبان في "صحيحه" كما في "الإحسان" 77/2 و"المستدرك" عن أبي ذر، وفي رواية عن أبي أمامة أنهم ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا عند أحمد في "المسند"265/5 والطبراني في "الكبير"217/8 ، ولم أقف على رواية أنهم ثلاثمائة وأربعة عشر، إلا إذا كان =

"والغوث: عليه ثلاثمائة [9] وثلاثة وستون حجابا من النور لأهل النار[1]، وثلاثمائة وثلاثة وستون حجابا من الظلام لأهل الظلام".

[الحكمة من إخفاء الله تعالى لأوليائه على الناس]:

وقال سيدي عبد القادر الفاسي[2]: "أهلُ الدائرة والعدد لا ينقطعون أبدا مادامت الدنيا، لكن أخفاهم الحق سبحانه عن خلقه، وحجبهم عن أعين الناس، سترا منه - سبحانه - عليهم، حتى لا يظهر لأهل زمانهم إلا أنهم بشر مثلهم، يأكلون مما يأكلون منه، ويشربون مما يشربون منه. فقيل له: بماذا يُعرف الولي؟. فقال: معرفة الله أقرب من معرفة الولي:.

قال مُقَيِّدُه عفا الله عنه: قال في "لطائف المنن"[3]: "فأولياء الله: أهلُ كهف الإيواء، فقليلٌ مَن يعرفهم. وسمعتُ الشيخ أبا العباس رضي الله عنه يقول: معرفة الولي أصعب من معرفة الله؛ فإن الله معروف بكماله وجلاله، وحتى متى تعرفُ مخلوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب؟!. وإذا أراد الله أن يُعرفك بولي من أوليائه؛ طوى عنك وجود بشريته، وأشهدك وجود خصوصيته".اهـ.

والمعنى: أنى يكون لأحد دليلٌ عليهم، أو وصول بسبب إليهم، وقد ألبسهم تعالى لباس التلبيس بين الأنام، وأظهرهم بما يُحقرهم بين الخواص والعوام، فأظهر

=

المؤلف - رحمه الله - ترجَّح عنده كونهم وثلاثة عشر فيصيرون وأربعة عشر بإضافة سيد المرسلين والأنبياء محمد بن عبد الله عليه وعلى آله الصلاة والسلام، والله أعلم.

(1) كذا، وربما الأصح: لأهل النور.

(2) عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي الفهري، ولد عام (1007 هـ)، كان شيخ الإسلام في وقته، أخذ عن جده الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي، وعم والده العارف عبد الرحمن الفاسي، وشيخ الإسلام القصار، وطبقتهم، وعنه جل علماء الوقت؛ كنجليه محمد وعبد الرحمن، وأحمد بن عبد الحي الحلبي، ومحمد بن الطيب القادري، وأضرابهم، له مختصرات في الفقه والعقيدة، شرحها مجموعة من العلماء، ونوازل كثيرة وأجوبة، كان رأسًا في الفقه كما كان رأسًا في التصوف. أفرده نجله عبد الرحمن بكتاب سماه: "تحفة الأكابر"، وتوفي بفاس عام1091 ، انظر ترجمته في "نشر المثاني" كما في "الموسوعة" 1636/4 وما بعدها.

(3) للعارف تاج الدين ابن عطاء الله ص 89.

تعالى أوصاف بشريتهم، وطوى وجود خصوصيتهم؛ فإن منهم: مَن أظهره للخاصة فقط، ومنهم: من أظهره للخاصة والعامة، ومنهم: من أخفاه عن الجميع، ومنهم: من أظهره للخاصة فقط، أي: في البداية فقط، أو في النهاية فقط، ومنهم: من أظهره للحفَظة فقط، ومنهم: من لم يُظهره لأحدٍ في الدنيا حتى الحفظة، ومنهم: من لم يُظهره في الدنيا ولا في الآخرة.

وقال الشيخ أبو العباس - أيضا - رضي الله عنه: "لو كُشِف عن حقيقة الولي؛ لعُبد من دون الله". أي: لأن أوصافه من أوصافه، ونعوتَه من نعوته.

وفي البخاري[1] ومسلم[2]: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله".

وفي بعض الأخبار عن سيدنا أحمد[3] الخضر عليه السلام أنه: قال لما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بكت الأرض وقالت: إلهي؛ بقيتُ لا يمشي على ظهري نبيٌّ إلى يوم القيامة [10]. فأوحى الله تعالى إليها: سأجعل على ظهرك مِن هذه الأمة مَن قلوبُهم على قلوب الأنبياء عليهم السلام، لا أُخْليك منهم إلى يوم القيامة. فقيل للخضر: وكَمْ هم؟. قال: الأولياء ثلاثمائة، والنجباء: سبعون، والأوتاد: أربعة، والنقباء: عشرة، والغرَباء: سبعة، والمختارون: ثلاثة، والغوث: واحد. فإذا مات الغوث؛ جُعل مكانَه واحدٌ من الثلاثة، ثم يُجعل مكانَه واحدٌ من السبعة، ثم يُجعلُ مكانَه واحدٌ مِن العشرة، ثم يُجعل مكانَه واحد من الأربعة، ثم يجعل مكانه واحد من السبعين، ثم يُجعل مكانَه واحدٌ من الثلاثمائة".اهـ.

[أسماء الأولياء ومراتبهم ووظائفهم في الأمة المحمدية]:

فالأولياء: بالمغرب، قلوبهم على قلب آدم عليه السلام، والنجباء - كما تقدم - بمصر، ثلاثمائة وقيل: تسعون[4]، وقيل: اثنا عشر، وقيل: أربعون؛ وهم:

(1) "صحيح البخاري" 39/1 ح 71 عن معاوية بن أبي سفيان.

(2) "صحيح مسلم" 1524/3 ح 1037 عنه.

(3) هكذا قال المؤلف - رحمه الله تعالى - والمعروف أن سيدنا الخضر اسمه: خضرون، وقيل اسمه: عامر، وقيل: بليا، وقيل: المعمر، وقيل: أرما، وقيل: اليَسَع. هذا ما قيل في اسمه، مع أنهم اتفقوا على أن كنيته: أبو العباس. ذكر ذلك كلَّه الحافظ ابن حجر في "الإصابة" 289/2.

(4) أراه سبق قلم، إذ الوارد في النجَباء: سبعون بتقديم السين وموحدة تحتانية، لا تسعون بتقديم =

مشغولون بحمل أثقال الخلق، فلا ينظرون إلا في حق الغير، ولهم ثمانية أعمال: أربعةٌ ظاهرة: الفتوة والتواضع، والأدب وكثرة العبادة. وأربعةٌ باطنة: الصبر والرضا، والشكر والحياء. وهم أهل مكارم الأخلاق.

والأوتاد، ويقال لهم أيضا: "العمَداء"، و"الخلفاء": أربعة في أركان الدنيا – أي: زوايا الأرض – أي: منازلهم الأربعة أركان من العالم، شرقا وغربا، وجنوبا وشمالا، مَقام كلِّ واحد منهم تلك الجهة، قلوبُهم على قلب عيسى عليه السلام، ولهم ثمانية أعمال؛ أربعة ظاهرة: كثرة الصيام، وقيامُ الليل والناس نيام، وكثرة الإيثار، والاستغفار بالأسحار. وأربعةٌ باطنة: التوكل، والتفويض، والثقة، والتسليم.

والنقباء بالشام، وقيل: بالمغرب، وقيل: متفرقون: أربعون، وقيل: عشرة، وقيل: سبعة، وقيل: اثنان وعشرون، وقيل: ثلاثمائة. وهم: الذين استخرَجوا خبايا النفوس، ولهم عشرة أعمال؛ أربعة ظاهرة: كثرة العبادة، والتحقق بالزهادة، والتجرد عن الإرادة، وقوة المجاهدة. وستة باطنة: التوبة، والإنابة، والمحاسبة، والتفكر، والاعتصام، والرياضة.

والمختارون، ويقال لهم أيضا: الأخيار، سياحون ثلاثة، وقيل: سبعة.

والبدَلاء، ويقال لهم أيضا: الأبدال. بالمغرب، وقيل: بالشام. قلوبهم على قلب إبراهيم، وقيل: موسى عليه السلام، يدفع الله [11] بهم عن أهل الأرض، لم يُدركوا ذلك بصلاة ولا بصيام، وإنما أدركوه بالسخاء والنصيحة للمسلمين، ولولاهم لدُمِّرت الدنيا وأهلُها، وبهم تقام الدنيا وتَصلُح، أهلُ فضل وكمال، واستقامة واعتدال، قد تخلصوا من الوهم والخيال، مَن سافر منهم مِن موضعه ترك جسدا على صورته.

ولهم أربعة أعمال باطنة: التجرد، والتفريد، والجمع، والتوحيد. وأربعة أعمال ظاهرة: الصمت، والسهر، والجوع، والعزلة. ولكل ظاهر باطن؛ أما الصمت: فظاهره ترك الكلام بغير ذكر الله تعالى، وباطنه: صمت الضمير عن جميع التفاصيل

=

المثناة الفوقانية. انظر: "موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي" باب النون ص 963-964.

والأخبار. وأما السهر؛ فظاهره: عدم النوم، وباطنه: عدم الغفلة. وأما الجوع؛ فعلى قسمين: جوع الأبرار لكمال السلوك، وجوع المقربين: لموائد الأنس. وأما العزلةُ؛ فظاهرُها: ترك المخالطة للناس، وباطنُها: ترك الأنس بهم. ستة، وقيل: أربعون، وقيل: سبعة، وقيل: سبعون؛ أربعون بالشام وثلاثون في سائر البلاد.

والغرباء: سبعة.

والقطب: واحد؛ مسكنُه بمكة، قلبه على قلب نبينا صلى الله عليه وسلم.

وفي "العوارف"[(1)]: "القطبُ أكملُ أهل زمانه، وهو: موضع نظر الله من العالم، وهو: الذي يضاهي الخَضِر ويجاريه في العلم والأحوال، وهو رحمة الله في الأرض، وغياث الأمة، والبدل من النبي صلى الله عليه وسلم، والوارث لبعض مقامه".

وقيل: إن الأقطاب سبعة، وقيل كثيرون، فإن كل مقدَّم على أهل مقامه هو قطبهم.

والغوث كذلك؛ قلبُه على قلب نبينا، والأقطاب السبعة تحته، وهو العارف بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم الذي تكون له ثلاثمائة وستة وستون ذاتا، وهو: الوارث الكامل.

ومعنى الوراثة: أنه ليس ثَمَّ ذات شرِبت من ذات النبي صلى الله عليه وسلم مثلَ ذاته، وموروثه: له مائة ألف وأربعة وعشرون ألف ذات، وإنما لم يرثها الغوث كلَّها؛ لأنه لا يطيق أحدٌ ما يطيقه صلى الله عليه وسلم - كما في "الإبريز"[(2)] - يحتاج الناس إليه عند الاضطرار، في تبيين ما خفي من العلوم المهمة والأسرار، ويُطلب منه [12] الدعاء؛ لأنه مستجاب الدعوة، لو أقسم على الله لأبره؛ مثل أويس القرني[(3)] في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(1) ص111.

(2) ص291.

(3) أويس بن عامر القرني الزاهد المشهور، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة، وقال: كان ثقة. وذكره البخاري فقال: في إسناده نظر. وقال ابن عدي: ليس له رواية، لكن كان مالك ينكر وجوده، إلا أن شهرته وشهرة أخباره لا تسع أحدًا أن يشك فيه. أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل وجوده، =

والإمامان: أحدُهما عن يمين القطب؛ ونَظَرُه في الملكوت، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذي يخلُفُ القطب. والآخر: عن يساره؛ ونظره في المُلك.

فَبِهِمْ يُمطَر الخلق، وبهم يُرزَقون، وبهم يَدفَع الله تعالى عنهم البلاء، ولَهُما أَربعةُ أعمال ظاهرة: الزهد، والورع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأربعةٌ باطنة: الصدق، والإخلاص، والحياء، والمراقبة.

والأفراد: الخارجون عن نظر القطب.

والأمناء المِلامِية[1] (بكسر الميم والتاء في اسمهم، مقحمهم لأن تاء التأنيث تحذف مع ياء النسب وهي مع فتح الميم على الأصل): الذين لم يُظهر مما في بواطنهم أثر على ظواهرهم، وتلامذتهم في مقامات أهل الفتوة، نُسبوا إلى الخلافة؛ لأنهم يُظهرون ما يلامون عليه تسترا لأنفسهم وطلبا للإخلاص، وهم لا يملكون غير لباس حسن، وقد يظهرون[2] الليالي وهم في غاية النظافة، وقد تكون في أيديهم المفاتيح يُمَوِّهون أنهم أهل مال، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف.

ولله سبعة:

أما النقباء، وأما المختارون، وأما العرفاء، وأما الأبدال؛ قلوبهم على قلب موسى، قيل: وإبراهيم عليهما السلام.

وله خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام.

وله ثلاثةٌ قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام.

وله واحد قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام.

=

وشهد صفين مع علي، وكان من خيار المسلمين. وروى ضمرة عن أصبغ بن زيد قال: "أسلم أويس على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن منعه من القدوم برُّه بأمه". وروى مسلم في "صحيحه" عن عمر بن الخطاب قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن خير التابعين: رجلٌ يقال له أويس بن عامر"، وفي رواية له: "فمن لقيه منكم؛ فمُروه فليستغفر لكم"."الإصابة" 219/1.

(1) قال السهروردي في "عوارف المعارف" عن الملامتي: "إنه الذي لا يُظهر خيرا ولا يضمر شرا. وشرح هذا هو: أن الملامتي تشرَّبَتْ عروقُه طعمَ الإخلاص، وتحقق بالصدق، فلا يحب أن يطلع أحدٌ على حاله وأعماله".اهـ انظر: "موسوعة المصطلحات الصوفية" ص 935.

(2) كلمة غير واضحة في الأصل: يطرون، يظهرون، يطيرون، جبرناها بما هو أنسب.

وكل واحد من العدد المذكورين تحته عدد كثير من أهل الفضل والخير ما لايعلم عددهم إلا الله تعالى، وهم أنواع وأشكال: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾. [المدثر/31]، وهم مفرقون وموكلون بكل قُطر من الأقطار، وبكل سوق من الأسواق، أياً كان وكيفما كان؛ فإنه ما من سوق سوق، وما من جماعة جماعة من أهل الصناعات والحِرَف، قلَّت أو جلَّت، وفي كل باب من أبواب المدن[1] وعند كل عطفة؛ إلا ولا تخلو منهم ولو واحد؛ كالتجار وما يتعلق بهم من السماسرة والحمالين والطرازين والخرازين، وما ألحق بهم، والدباغين [13] والحدادين، والحجامين والخياطين، والبنائين والنجارين، والسناكين والعوادين، وسوق الدخان، وكذلك الدائرة المخزنية وما يتعلق بها من القواد والكتاب، والوزراء والبوابين، وكذلك الفلاحون وما يلحق بهم من خُدَّام الموقف، وكلُّ صنعة ولو مذمومة، ولاسيما المرضى ذَوُوا العاهات، وكلٌّ واحد حجة على جماعته.

وعددُ منازل الأولياء في المعارف والأحوال التي ورثوها من الرسُل عليهم الصلاة والسلام: مائتا ألف منزل، وثمانية وأربعون ألف منزل، وتسعمائة وتسعة وتسعون منزلا، لا بُدَّ لكلِّ من حُق[2] له قدم في الولاية أن ينزلها جميعها، ويخلع عليه في كل منزل من العلوم ما لا يُحصى.

وهذه المنازل خاصةٌ بهذه الأمة المحمدية، لم ينلْها أحدٌ مِن الأُمم قبلهم، ولكلِّ منزل ذوقٌ خاص لا يكون لغيره، نفعنا الله ببركاتهم، ووفقنا للتسليم بمراتبهم، والإيمان بأسرارهم، وذَوَّقَنا من غُسيلتهم، وحشرنا في زمرتهم وتحت لوائهم، بمنه وكرمه...آمين.

---

(1) في الأصل: من الأبواب المدن، وكأنه خطأ. إذ بجوار اللفظة نقطة تنبيه.

(2) حُق: أي ثبت. مؤلف.

المطلب الثاني

[في أن الحرية إذا تحققت في الباطن لا بدّ من رشحات تظهر على الظاهر، وأنه لا غرابة في إعطاء الأولياء من العبارات ما يعجز عن فهمه فحول الأكابر القادات، وأنه لا ينبغي لأحد أن يعترض على السادات]

اعلم - رحمك الله ووفَّقك للتسليم لأوليائه - أن الحرية إذا تحققت في الباطن؛ لا بدّ لها من رشحات تظهر على الظاهر، فكل إناء بالذي فيه يرشح، وصاحب الكنز لا بدّ أن يظهر عليه السرور، وصاحب الغناء لا يخلو من بحبحة وحبور. وكما قال الشاعر[1]:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة   ولو[2] خالها تخفى على الناس؛ تُعلَمِ

ولذلك نجد أهلَ الباطن - رضي الله عنهم - جلُّهم أقوياءُ في الظاهر، فربما تصدُر منهم مقالات تستخرجها القدرة منهم؛ فيظن الجاهل بحالهم أن ذلك دعوى وظهور، وليس كذلك؛ وإنما ذلك رشحاتٌ عن قوة الباطن لا قدرة لهم على إمساكها.

منها: ما يكون تحدُّثا بالنعم، ومنها: ما يكون نصحا للعباد؛ ليَعرفوا [14] حالَهم، فينتفعون بهم في طريق الإرشاد. ومِنْ هذا الأمر رفَضَهم كثيرٌ من أهل الظاهر المتعمقون في العبادة والمتجمدون على ظاهر الشريعة، أو من لم تطُل صحبته معهم في الطريقة وإن كان كاملا.

ومن ذلك: ما وقع للشيخ زرّوق[3] مع أبي المواهب التونسي[4] رضي الله

---

(1) زهير بن أبي سلمى من مُعلقته.

(2) المحفوظ من هذا البيت والمنقول في ديوانه: "وإن" بدل "ولو".

(3) الشيخ العالم المحقق العارف سيدي أبو العباس أحمد بن أحمد بن عيسى البرنوصي الفاسي، عرف بزروق، صاحب التصانيف المفيدة النفيسة في طريق القوم، له كرامات اشتهرت، وكلام في التصوف رفيع، توفي - رحمه الله - بمصراته بليبيا سنة تسع وتسعين وثمانمائة (899 هـ). ينظر "تذكرة المحسنين"، و"دوحة الناشر"، من "الموسوعة المغربية" 799/2.

(4) محمد بن أحمد بن محمد بن داود بن سلامة، أبو عبد الله وأبو المواهب ابن الحاج اليزلتيني - نسبة لقبيلة - التونسي المغربي ثم القاهري المالكي، ولد في سنة عشرين وثمانمائة تقريباً =

عنهما، حتى قال فيه الشيخ زروق: "دعواه أكبر من قدمه".

وليس كذلك؛ فإن الشيخ أبا المواهب عظيمُ الشأن، راسخُ القدم في العرفان، كامل الخصوصية، تام الولاية، وما حملِ الشيخَ زروق على مقالته إلا القوة التي صدرت من أبي المواهب، مع كونه لم تطُل صحبته معه.

وما ذكرناه من القوة التي في العارفين؛ لا يجهله إلا من لم يبلغ مقامَهم، وحسبُ مَن لم يبلغْ مقامهم التسليم.

وسرُّ هذه القوة من جهة الروح؛ وذلك أن الروح جاءت من عالَم العز والقوة، فلما رُكِّبتْ في هذا البدن؛ مُحيت وقُهرت، فأرادت الرجوع إلى أصلها، فطلبته بالعز الأصلي والقوة الأصلية، فمُنعت منه، وأتت من كوة الذل والافتقار، وخرقت عوائد نفسها فانخرقت لها في الحجب، فرجعت إلى أصلها، فلما رجعت إلى أصلها؛ انطفت بالقوة التي كانت لها؛ فأُمرت أن تجعل ذلك في باطنها، ففعلت، لكن ربما رشَحَ شيءٌ من ذلك على الظاهر غلبةً..

وأيضا؛ لما ظفروا بنفوسهم، ووصلوا إلى شهود معبودهم، وصاروا يستأنسون بكل شيء لمعرفتهم في كل شيء، ويأخذون النصيب من كل شيء، ويفهمون عن الله في كل شيء، وصار بسْطُهم بالله، وقبضهم بالله، واستغنوا به عما سواه؛ صح مدحُهم لأنفسهم؛ كالشيخ عبد القادر[1]،

=

ب: (820 هـ) تونس، وحفظ القرآن وكتباً، وتلا لنافع على بعض القراء من أصحاب ابن عرفة، وبحث العربية على أبي عبد الله الرملي وعمر الشلشاني وغيرهما، وعن ثانيهما وعمر البرزلي أخذ في الفقه، وأخذ المنطق عن محمد الموصلي وغيره، والأصلين مع الفقه أيضاً عن إبراهيم الأخضري، وقدم القاهرة في سنة اثنتين وأربعين (842هـ)، وحج وجاور، صحب يحيى بن أبي الوفاء وفهم كلام الصوفية، ومال إلى ابن عربي بحيث اشتهر بالمناضلة عنه، وتوفي - رحمه الله - عام واحد وثمانين وثمانمائة، (881 هـ).انظر"الطبقات الكبرى" للشعراني(ص 452).

(1) سيدي عبد القادر الجيلاني قال عنه الذهبي في "سير أعلام النبلاء" 439/20: "الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة، شيخ الإسلام، علم الأولياء، محيي الدين أبو محمد عبد القادر الجيلي الحنبلي شيخ بغداد، مولده بجيلان في سنة إحدى وسبعين وأربعمائة (471 هـ). قال السمعاني: كان عبد القادر من أهل جيلان إمامَ الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، ديِّن خيِّرٌ كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة، تفقه على المخرمي، وصحب الشيخ حمادا

=

والشاذلي[1]، والمرسي[2]، والشيخ زروق، وأشباهُهم رضي الله عنهم، وذلك مشهور عندهم نظما ونثرا، ومن أجل ذلك أيضا؛ أَقَرُّوا مَن مَدَحهم، وأظهروا الانبساط عند مدحهم.

وقد قيل للشاذلي: "إن سيدي عبد القادر ادعى القطبانية". فقال لمن قال له ذلك: "إن سيدي عبد القادر شرب كأسا لو شربتُ منها مثلَ حبة السمسم؛ لادَّعيتُ الربوبية!". [15].

[الجهل بحال الأولياء والعارفين سبب الإنكار عليهم]:

والمقالات التي ينطقون بها تكون أولا مُجملة، فإذا حُفظت وتقيدت؛ تبين معناها؛ فمنها: ما تدركه العقول ويطابق المنقول. ومنها: ما لا تفهمه، فتَكِلُه إلى أربابه ولا تنتقده عليهم بمجرد سماعه. انظر قول ابنِ الفارض رضي الله عنه:

=

الدباس، وكان يسكن بباب الأزج في مدرسة بُنيت له، مضينا لزيارته فخرج وقعد بين أصحابه وختموا القرآن، فألقى درسا ما فهمت منه شيئا. وأعجبُ من ذا: أن أصحابه قاموا وأعادوا الدرس، فلعلهم فهموا؛ لإلفهم بكلامه وعبارته. توفي - رضي الله عنه - ليلة السبت ثامن - وقال غيره: تاسع - ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة (561هـ) بعد المغرب. ودفن من وقته بمدرسته. وبلغ تسعين سنة. ينظر ترجمته - أيضا - في "ذيل طبقات الحنابلة"ص 118 لابن رجب، و"طبقات الأولياء" لابن الملقن ص41.

(1) سيدي القطب أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الشاذلي (نسبة إلى شاذلة: قرية بتونس مر بها أثناء رحلته) الغماري الإدريسي الحسني، الضرير الزاهد، نزيل الأسكندرية، وشيخ الطائفة الشاذلية. كان كبير المقدار، عالي المقام، له نظم ونثر ومتشابهات وعبارات فيها رموز. صحب الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش الحسني، وتخرج به، كما صحب - أيضا - الشيخ نجم الدين ابن الأصفهاني نزيل الحرم، ومن أصحابه: الشيخ أبو العباس المرسي. حج مرات. ومات بصحراء عيذاب، فدفن هناك، في أول ذي القعدة سنة ست وخمسين وستمائة (656 هـ). انظر "طبقات الأولياء" لابن الملقن ص75، و"الطبقات الكبرى" للشعراني ص215.

(2) سيدي أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد الأندلسي المرسي الأنصاري، الشيخ العارف الكبير. نزيل الإسكندرية صحب الشاذلي، وصحبه تاج الدين ابن عطاء الله، والشيخ ياقوت. مات سنة ست وثمانين وستمائة (686 هـ)، وقبره بالأسكندرية يزار. ينظر "طبقات الأولياء" لابن الملقن ص 69، و"الطبقات الكبرى" للشعراني ص 226.

فثمَّ وراء النقل علمٌ يدق عن مدارك غايات[1] العقول السليمة

وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - يقول: "من آداب مجالسة الصدّيقين: أن تفارق ما لا تعلم، لتظفر بالسر المكنون".

يعني: إن أردتَ أن تَظفر بما عندهم من السر المكنون؛ فأسقط عنهم الميزان في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، وأما مادمت تزن عليهم بميزان علمك؛ فلا تشمُّ رائحةً من سرهم.

وكان مولانا علي الجمل[2] - رضي الله عنه - يقول: "طريقتُنا لا ينالُ منها شيئا إلا من يُصدِّقُ بالمحال".

وتَنَكَّر مرةً أبو العباس ابنُ شريح، ثم حضر مجلس الجنيد ليسمع منه شيئا مما يُشاع عن الصوفية، فلما انصرف؛ قالوا له: "ما وجدت؟". قال: "لم أفهم من كلامه شيئا، إلا أن صولة الكلام ليست بصولة مُبطل!".

وكان شيخ الإسلام مجد الدين الفَيْرُوزْأبَادِي[3] - صاحب "القاموس" - يقول: "إذا أعطى اللهُ الكرامات للأولياء - التي هي فروع المعجزات - فلا بِدع أن يعطيَهم من العبارات ما يعجز عن فهمه فحولُ العلماء".

وكان يقول: "لا ينبغي لأحدٍ من أهل الفكر والنظر الاعتراضُ على أهل العطايا والمنح، فإن علوم هؤلاء فوق علوم أهل النظر".

وكان مجدُ الدين هذا من أكابر أهل العطايا الذين كشف لهم الحق عن جمال وجهه الباقي، فتلألأت سُبُحاته بالأنوار الساطعة إلى يوم التلاقي، ومَن تعرض لتخطئة مثله أو تكفيره؛ فإنما هو لجهله وحرمانه، أو لعدم فهمه وضعفِ إيمانه، وعدم مبالاته بهفوات لسانه.

---

(1) في الأصل: غاية، وهو تصحيف لا يستقيم وزنا.

(2) الشيخ العارف المربي، من رجال السلسلة الشاذلية الدرقاوية، بل هو شيخ فتح العارف مولاي العربي الدرقاوي قدس سرهما. انظر ترجمته في سلوة الأنفاس 440/3.

(3) الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن يعقوب بن إبراهيم الفيروز آبادي مجد الدين أبو طاهر الشيرازي، ولد بكازرون سنة تسع وعشرين وسبعمائة (729 هـ)، وتوفي قاضيا بزبيد اليمن سنة سبع عشرة وثمانمائة (817 هـ)، الإمام اللغوي المحدث، صاحب القاموس في اللغة، وله شرح على البخاري، وغير ذلك.

ونقل الغزالي في الباب الثامن من كتاب العلم من "الإحياء"[1] [16] عن بعض العارفين أنه: كان يقول: "مَن لم يكن له نصيبٌ من علم القوم؛ يُخاف عليه سوء الخاتمة، وأدنى نصيب فيه: التصديق والتسليم لأهله، كما أن من لم يتغلغل في علم الشريعة؛ يُخاف عليه الزيغ".

وكان الشيخ سراج الدين المخزومي[2] يقول: "إياكم والإنكار على شيء من كلام الأولياء؛ فإن لحومَهم مسمومة، وهلاك أديان مبغضهم معلومة، ومَن بغَضهم؛ تنصر ومات على ذلك، ومن أطلق لسانه فيهم بالسب؛ ابتلاه الله بموت القلب".

وكان أبو عبد الله القرشي[3] - رضي الله عنه - يقول: "من غض من ولي لله عز وجل؛ ضُرب في قلبه بسهم مسموم، ولم يمت حتى تفسد عقيدته، ويُخاف عليه من سوء الخاتمة".

وكان أبو تراب النخشبي[4] يقول: "إذا أَلِف القلبُ الإعراضَ عن الله؛ صحبتهُ الوقيعة في أوليائه، ولا يقدح فيهم إلا من لم يفهم كلامهم ولم يؤمن به، كما لا يقدح في كمال الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - نسبتهم إلى الجنون والسحر على

---

(1) 19/1.

(2) كما في "اليواقيت والجواهر" للقطب الشعراني ص36.

(3) الشيخ أبو عبد الله بن أحمد بن إبراهيم القرشي الهاشمي العابد الزاهد الصالح، من أهل الجزيرة الخضراء؛ كانت له كرامات ظاهرة، وحكي عنه أشياء خارقة، وكان من السادات الأكابر، والطراز الأول، وهو مغربي، وصحب بالمغرب أعلام الزهاد وانتفع بهم، فلما وصل إلى مصر؛ انتفع به من صحبته أو شاهده. ثم سافر إلى الشام قاصدا زيارة البيت المقدس، فأقام به إلى أن مات في السادس من ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة (599 هـ). انظر "وفيات الأعيان" 305/4.

(4) قال الشعراني في "طبقاته الكبرى" ص 119: "ومنهم: أبو تراب عسكر بن الحسين النخشبي رضي الله تعالى عنه، صحب حاتماً الأصم وأبا حاتم العطار. وهو من أجلة مشايخ خراسان وكبارهم المشهورين بالعلم والفتوة والزهد، والتوكل والورع. مات - رحمه الله تعالى - بالبادية، فنهشته السباع سنة خمس وأربعين ومائتين (245 هـ). ومن كلامه رضي الله عنه: إن الله عز وجل ينطق العلماء في كل زمان بما يشاكل أعمال ذلك الزمان. وكان رضي الله عنه يقول: من شغل مشغولاً بالله عن الله أدركه المقت من ساعتها. وكان يقول: لا أعلم شيئاً أضر بالمريدين من أسفارهم، على متابعة نفوسهم بغير إذن أستاذهم، وما فسد مريد إلا بالأسفار ومعاشرة الأضداد".

لسان من لم يؤمن بهم".

وكان اليافعي[1] يقول: "إنكار هؤلاء الجهلة على أهل الطريق؛ حكمُ ناموسة نفخت على جبل تريد إزالته من مكانه بنفختها".

قال: "ومن عادى أولياء الله؛ فكأنما عادى الله، وإن كان لم يبلغ حد التكفير الموجب للخلود في النار".

وكان المخزومي يقول: "لا يجوز لأحد من العلماء الإنكار على الصوفية إلا أن يسلك طريقهم ويرى أقوالهم وأفعالهم مخالفة للكتاب والسنة". وأطال في ذلك، ثم قال:

"وبالجملة؛ فأقل ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الهم بالإنكار: أن يعرف سبعين أمرا: كمعجزات الرسل، وكرامات الأولياء على اختلاف طبقاتهم، وأن الأولياء يورَّثون الأنبياء في جميعها، إلا ما استثنيَ، والتفسيرَ والتأويلَ وشرائطَه، ولغاتِ العرب: مجازاتِها واستعاراتِها، ومقالاتِ السلف والخلف في معنى آيات الصفات وأخبارها، ومَن أخذ بالظاهر ومَن أَوَّل، ومَن دليلُه أرجح، وعِلمَ الأصوليّين، ومنازعَ أئمة الكلام، واصطلاحَ القوم فيما [17] عبروا عنه...وغير ذلك. فمن لم يعرف مرادهم؛ كيف يحمل كلامهم أو ينكر عليهم بما ليس بمرادهم؟!". اهـ بتصرف كثير.

وأصل الإنكار من الحسد، ولو أنهم تركوه وسلكوا طريق أهل الله؛ لم يظهر منهم إنكار ولا حسد، وازدادوا علما إلى علمهم، ولكن هكذا كان الأمر. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولكونهم لا يعتقدون في أهل الله تعالى أنهم يَعْلمون الشريعة، وإنما ينسبونهم إلى الجهل والعامية، لاسيما إن لم يقرءوا على أحد من علماء الظاهر، وكثيرا ما يقولون: "من أين أتى هؤلاء العلمُ؟". لاعتقادهم أن أحدا لا ينال علما إلا على يد

---

(1) الشيخ الإمام سيدي عبد الله بن أسعد اليافعي، ثم المكي، عفيف الدين، ويافع: قبيلة من اليمن من قبائل حميَر.كان إماماً مفتياً عاملاً، ممن تنزل الرحمة عند ذكره. ولد قبل سبعمائة، وشيخه في الطريق شيخ الشيخ علي المعروف بالطواشي، صنف بأنواع العلوم، وأسمع، وله شعر حسن. ومات بمكة ليلة الأحد عشري جمادى الآخرة، من سنة ثمان وسبعمائة (708هـ). ودفن بالمعلاة بجوار الفضيل بن عياض. وتبرك الناس بآثاره فنشروها بأثمان غالية. انظر "طبقات الأولياء" لابن الملقن ص150.

مُعلم، وصدقوا في ذلك؛ فإن القوم لما عمِلوا بما علموا؛ أعطاهم الله تعالى علما من لدنه بإعلامٍ رباني نزَّله في قلوبهم، مطابقا لما جاءت به الشريعة، لا يخرج عنها ذرة. قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝ ﴾. [الرحمن/2-3]. وقال: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ﴾. [العلق/5]، وقال في عبده الخضر: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝ ﴾. [الكهف/65].

فصدق المنكرون فيما قالوا: "إن العلم لا يكون إلا بواسطة معلم". وأخطؤوا في اعتقادهم أن الله تعالى لا يُعَلِّم من ليس بنبي ولا رسول. قال تعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾. [البقرة/269]، والحكمة هي: العلم[1]، وجاء بـ: "مَن" وهي نكرة، ولكن هؤلاء المنكرون لما تركوا الزهد في الدنيا، وآثروها على الآخرة وما يقرب إلى الله تعالى، وتعودوا أخذ العلم من الكتب ومن أفواه الرجال؛ حجبهم ذلك عن أن يعلموا أن لله عبادا تولى تعليمَهم في سرائرهم؛ إذ هو المعلم الحقيقي للوجود كله، وعلمُه هو العلم الصحيح الذي لا يشك مؤمن ولا غير مؤمن في كماله!.

فعُلِم أن: من كان معلمَه اللهُ تعالى؛ كان أحق بالاتباع ممن كان معلمَه بكرٌ، ولكن أين الإنصاف؟.

فأين تكذيب هؤلاء المنكرين لأهل الله في دعواهم العلم من قول سيدنا علي رضي الله عنه: "لو تكلمتُ لكم في تفسير سورة الفاتحة لحملتُ لكم منها سبعين وقرا"[2].

فهل ذلك إلا من العلم اللدني الذي آتاه الله تعالى له من طريق الإلهام، إذ الفكر لا يصل إلى ذلك؟.

وقد كان الشيخ أبو يزيد البسطامي[3] يقول لعلماء زمانه: "أخذتم علمكم ميتا

---

(1) أسنده ابن أبي حاتم في "التفسير" 531/2 إلى مجاهد، وإلى مالك 532/2.

(2) قال في "مختار الصحاح" ص 301: "الوَقر بالفتح: الثقل في الأذن، وبالكسر: الحمل، وقد أوقر بعيره، وأكثر ما يستعمل الوقر في حمل البغل والحمار، والوسق في حمل البعير.

(3) سلطان العارفين أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي، أحد الزهاد، وله كلام نافع، منه: "ما وجدت شيئا أشد علي من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيتُ حائرا".
=

عن ميت، وأخذنا علومنا عن الحي الذي لا يموت!".

وكان [18] الشيخ أبو مَدْيَن[1] إذا سمع أحدا من أصحابه يقول في حكاية: "أخبرَني بها فلان بن فلان". يقول: "لا تُطعمونا القديد[2]، أطعمونا اللحم الطري". يريد بذلك رفع صحة أصحابه، يعني: لا تحدثوا إلا بفتوحكم الجديد، الذي فتح الله تعالى به على قلوبكم في كلام الله تعالى أو كلام رسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإن الواهب للعلم الإلهي حي لا يموت، وليس له محل في كل عصر إلا قلوب الرجال.

=

وقال: "هذا فرحي بك، وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمِنتك؟، ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير!". وعنه وقيل له: "إنك تمر في الهواء؟". فقال: "وأي أعجوبة في هذا، وهذا طير يأكل الميتة يمر في الهواء". قال السلمي في "تاريخ الصوفية": "توفي أبو يزيد عن ثلاث وسبعين سنة، وله كلام حسن في المعاملات، ثم قال: ويحكى عنه في الشطح أشياء منها ما لا يصح أو يكون مقولا عليه". توفي سنة إحدى وستين ومائتين (261 هـ). "حلية الأولياء" 33/10، "طبقات الصوفية" للسُلمي ص68، "سير أعلام النبلاء" 86/13.

(1) أبومدين شعيب بن حسين الأندلسي الزاهد، شيخ أهل المغرب، كان من أهل حصن منتوجت من عمل إشبيلية، جال وساح، واستوطن بجاية مدة ثم تلمسان، ذكره ابن الأبار في تاريخه وقال: "كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك". قال: "وتوفي بتلمسان في نحو التسعين وخمسمائة (590 هـ)، وكان آخر كلامه: الله الحي، ثم فاضت نفسه". قال الشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي: "كان أبو مَدْيَن سلطان الوارثين". "سير أعلام النبلاء" 82/3.

(2) القديد: اللحم المقدد، والقديد: ما قُطع من اللحم وشرر، وقيل: هو ما قطع منه طوالا. وفي حديث عروة: "كان يتزود قديد الظباء، وهو محرم". القديد: "اللحم المملوح المجفف في الشمس، فعيل بمعنى مفعول". والقديد: الثوب الخلِق أيضا. "لسان العرب" 343/3. ويسمى بالمغربية: "الخليع"، مشهور خاصة في فاس.

المطلب الثالث

[في أن الأكابر مِن ذَوي التحقيق والتصديق، يردُّون ذلك إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق]

اعلم أن كلامهم - رضي الله عنهم - تحته رموز وروابط، وإشارات وضوابط، وحذفُ مضافات هي في علمهم وعلم أمثالهم معلومة، وعند غيرهم من الجهال مجهولة، ولو أنهم نظروا إلى كلماتهم بدلالاتها وتطبيقاتها، وعرفوا نتائجها ومقاماتها؛ لنالوا الثمرات المرادة، ولم يباين اعتقادهم اعتقاد القادة.

قال محيي الدين النووي[1]: "الذي عندنا: أنه يحرُم على كلِّ عاقل أن يسيء الظن بأحدٍ من أولياء الله عز وجل، ويجب عليه أن يؤول أقوالهم وأفعالهم مادام لم يلحق بدرجتهم، ولا يعجزُ عن ذلك إلا قليل التوفيق.

قال في "شرح المهذَّب": "ثم إذا أَوَّل؛ فليأوِّلْ كلامهم إلى سبعين وجها، ولا تقبل منه تأويلا واحدا، ما ذاك إلا تعنُّت!".اهـ.

وكان مجد الدين يقول: "قد يبلغ القوم في المقامات ودرجات العلوم إلى المقامات المجهولة والعلوم المجهولة التي لم يصرَّح بها في كتاب ولا سنة، ولكن أكابر العلماء العاملين قد يرُدُّون ذلك إلى الكتاب والسنة بطريق دقيق؛ لحسن استنباطهم، وحُسن ظنهم بالصالحين، ولكن ما كلُّ أحدٍ يتربص إذا سمع كلاما لا يُفهم، بل يبادِرُ إلى الإنكار على صاحبه. وخُلق الإنسان عجولا".

ودليلُ العارفين في رَمْزِهم: ما رُويَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لأبي بكر[2]: "أتدري يوم يوم؟". فقال: "نعم، لقد سألتني عن يوم المقادير".

ورُويَ[3] - أيضا - أنه قال له يوما: "يا أبا بكر؛ أتدري ما أريد أن أقول؟". فقال: "نعم؛ هو ذاك هو ذاك". حكاه ابن عطاء الله في بعض كتبه.

وتلك الرموز لم يضعوها لأنفسهم، فإنهم يَعلمون الحق الصريح في ذلك، وإنما وضعوها منعًا للدخيل [19] بينهم، حتى لا يُعرَف ما هم فيه، شفقةً عليه أن

---

(1) "المجموع شرح المهذب" 37/1.

(2) لم أقف عليه.

(3) لم أقف عليه.

يسمع شيئا لم يصل إليه فينكره على أهل الله، فيعاقَب على حرمانه، فلا يناله بعد ذلك أبدا.

ثم إنهم لا يتكلمون بها إلا عند حضور من ليس منهم، أو في تآليفهم، لا غير.

وكان بعض العارفين يقول: "يحرُم النظر في كتبنا على من لم يكن من أهل طريقتنا. وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، فمَن نقله إلى من لا يؤمن به؛ دخل هو والمنقول إليه جهنم". وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤوس الأشهاد، وقالوا: "من باح بالسر؛ استحق القتل!".

ومُظهر سر الحب يوشك أن يُرى قتيلا لمحبوب يَغار على السرِّ
بالسر إن باحوا تُباح دماؤهم وكذا دماء البائحين تُباحُ

ومع ذلك؛ فلم يسمع أهلُ الغفلة والحجاب، بل تعدَّوْا حدود القوم، وأظهروا كلامهم لغير أهله، فكانوا كمن نقل المصحف إلى أرض العدو الذي لا يؤمِن به، مع أن الله نهاه عن ذلك[1]، فمكنوا أعداء الله تعالى من قراءته بقلوب زائغة وألسنة مُعْوَجَّة، فطائفة تستهزئ به، وطائفة تتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فزادوا بتمكينهم منه في الضلال والطغيان والإنكار على أهل الإسلام.

ألا إن الرموز دليلُ صدق على المعنى المغيَّب في الفؤادِ
وكلُّ العارفين لها رموز وألغاز تدق على الأعاد
ولولا اللغزُ كان القولُ كفرا وأدى العالمين إلى الفسادِ

وكان سيدي علي ابن وفا[2] رضي الله عنه إذا سئل: "لم رَمز القوم كلامَهم؟". يقول: "افهموا هذه المثال؛ تَعْلَمُوا سببَ رمْزِهم، وذلك أن: الدنيا غابة، ونفوس المحجوبين عن حقائق الحق المبين من أهلها كالسباع والوحوش الكواسر، والعارف منهم: كإنسان دخل ليلا إلى تلك الغابة، وهو حسَن القراءة والصوت، فلما

(1) رواه مالك في "الموطأ" 446/2، والبخاري في "صحيحه" 1090/3 ح 2828، ومسلم في "صحيحه" 1490/3 ح 1869، كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(2) سيدي علي بن محمد وفا السكندري المصري الشاذلي المالكي، اشتهر قدره، وعلا في الجوزاء شرفا، كان مستحضرا بجمل من التفسير، وله تفسير ونظم، ديوانه متداوَل بالأيدي، توفي ما بين الخمسين والستين وثمانمائة. قاله المناوي في "تراجم الصوفية" 452/2.

أحس بما فيها من السباع الكواسر؛ اختفى في بطن شجرة، ولم يجهر بالقرآن يتغنى به هناك حذرًا منهم. أليس [20] يدلُّ اختفاؤه عنهم وعدمُ رفع صوته بالقرآن على أنه عليم حكيم، أو هو بضد ذلك؟!. لا والله؛ بل هو عليمٌ حكيم، إذ لو تراأى لهم أو أسمعهم صوته وقراءته؛ لم يهتدوا به ولم يفهموا عنه، وسارعوا إلى تمزيق جسده وأكل لحمه، وكان هو الملقي بنفسه إلى التهلكة، وذلك حرام!. فافهموا هذا المثال"...إلى آخر ما قال.

هذا كله في حق المتمكنين، أما من غلب عليه حالُه؛ فمِنْ أدب أهل الطريق التسليمُ له؛ لأنه يتكلم بلسان الحس لا بلسان العلم الصحيح، كابن الفارَض[1] وأضرابِه رضي الله عنهم.

وفي قصة موسى مع الخضر - عليه السلام - بابُ عذر عظيم لعلماء الشريعة وعلماء الحقيقة. وإن كان الذي وقع من موسى إنما هي لنسيان عن شرط الخضر عليه كما في "صحيح البخاري"[2] عنه: "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جِرابين[3] من العلم، فأما أحدهما؛ فبثثته للناس، وأما الآخر؛ فلو بثثتُه؛ لقُطع مني هذا البلعوم". يعني: مجرى الطعام.

وقولُ ابنِ عباس: "لو أني ذكرتُ لكم ما أعلمُ من تفسير قوله تعالى: ﴿ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾. [الطلاق/12] لرجمتموني، أو لقلتم: إني كافر".

(1) عمر بن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، المنعوت بالشرف، له ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق ظريف، ينحو منحى طريقة الفقراء، وله قصيدة تائية مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم ومنهجهم، وكان رجلًا صالحا كثير الخير، على قدم التجرُّد، جاور بمكة - زادها الله تعالى شرفا - زمانا، وكان حسن الصحبة، محمود العشرة. وكانت ولادته في الرابع من ذي القعدة سنة ست وسبعين وخمسائة (576هـ) بالقاهرة، وتوفي بها يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة اثنين وثلاثين وستمائة (632هـ)، ودفن من الغد بسفح المقطم - رحمه الله تعالى."وفيات الأعيان" 454/3، وذكره الذهبي في "سير أعلام النبلاء" 368/22.

(2) 58/1 ح 120، ويظهر من سياق الكلام أن ثمة سقطا..

(3) هكذا أورده المؤلف - رحمه الله - والذي في "صحيح البخاري": وعاءين.

وقولُ زين العابدين علي بن الحسين[1]:

يــا رُبَّ جَوْهَــرِ علــم لــو أبــوحُ بــه لقــيل لــي: أنــت ممــن يعــبدُ الوثــنا
ولاســتحل رجــالٌ مــسلمون دمــي يــرون أقــبح مــا يأتــونه حــسنا
إنــي لأكــتمُ مِــن علمــي جــواهــرَه كــي لا يَــرى الحــق ذو جهــل فيفتننــا

والمراد بهذا العلم: العلم اللدني. والله أعلم.

(1) سيدنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو الحسين وأبو الحسن، أو: أبو محمد، أو: أبو عبد الله، عليه وعلى آبائه السلام، المدني زين العابدين. قال الزهري: "ما رأيت قرشيا أفضل منه ولا أفقه". وقال مالك: "كان من أهل الفضل". وقال ابن المسيب: "ما رأيت أروع منه". وقال ابن أبي شيبة: "أصح الأسانيد كلها: الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي". ولد سنة ثلاث وثلاثين (33هـ)، ومات سنة اثنتين وتسعين، أو: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: تسع وتسعين، أو: سنة مائة. انظر "سير أعلام النبلاء" 386/4، و"حلية الأولياء" 3/ 135. قلت: وأبياته هذه التي أوردها المؤلف - رحمة الله عليه - اقتبسها الإمام الحلاج في إحدى قصائده العرفانية.

المطلب الرابع

[في أن ما نُسب إليهم مما يُعارض ظاهرَ الشريعة وما عليه الجمهور؛ مدسوسٌ عليهم وبهتان وكذب وزور]

اعلم أن جميعَ ما عارض من كلامهم الشريعةَ فهو مدسوس؛ دسه الزنادقة عليهم، وقد دَسوا على الحاتمي[1] عقائدَ زائفةً، ومسائل خارقة لإجماع المسلمين.

ودسوا تحت وسادة الإمام أحمد في مرض موته مثل ذلك، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد؛ لافتتنوا بذلك.

وكذلك دسوا على مجد الدين [21] كتابا في الرد على أبي حنيفة وتكفيره،

---

(1) قال الشعراني في "مختصر الفتوحات": "وقد توقفتُ حال الاختصار في مواضع كثيرة منها لم يظهر لي موافقتها لما عليه أهل السنة والجماعة فحذفتها من هذا المختصر، وربما سهوت فتتبعت ما في الكتاب كما وقع للبيضاوي مع الزمخشري، ثم لم أزل كذلك أظن أن المواضع التي حذفتُ ثابتةٌ عن الشيخ محيي الدين، حتى قدم علينا الأخ العالم الشريف شمس الدين السيد محمد ابن السيد أبي الطيب المدني المتوفى سنة خمس وخمسين وتسعمائة (955 هـ)، فذاكرته في ذلك فأخرج إليَّ نسخةً من الفتوحات التي قابلَها على النسخة التي عليها خط الشيخ محيي الدين نفسِه بقونية، فلم أر فيها شيئا مما توقفتُ فيه وحذفته؛ فعلمت أن النسخ التي في مصر الآن كلَّها كُتِبت من النسخة التي دسوا على الشيخ فيها ما يخالف عقائد أهل السنة والجماعة، كما وقع له ذلك في كتاب "الفصوص" وغيرِه. وقد أطلعني الأخُ الصالح السيد الشريف المدني على صورة ما رآه مكتوبا بخط الشيخ محيي الدين وغيره على النسخة التي وقفها الشيخ في قونية وهو هذا: "وَقَفَ محمدُ بن علي بن العربي الطائي هذا الكتابَ على جميع المسلمين". وفي آخر: "وقد تم هذا الكتاب على يد مُنشئه وهو النسخة الثانية منه، وكان الفراغ منه بكرة يوم الأربعاء الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وستمائة (636 هـ)وكتبه منشئه". قال السيد: "وهذه النسخة في سبعة وثلاثين مجلدا وفيها زيادات على النسخة الأولى التي دس الملحدون فيها العقائد الشنيعة. قال: وفي ظهره ترجمة اسم الكتاب بخطه، وتحته بخط الشيخ صدر الدين القونوي: إنشاء مولانا شيخ الإسلام وصفوة الأنام محيي الدين بن عربي، وتحته: ملك هذه المجلدة لمحمد بن إسحاق القونوي. وتحته أيضا بخط الشيخ صدر الدين: رواية محمد بن أبي بكر بن ميذار التبريزي سماعا منه، انتقل إلى خادمه وربيب لطفه محمد بن إسحاق سنة سبع وثلاثين وستمائة (637 هـ)، وأورد ما نقله السيد من الكتاب السماع في آخر المجلدات".

ودفعوه إلى أبي بكر الخياط، فأرسل يلومه على ذلك، فكتب إليه: "إن كان بكفك هذا الكتاب فأحرقه، فإنه افتراء من الأعداء، وأنا من أعظم المعتقدين في أبي حنيفة، وذكرتُ مناقبَه في مجلد".

وكذلك دسوا على الغزالي عدة مسائل في "الإحياء"، وظفر عياض بنسخة من تلك النسخ؛ فأمر بإحراقها.

وكذلك دسوا على سيدي عبد الوهاب الشَعْرَاني في "البحر المورود" جملةً من العقائد الزائفة، وأشاعوها في مصر ومكة نحو ثلاث سنين، وهو بريء منها كما بيَّن ذلك في خطبة الكتاب لمَّا غَيَّرَها، وكان العلماء كتبوه عليه وأجازوه، فما سكنت الفتنة حتى أرسل إليهم النسخة التي عليها خطوطهم.

ونسبوا لمالك كتاب "السر"[1] وهو منكَر؛ قال ابن فرحون: "وقفتُ عليه، فيه من الغض من الصحابة والقدح في دينهم، خصوصا عثمان رضي الله عنه، ومن الحط على العلماء والقدح فيهم، ونسبتهم إلى قلة الدين، مع إجماع أهل العلم على فضلهم؛ خصوصا: أشهب، ما لا أستبيح ذكره، وورع مالك ودينُه ينافي ما اشتمل عليه كتاب "السر"، وهو جزء لطيف، نحو ثلاثين ورقة".اهـ.

إذا تقرر هذا؛ فيحتمل أن الحسدة دسوا على الشيخ محمد النقشبندي تلك المقالات كما دسوا على غير واحد.

[الشيخ مظهر النقشبندي ينكر ما نسب إليه]:

وقد كتبتها في ورقة وأعطيتها لبعض الحجاج الثقات، فوصل إليه وسأله عنها؛ فأنكرها إنكارا كليا، وأعطاه بذلك خطه. وأخبرني آخر أنه: سأله عنها؛ فقال له: "العارفون لا يفهم كلامهم إلا من هو منهم". أو كلاما هذا معناه. والله يلهمنا رشدنا بمنه وكرمه آمين.

---

(1) قال القاضي عياض في "ترتيب المدارك" 122/1: "وقد نسب إلى مالك - أيضاً - كتاب يسمى "كتاب السر" من رواية ابن القاسم عنه، حدثنا به بالإجازة أبو محمد بن عتّاب، عن أبي عمر ابن الحذاء، عن أبيه أبو عبد الله، عن أبي القاسم الحسين بن عبد الله بن أحمد العثماني، عن محمد بن عبد العزيز بن الوزير بن ضافي الحراني يعرف بالجروي، عن الحارث بن مسكين، عن ابن القاسم عن مالك".

المطلب الخامس

[في أن تسليطَ الأعداء على الأولياء، سنةُ الله في الأنبياء والأحباء والأصفياء]

اعلم أن تسليط الأعداء على أولياء الله سنةُ الله في أحبائه، نقل السيوطي في كتابه "التحدُّث بالنعمة"[(1)] ما نصه: "ومما أنعم الله به عليَّ: أن أقام لي عدواً يؤذيني، ويمزق في عرضي ليكون لي أسوةٌ بالأنبياء والأولياء، قال رسول الله صلى [22] الله عليه وسلم: "أشد الناس بلاءً: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الصالحون". رواه الحاكم في "مستدركه"[(2)].

"وأوحى الله إلى عيسى عليه السلام: لا يفقد نبي حرمته إلا في بلده".

"وروى البيهقي[(3)] أن كعب الأحبار قال لأبي موسى الخولاني: كيف تجد قومك لك؟. قال: مكرمين مطيعين. قال: ما صدقتني التوراة إذن، وأيم الله؛ ما كان رجل حكيم في قوم قط إلا بغوا عليه وحسدوه".

"وأخرج ابن عساكر[(4)] مرفوعا: أزهدُ الناس في الأنبياء وأشدُّهم عليهم: الأقربون. وذلك فيما أنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾ [الشعراء/214]".

"وكان أبو الدرداء يقول[(5)]: أزهد الناس في العالم: أهله وجيرانه، إن كان في حسَبه شيء؛ عيَّروه، وإن كان عمل في عمره ذنبا؛ عيروه".اهـ.

قال السيوطي[(6)]: "وما كان كبيرٌ في عصر قط إلا كان له عدوٌّ من السفلة، إذ

---

(1) ص35.

(2) 1/ 99 ، والحديث رواه بألفاظ متقاربة: الترمذي في "سننه" 601/4 ح 2398 وقال عقبه: "وفي الباب عن أبي هريرة وأخت حذيفة بن اليمان".

(3) لم أقف عليه في أحد من كتب البيهقي المعروفة، لا "السنن الكبرى" ولا "شعب الإيمان" ولا "دلائل النبوة"...ولا غيرها.

(4) في "تاريخ دمشق" 291/37 عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(5) "تاريخ دمشق" 203/27.

(6) "التحدث بالنعمة" ص26.

الأشراف لم تزل تُبتلى بالأطراف، فكان لآدم إبليس، ولنوح حام وغيره، ولداود جالوت وأضرابه، ولسليمان صخر، ولعيسى في حياته الأولى بخت نصر، وفي الثانية الدجال، ولإبراهيم النمرود، ولموسى فرعون...وهكذا إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ فكان له أبو جهل".

"وكان لابن عمر عدو معيّن به كلما مر عليه، ونسبوا عبد الله بن الزبير إلى الرياء والنفاق في صلاته، فصبوا على رأسه ماءً حميمًا فزلع(1) وجهه ورأسه وهو لا يشعر، فلما سلم من صلاته قال: ما ساءني؟. فذكروا له القصة، فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. ومكث زمانا يتألم من رأسه ووجهه".

"وكان لابن عباس نافع بن الأزرق، وكان يؤذيه أشد الأذى ويقول: إنه يفسر القرآن بغير علم. وكان لسعد بن أبي وقاص جهلة من جهال الكوفة يؤذونه مع أنه مشهود له بالجنة، وشكوه إلى عمر بن الخطاب، وقال: إنه لا يحسن أن يصلي".

"ولا يخفى ما قاساه أبو حنيفة مع الخلفاء، وما قاساه مالك، واستخفاؤه خمسا وعشرين سنة لا يخرج لجمعة ولا جماعة، وما قاساه الشافعي من أهل العراق ومن أهل مصر، وما قاساه أحمد من الضرب والحبس، وما قاساه البخاري حين [23] أخرجوه من بخارى إلى خراسان".

"ونقل الثقاتُ أنهم نفَوْا أبا يزيد سبعَ مرات من بسطام بواسطة جماعة من علمائها، وشيَّعوا ذا النون من مصر إلى بغداد مقيدا مغلولا، وسافر معه أهلُ مصر يشهدون عليه بالزندقة، ورموا سحنون المحب - أحد رجال القشيري – بالعظائم، ورشوا امرأة من البغايا فادعت عليه أنه يأتيها هو وأصحابه، واختفى بسبب ذلك سنة".

"وأخرجوا التستري من بلده إلى البصرة ونسبوه إلى قبائح وكفروه، مع إمامته وجلالته، ولم يزل بالبصرة إلى أن مات بها، ورموا أبا سعيد الخراز بالعظائم، وأفتى العلماء بكفره بألفاظ وجدوها في كتبه، وشهدوا على الجنيد مرارا بالكفر حين كان يتكلم في علم التوحيد على رؤوس الأشهاد، فصار يقرره في قعر بيته إلى أن مات، وكان من أشد المنكرين عليه وعلى رويم وسحنون وابن عطاء ومشايخ العراق: ابن

---

(1) قال في "لسان العرب" 142/8: "زلع جلده بالنار يزلعه زلعا فتزلع: أحرقه".

دانيال[1]، كان يحط عليهم أشد الحط، وكان إذا سمع أحدا يذكرهم؛ تغيَّظ وتغير لونه".

"وأخرجوا محمد بن الفضل البلخي[2] من بلخ؛ لكون مذهبه كان مذهب أهل الحديث؛ من إجرائه آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها بلا تأويل، والإيمان بها على علم الله فيها، ولما أرادوا إخراجه؛ قال: لا أخرج إلا إن جعلتم في عنقي حبلا، ومررتم بي في أسواق البلاد، وقلتم: هذا مبتدع نريد أن نخرجه من بلدنا. ففعلوا ذلك وأخرجوه، فالتفت إليهم وقال: يا أهل بلخ؛ نزع الله من قلوبكم معرفته. قال الأشياخ: فلم يخرج بعد ذلك من بلخ صوفِيٌّ أبدا، مع أنها كانت أكثر بلاد الله صوفيةً".

"وأخرجوا يوسف بن الحسين الرازي[3]، وقام عليه زهادُ الري وهو فيها. وأخرجوا أبا عثمان المغربي[4] من مكة مع كثرة مجاهدته وتمام علمه وحاله،

---

(1) محمد بن دانيال بن يوسف المراغي الموصلي الحكيم، شمس الدين الكحال، الفاضل الأديب، تعانى الآداب، ففاق في النظم، وسلك طريق ابن حجاج ومزجها بطريقة متأخري المصريين. يأتي بأشياء مخترَعة، وصنف "طيف الخيال" الشاهد له بالمهارة في الفن، وله أرجوزة سماها: "عقود النظام فيمن ولى مصر من الحكام "، وكان كثير النوادر والرواية. انظر: "الدرر الكامنة" 175/5.

(2) محمد بن الفضل بن العباس بن حفص، وكنيته: أبو عبد الله، سكن سمرقند، وأصله من بلخ، ولكنه أخرج منها بسبب المذهب، فدخل سمرقند ونزلها، وبها مات سنة تسع عشرة وثلاثمائة (319 هـ). انظر "طبقات الصوفية" ص171.

(3) أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي الصوفي، أحد المشايخ الكبار، صحب ذا النون المصري، وروى عن الإمام أحمد بن حنبل ودحيم وطائفة، قال القشيري: "كان نسيج وحده في إسقاط التصنع". وقال يوسف بن الحسين: "ما صحبني متكبر إلا اعتراني داؤه؛ لأنه يتكبر، فإذا تكبر غضبتُ، فإذا غضبت أداني الغضب إلى الكبر". توفي - رحمه الله - سنة أربع وثلاثمائة (304 هـ). انظر "العبر في أخبار من غبر" ص110.

(4) سعيد بن لاَم، أبو عثمان المغربي، أصله من بلاد القيروان، ودخل الشام، وصحب أبا الخير الأقطع، وجاور بمكة مدة سنين. وكان لا يظهر في المواسم، وكانت له كرامات، وقد أثنى عليه أبو سليمان الخطابي وغيره، وروى له أحوالا صالحة رحمه الله تعالى. قال الحاكم: "أنا ممّن خرج من مكّة متحسرًا عَلَى رؤيته". وتوفيّ سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة (373 هـ).انظر "الوافي بالوفيات" 207/1.

وضربوه ضربا مبرحا، وطافوا به في الأسواق على جمل، فأقام ببغداد إلى أن مات بها".

"وشهدوا على الشبلي بالكفر مرارا مع تمام علمه وكثرة مجاهدته، وأدخله أصحابه المارستان[1] ليرجع [24] الناس عنه مدة طويلة. وأخرجوا أبا بكر النابلسي[2] مع فضله وكثرة علمه واستقامته، في طريقه من الغرب إلى مصر، وشهدوا عليه بالزندقة عند سلطان مصر، فأمر بسلخه منكوسا، فصار يقرأ القرآن وهم يسلخونه بتدبر وخشوع حتى قطع قلوب الناس وكادوا أن يُفتنوا به".

"وكذا سلخوا النَّسِيمي بحلب، وعملوا له حيلة حين كان يقطعهم بالحجج، وذلك أنهم كتبوا سورة الإخلاص، وأرشوا مَن يخيط النعال، وقالوا: هذه ورقة محبة وقبول فضعها لنا في أطباق النعل، ثم أخذوا ذلك النعل وأهدوه للشيخ من طريق بعيدة، فلبسه وهو لا يشعر، ثم طلعوا لنائب حلب، وقالوا له: بلَغنا من طريق صحيحة أن النسيمي كتب: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ [الإخلاص/1] وجعلها في طباق نعله، وإن لم تصدقنا فأرسل وراءه وانظر ذلك، ففعل، فاستخرجوا الورقة، فسلَّم الشيخ لله تعالى ولم يجب عن نفسه، وعَلِم أنه لا بدّ أن يُقْتَل على تلك الصورة. فأخبر بعضُ تلامذته أنه صار ينشد موشحات في التوحيد وهم يسلخونه حتى عمل خمسمائة بيت، وكان ينظر إلى الذي يسلخه ويتبسم".

"ورموا أبا مَدْيَن بالزندقة، وأخرجوه من بجاية إلى تلمسان فمات بها. وأخرجوا الشاذلي من المغرب إلى مصر، وشهدوا عليه بالزندقة، وسلمه الله من كيدهم. ورَمَوْا عز الدين بالكفر، وعقدوا له مجلسا في كلمة قالها في عقيدته، وحرَّشوا السلطان عليه، ثم حصل له اللطف".

"ورموا السُبكي بالكفر، وشهدوا عليه أنه يقول بإباحة الخمر واللواط، وأنه

---

(1) والمارَسْتانُ بفتح الراءِ: دارُ المَرْضَى، مُعَرَّبٌ. انظر "القاموس المحيط" 741/1.

(2) أبو بكر النابلسي: محمد بن أحمد بن سهل الرملي الشهيد، سلخه صاحب مصر المعز لدين الله. وكان قد قال: "لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم سهما ورميت بني عبيد تسعةً، فبلغت القائد جوهر، فلما قرره؛ اعترف وأغلظ لهم، فقتلوه". وكان عابدا صالحا زاهدا، قوّالا بالحق. توفي – رحمه الله – سنة ثلاثة وستين وثلاثمائة (363هـ).انظر "العبر" ص153.

يلبس في الليل الغيار والزنار، وأتوا به مغلولا مقيدا من الشام إلى مصر، وخرج الإسنوي فتلقاه من الطريق وحكم بحقن دمه. وأنكروا على الجعبري والحباكي ومنعوهما أن يجلسا على كرسي الوعظ. راجع مقدمة كتاب "الطبقات".

[سبب الإنكار على أهل الله كلامهم، وأن ذلك من عدم الإنصاف]:

هذا؛ وفي الباب الخامس والسبعين ومائتين من "الفتوحات"[1]: "يَجِب على كل عارف سترُ ما تعطف الحق تعالى به على قلبه من علوم الأسرار، ولا يظهره للعامة فيقع عليه [25] النكير، ومن هنا قال أبو القاسم الجنيد سيد هذه الطائفة: لا يبلغ أحدٌ دُرَج الحقيقة حتى يشهد فيه ألفُ صديق بأنه زنديق. وذلك لأنه إذا نطق بعلوم الأسرار؛ لا يسع الصدِّيقين إلا أن ينكروا عليه، غيرة على ظاهر الشريعة المطهرة".

قال الشيخ محيي الدين[2]: "ولقد وقع لنا وللعارفين أمورٌ ومِحنٌ بواسطة إظهارنا المعارف والأسرار، وشهدوا فينا بالزندقة، وآذونا أشدَّ الأذى، وصرنا كرسول كذبه قومه وما آمن معه إلا قليل، وأعدى عدوٍ لنا: المقلدون لأفكارهم. وأما الفلاسفة فيقولون عنا: هؤلاء قوم أهلُ هَوَس، قد فسدت خزانة خيالهم فضعفت عقولهم، وياليتهم إذا لم يصدقونا؛ جعلونا كأهل الكتاب: لا يكذبونا فيما لم يخالف شرعنا، مع أنا لا يضرنا - بحمد الله - إنكارهم علينا، لجهلهم!".

وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة[3]: "إنما كان الناسُ يُنكرون على أهل الله تعالى علومَهم؛ لأنها جاءت أصحابَها من طريق غريبة غيرِ مألوفة، وهي: طريق الكشف، وأكثر علوم الناس إنما أتتهم من طريق الفكر، فلذلك كانوا ينكرون كل ما جاءهم من غير هذا الطريق. وما كلُّ أحد يقدر على جلاء مرآة قلبه بالمجاهدة والرياضة حتى يصير يفهم كلام[4] أهل الله ويدخل دائرتهم، ولكن لله في ذلك حِكم وأسرار".

---

(1) 252/4.

(2) 252/4.

(3) 590/7.

(4) في الأصل: كل أهل الله.

وقال في الباب الثالث والسبعين من الجواب السادس والخمسين[1]: "وقد وقع لنا التكفير من علماء عصرنا لمَّا صحَّحْنا بعض أحاديث قالوا بضعفها، قال: ونحن نعذرهم في ذلك؛ لأنه ما قام عندهم دليل على صدق كل واحد من هذه الطائفة، وهم مخاطَبون بغلبة الظن، ولو أنهم وفوا النظر معهم منه؛ لسلموا لهم حالهم كما يسلم الشافعي للحنفي حُكمَه، ولا ينقض حكمَ من حكم به من الحكام. ومما اعتذروا به قولهم: لو صُدِّق القوم في كل ما يدعونه من نحو ذلك؛ لدخل الخلل في الشريعة؛ لعدم العصمة فيهم؛ فلذلك سددنا الباب وقلنا: إن الصادق من هؤلاء لا يضره سدُّنا هذا الباب. ونِعم ما فعلوه؛ نحن نسلم لهم ذلك، ونصوِّبهم فيه، ونحكم لهم بالأجر التام على ذلك".

"ولكن إذا لم يقطعوا بأن ذلك [26] الولي مخطئ في مخالفتهم، فإن قطعوا بخطئه؛ فلا عذرَ لهم، فإن أقل الأحوال: أن يُنزلوا الأولياء المذكورين منزلة أهل الكتاب، لا يصدقونهم ولا يكذبونهم".

وقال في أواخر الباب الثالث والستين وثلاثمائة[2]: "مِن عَدَمِ الإنصاف من الناس: إيمانُهم بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل، وعدمُ إيمانهم بها إذا أتى بها أحد من خواص أتباعهم من العلماء والأولياء، فإن البحر واحد. وياليتهم إذ لم يؤمنوا بها إذا جاءت على يد الأولياء؛ يأخذونها على وجه الحكاية، فإن الأنبياء كما جاءوا بما تحيله العقول وآمن الناس به، كذلك ينبغي الإيمانُ به إذا جاء على لسان الأولياء. فكثيرا ما تهبُّ نفحة من نفحات الأنبياء على قلوب أتباعهم تؤديهم إلى الموافقة في الألفاظ التي جاءت بها الرسل من صفات الباري جل وعلا، فكما سلمنا في الأصل؛ فكذلك نسلم في الفرع، بجامع الموافقة. فإياك والكفران، فإنه خسران!".

وقال في الباب الأحد وثلاثمائة[3]: "كثيرا ما يرد على أهل الكشف من الأولياء أُمور لا تقبلها العقول وترقى بها، وإذا قالها النبي صلى الله عليه وسلم؛

---

(1) 93/4.

(2) 25/6.

(3) 12/5.

قُبلت إيمانا وتأويلا، وهذا من عدم الإنصاف؛ فإن الأولياء إذا عملوا بما شرع لهم؛ هبَّت عليهم من تلك الحضرة نفحات جودٍ إلهي تكشف لهم عما شاء الله من أعيان تلك الأمور الإلهية التي قُبلت من الأنبياء. فإذا جاء بها وليٌّ؛ كفَّروه، مع أنهم يؤمنون بها عينِها إذا جاء بها النبيُّ، فما أعمى بصيرة هؤلاء المكفرين!. وأقل الأمور أن يقولوا له: إن كان ما تقول حقا وأنك خوطبت به وكُشف لك عنه؛ فتأويله: كذا وكذا، إن كان ذلك من أهل التأويل، وإن كان ظاهريا؛ يقول: قد ورد في الخبر النبوي ما يشبه هذا، فإن ذلك ليس هو من شرط النبوءة، ولا حجرَه الشارع في كتاب ولا سنة".

[الجواب عن مقالات الشيخ مُظْهِر النقشبندي]

إذا تقرر هذا؛ نقول في الجواب عن تلك المقالات بتقدير صدورها منه في ذلك التأليف الموضوع من المناقب والكرامات:

قوله: "فذكر في مناقب نفسه في موضع أن والده شهد له ببلوغ مقامات الأنبياء، بل أثبت له التَّرقي فوقها [27]".

[حقيقة مقام الأولياء بالنسبة لمقام الأنبياء]:

هذا كقول أبي يزيد البسطامي رضي الله عنه: "خُضْنَا بحورا وقفت الأنبياء بسواحلها". وقد سُئل عنه مولانا عبد العزيز الدباغ، سأله تلميذه سيدي أحمد بن مبارك[1] - رضي الله عنهما - كما في "الإبريز"[2]، فقال رضي الله عنه: "النبوءة خَطْرُها جسيم، وقدْرها عظيم، وصاحبها كريم، ذو مقام رفيع، وجناب منيع، لا يبلغ أحدٌ مقداره، ولا يشق سائر غباره، فهيهات أن يصِل الولي إلى أرحالها، وشتان ما بينه وبين رجالها".

"ولكنه قد عُلم أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء وإمام المرسلين، وخِيرة خلق الله أجمعين، وقد يُعِيرُ صلى الله عليه وسلم بعض أثوابه لبعض الكاملين من أمته الشريفة، فإذا ألبسه؛ حصل ما قال أبو يزيد، وذلك - في الحقيقة - منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الخائض لتلك البحور، والمقدَّم على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام".

قال رضي الله عنه: "وقد غلط بعض الأولياء من أهل الفتح، فظن أن الولي

---

(1) الشيخ أبو العباس سيدي أحمد بن المبارك اللمطي السجلماسي ولد حدودَ تسعين وألف (1090 هـ) كان متبحرا في كثير من العلوم النقلية والعقلية؛ كالمنطق والحديث والتفسير والأصول والقراآت، حتى صرح لنفسه ببلوغ درجة الاجتهاد المطلق، وكان كثير التنويه بقدر سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، شديد التعظيم والمحبة فيه...كما كان له اعتناء كبير ومحبة في شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ. توفي - رحمه الله - شهيدا بالطاعون عام ستة وخمسين ومائة وألف (1156هـ)، ودفن قرب شيخه سيدي عبد العزيز الدباغ خارج باب الفتوح. انظر ترجمته في "نشر المثاني" للقادري من "الموسوعة المغربية" 2133/6.

(2) ص 222.

العارف الكبير يبلغ مقام النبي في المعرفة وإن كان في الدرجة لا يصله".

قال رضي الله عنه: "وهذا الذي ظنوه غلط مخالِف لما في نفس الأمر، والصواب: أن الوليَّ ولو بلغ في المعرفة ما بلغ؛ لا يصل إلى ما ذكره، ولا يقرب منه أصلا. والله أعلم".اهـ كلام "الإبريز".

فكذلك يقال هنا؛ الذي شُهد له ببلوغ مقامات الأنبياء، بل أثبت له الترقي فوقها - في الحقيقة - هو النبي صلى الله عليه وسلم.

قلت: وفي "شرح الفاسي" لنظم السيوطي المسمى بـ: "التثبيت": "ولا يبلغ الصديق درجة النبوءة ولو ترقى في الأحوال والمقامات ما عسى أن يبلغ، لأن الأنبياء معصومون مأمونون من خوف سوء الخاتمة، مُكْرَمون بالوحي وملاقاة الملائكة، مأمورون من قِبَل الله تعالى بتبليغ الأحكام وإرشاد الأنام، وكلُّ وصف من هذه الأوصاف بانفراده يقتضي فضلَهم على من سواهم من الأولياء، فكيف عند اجتماعها لهم؟!. والاصطفاء والاجتباء يحصل من الله، لا بسبب من الأسباب [28]، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم".

قال الشيخ سعد الدين التفتازاني: "ولا يبلغ وليٌّ درجة الأنبياء؛ لما للأنبياء من الكمالات التي ليست للأولياء، بعد الاتصاف بكمالات الأولياء، فما نُقل عن بعض الكرامية[1] من جواز كون الولي أفضل من النبي؛ كفرٌ وضلال".

وفي رسالة القشيري أثناء كلام[2]: "فأما رتبةُ الأولياء؛ فلا تبلغ رتبةَ الأنبياء صلوات الله عليهم؛ للإجماع المنعقد على ذلك. وهذا أبو يزيد البسطامي - رحمه

---

(1) الكرّامية: أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، كان ممن يُثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه، وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشر فرقة. وأصولها ستة: العابدية والتونية، والزرينية والإسحاقية، والواحدية. وأقربهم: الهيصمية. ولكل واحدة منهم رأي. ومذهب صاحب المقالة: أن معبوده على العرش استقرارا، وعلى أنه بجهة فوق ذاتا، وأطلق عليه اسم "الجوهر"، فقال في كتابه المسمى "عذاب القبر": "إنه أحديُّ الذات، أَحَدي الجوهر، وإنه مماس للعرش من الصفحة العليا". وجوز الانتقال والتحول والنزول. ومنهم من قال: "إنه على بعض أجزاء العرش". وقال بعضهم: "امتلأ العرش به". وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوق، وأنه محاذ للعرش. تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. راجع "الملل والنحل" 108/1.

(2) ص 198.

الله - سئل عن هذه المسألة فقال: مَثل ما حصل للأنبياء - عليهم السلام - كمثل زِقٍّ[1] فيه عسل تَرْشَحُ فيه قطرة، فتلك القطرة [مثل][2] ما لجميع الأولياء[3]، وما في الظرف مثل ما لنبينا صلى الله عليه وسلم".اهـ.

[جواز بلوغ الولي درجة الاجتهاد المطلق]:

قوله: "وفي موضع آخر أنه شهد له ببلوغ رتبة الاجتهاد". أي: المطلق.

وهذا ليس بمحال، ففي "الإبريز"[4]: "واعلم - وفَّقك الله - أن الولي المفتوحَ عليه: يعرفُ الحق والصواب، ولا يتقيد بمذهب من المذاهب. ولو تعطلت المذاهب بأسرها؛ لقدر على إحياء الشريعة، وكيف لا وهو الذي لا يغيب عنه النبي صلى الله عليه وسلم طرفةَ عين، ولا يخرج عن مشاهدة الحق - جل جلاله - لحظة؟. وحينئذ؛ فهو العارف بمراد النبي صلى الله عليه وسلم، وبمراد الحق جل جلاله في أحكامه التكليفية وغيرها. وإذا كان كذلك؛ فهو حجة على غيره، وليس غيرُه حجةً عليه؛ لأنه أقرب إلى الله من غير المفتوح عليه".اهـ انظر بقيته.

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني في "الميزان"[5]: "قلت مرة لسيدي علي الخواص: كيف صحَّ تقليدُ الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني للإمام أحمد بن حنبل، وسيدي محمد الحنفي[6] الشاذلي للإمام أبي حنيفة، مع اشتهارهما بالقطبانية

---

(1) الزِّقُّ : رَمْيُ الطائِرِ بِذَرْقِهِ وإطْعامُهُ فَرْخَهُ كالزَّقْزَقَةِ فيهما، وبالضم: الخَمْرُ ج: زَقَقَةٌ مُحرَّكَةً. وبالكسر : السِّقاءُ أو جِلْدٌ يُجَزُّ ولا يُنْتَفُ للشَّرابِ وغَيْرِه، ج: أزْقاقٌ وزِقاقٌ وزُقَّانٌ، كَذِئابٍ وذُؤْبانٍ. انظر "القاموس المحيط" 1150/2.

(2) ما بين معكوفتين ساقط من الأصل المعتمد، والتكملة من "الرسالة القشيرية".

(3) الذي وقع في كلام المؤلف رضوان الله عليه: "الأنبياء" بدل "الأولياء"، وهو سبق القلم، إذ المعنى لا يستقيم إلا بما أثبته نقلا عن مطبوعات "الرسالة".

(4) ص377.

(5) ص77.

(6) قال القطب الشعراني في "الطبقات الكبرى" ص 405 وما بعدها: "كان - رضي الله عنه - من أجلاء مشايخ مصر، وسادات العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة، والأفعال الفاخرة، والأحوال الخارقة، والمقامات السنية، والهمم العلية، صاحب الفتح المؤنق، والكشف المخرق، والتصدر في مواطن القدس، والرقي في معارج المعارف، والتعالي في مراقي الحقائق، كان له الباع الطويل في التصريف النافذ واليد البيضاء في أحكام الولاية، والقدم
=

الكبرى، وصاحب هذا المقام لا يكون مقلدا إلا للشارع وحده؟!. فقال رضي الله عنه: قد يكون ذلك منهما قبل بلوغهما إلى مقام الكمال، ثم لما بلغا؛ استصحب الناسُ ذلك اللقب في حقهما مع خروجهما عن التقليد".

وفي شرح "التثبيت": "إن تاج الدين قاضي القضاة أبا نصر عبد الوهاب - صاحب "جمع [29] الجوامع" في الأصول، المتوفى عشية الثلاثاء سابع ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وسبعمائة - كتب ورقةً إلى نائب الشام يقول فيها: وأنا اليومَ مجتهدُ الدنيا على الإطلاق، ولا يقدر أحد أن يرد عليَّ في هذه الكلمة. قال الجلال السيوطي: وهو مقبول فيما قال عن نفسه".

[النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبلة العوالم ومحراب الكائنات]:

وقوله: "وفي موضع آخر أنه: وصل إلى مقام صار فيه قبلة لجميع العالم من العُلويين والسُفليين، من غائب وحاضر، وحي وميت، وشقي وسعيد".

هذا من نمط ما ذكره أولا، فهو في الحقيقة منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي وصل إلى مقام صار فيه قبلة لجميع العالم. ولا إشكال في ذلك.

يـــا قبلتـــي فـــي صـــلاتي إذا وقفـــتُ أصـــلي[1]

وفي "الإبريز" قال رضي الله عنه[2]: "وسمعتها - يعني: مولاتَنا فاطمة رضي الله عنها- تصلي على أبيها صلى الله عليه وسلم ليلةً من الليالي وهي تقول: اللهم صل على مَن روحُه محراب[3] الأرواح والملائكة والكون، اللهم صل على مَن هو

=

الراسخ في درجات النهاية، والطود السامي في الثبات والتمكين، وهو أحد من ملك أسراره، وقهر أحواله، وغلب على أمره، وهو أحد أركان هذه الطريق، وصدور أوتادها، وأكابر أئمتها، وأعيان علمائها علماً، وعملا، وحالا، ومقالا، وزهداً وتحقيقاً، ومهابة"...الخ ترجمته الحافلة منه.

(1) هذا البيت للإمام أبي مديَن التلمساني قدس سره.

(2) ص212.

(3) هو من جنس قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما جُعل الإمام ليؤتم به"، والمحراب هو: ما يُتوجه إليه، ويُتبَع، ويُستَرشَد، ولا شك أن مقتضى كون النبي صلى الله عليه وسلم رسولا للعالمين، بما فيهم الإنس والجن والملائكة وغير ذلك، حسبما قرره علماء التوحيد، وأنه نبي الأنبياء، ورسول الرسل، وكلهم له تبع، وبالضرورة أتباعهم له تبع، حسبما هو مقرر في

=

إمام الأنبياء والمرسلين، اللهم صل على مَن هو إمام أهل الجنة وعباد الله المؤمنين. وكانت تصلي عليه بالعربية، لكن لا بهذا اللفظ، وإنما استخرجت معناه. والله تعالى أعلم".

[تصرف الأولياء في الكون من تمكين الله لهم]:

وقوله: "وأنه صار عالما بهم، سميعا بهم، بصيرا بهم، محييا مميتا، ومعطيا ومانعا، ورازقا وضارا ونافعا، وأنه صار يسمعهم ويبصرهم، ويعلم بهم في آن واحد بأحوالهم المتناسبة والمتضادة، وأنه علم الأشياء قبل الأشياء، وأن الحال استمر به نحو نصف ساعة".

هذا وإن كانت مِن أوصاف الربوبية؛ فقد يتجلى للولي نورُه، ويُكشف له عنه فينسبها لنفسه[1]، قال الشيخ سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه: "لو كشف عن نور الولي؛ لعُبِد من دون الله".

وثبت عن الشيخ أبي يزيد - رضي الله عنه – أنه: لما تجلى له هذا النور؛ [30] قال: "سبحاني ما أعظم شأني".

وفي "الإبريز"[2]: "وسمعته - رضي الله عنه - يقول: إن الأولياء يفعلون أمورا عظيمة - أي: كإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى - سخَّرهُم الحق - سبحانه - فيها حتى يتعجب المتعجب من تلك الأفعال. وإذا نظرت بعين الحقيقة؛ وجدت الفاعل هو الحق سبحانه"..

إلى أن قال بعد كلام: "كل ما أُعطِيه سليمان في مُلكه عليه السلام، وما سُخر لداود، وأُكرم به عيسى عليهما السلام؛ أعطاه الله - وزيادةً - لأهل التصرف من أمة

=

محله، من مقتضى ذلك: أنه مقتداهم، وطريقهم إلى الله تعالى، فلولا هديُه، والإيمان به، لم يهتدوا، ولم يرشُدوا، ولم يصلوا إلى الله تعالى، وهو معنى المحراب هنا. والله تعالى أعلم. حمزة.

(1) بمعنى أنه: يصل إلى مقام الفناء، فيحصل له الجمع دون الفرْق، وهو من مقامات الجذب، إذ يرى أن لا فاعل، بل ولا موجود في الكون إلا الله تعالى، وأن الكل تجل من تجليات الحق سبحانه، فينطق على لسان الحق ما يظن الظان أنه يتكلم عن نفسه. والله أعلم. حمزة.

(2) ص355.

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الله سخَّر لهم الجن والإنس والشياطين، والريح والملائكة، بل وجميعَ ما في العوالم بأسرها، ومكَّنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، ولكنه أمرٌ غيْبِي مستور، لا يظهر للخلق؛ لئلا ينقطعوا إليهم فينسون ربهم عز وجل. وإنما حصل ذلك لأهل التصرف؛ ببركة النبي صلى الله عليه وسلم، فكل ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم...قال: ثم ذكر أسرارا لا تطيقها العقول".اهـ.

وفي شرح الشيخ زُنَيْبَر[1] عند قول البوصيري في "الهمزية":

صان أسرارَه الختامُ، فلا الفضْـ ـضُ مُلمٌّ به ولا الإفضاءُ

في التشبيه الثاني: "قال بعض المحققين من أئمة الكلام: كل ما وقع معجزةً للنبي جاز أن يكون كرامة للولي، فأحرى ما وقع إرهاصا وإكراما. وقد قال أئمتنا رضي الله عنهم: إن الكرامات باقية في هذه الأمة على الدوام، وهي معجزة لنبيهم".اهـ انظر بقيته، وهو قول البوصيري: "والكرامات منهمُ معجزات"...الخ انظر شراحه.

وفي "الإبريز"[2] - أيضا - عن مولانا عبد العزيز: "ولقد رأيتُ وليا بلغ مبلغا عظيما، وهو أنه: يشاهد المخلوقات الناطقة والصامتة، والوحوش والحشرات، والسماوات ونجومها، والأرَضين وما فيها، وكَوْرة العالم بأسرها تستمد منه، ويسمع أصواتها وكلامها في لحظة واحدة، ويُمد كلَّ واحد بما يحتاج إليه، ويعطيه ما يصلحه مِن غير أن يشغله هذا عن هذا. بل أعلى العالم وأسفلُه بمنزلة مَن هو في خبر واحد عنده، ثم يرفع هذا الولي فينظر [31] فيرى مدده من غيره، وسمو النبي صلى الله عليه وسلم، ويرى مدد النبي صلى الله عليه وسلم من الحق سبحانه؛ فيرى الكلَّ منه تعالى".

قال: "وسمعت هذا الولي يقول: إذا نظرتُ إلى كون المدد من غيري؛ أجدُ

---

(1) الشيخ محمد بن حجي بن قاسم زنيبر السلاوي، كان علامة مشاركا مدرسا، له تآليف؛ منها: شرحه للهمزية، وهو من أحسن الشروح، ولي قضاء مدينة سلا مدة، والخطابة بالجامع الأعظم بها، وتوفي - رحمه الله - سنة أربع وتسعين ومائة وألف (1194 هـ). من"إتحاف المطالع" لابن سودة كما في "الموسوعة المغربية" 2419/7.

(2) 402.

نفسي كالضفدع والخلق كلهم أقوى مني وأقدر".

وفيه أيضا[1]: "ولم يعني أهل الديوان التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى في الحجب السبعين، وحتى في عالم الرُّقَّا - بتشديد الراء المضمومة وتشديد القاف، بعدها ألف، وهو: ما فوق الحجب السبعين - فهم المتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم، وما تهجس به ضمائرهم؛ فلا يهجس في خاطر واحد منهم إلا بإذن أهل التصرف رضي الله عنهم. وإذا كان في عالم الرُّقَّا الذي فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش، فما ظنك بغيره من العوالم؟".

وفيه[2] أيضا: "وقال رضي الله عنه، وقد حول وجهه إلى خلف ثم رده: يقدر الوليُّ في هذه اللحظة على إهلاك ذلك البَرِّ كلِّه - يعني: من الكفرة - ومع ذلك؛ فإذا حضر في معترَك بين المسلمين والكفار؛ يحرُم عليه أن يتصرف في الكفرة بشيء من ذلك السر، وإنما يقاتلهم بما جرت به عادة القتال من ضرب بسيف وطعن برمح ونحو ذلك، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم".

وفيه أيضا[3]: "وسمعته رضي الله عنه مرة أخرى يقول: السماوات والأرضون بالنسبة إليَّ كالمُوزُونة[4] في فلات الأرض. يصدر منه هذا الكلام وما أشبهه إذا شاهدنا منه زيادة، بل هو في زيادة دائما رضي الله عنه".

ثم قال بعد كلام[5]: "وما قاله أخوك افتخارا، وإنما قاله تعريفا وتحدُّثًا معكم بالنعم".

وفيه أيضا[6]: "وقال رضي الله عنه: إن كنت تظن أن القط يأكل الفأر بغير إذن سيدي فلان؛ فما ظننتَ بشيء!".

وفيه أيضا[7]: "ولما مات الشيخ - رضي الله عنه - كنت أتكلف الذهاب إلى

---

(1) ص319.

(2) ص441.

(3) ص215.

(4) الموزونة: قطعة نقدية.

(5) ص255.

(6) ص315.

(7) ص422.

زيارته في قبره كثيرا، فوقف عليَّ في المنام، وقال لي: إن ذاتي ليست بمحجوبة في القبر، بل هي في العالم كلِّه، عامرةً له ومالئة له، وفي أي موضع تطلبني تجدني، حتى إنك إذا قُمت إلى سارية [32] في المسجد وتوسلت بي إلى الله عز وجل؛ فإني أكون معك حينئذ. ثم أشار إلى العالم كله فقال: وأنا فيه بأجمعه، فحيثما طلبتني؛ وجدتني، وإياك أن تظن أني أنا ربك، فإن ربك - عز وجل - ليس محصورًا في العالم، وأنا محصورٌ فيه. هذا معنى ما سمعتُه منه رضي الله عنه في المنام. وكذا سمعته - رضي الله عنه - في حياته يقول: إن العالم كلَّه قد يكون - أحيانا - في وسط جوفي".

[معنى تعرُّف الولي على ذات الله وصفاته وأسمائه]:

وقوله: "وقال في موضع آخر: إنه وصل إلى مقام عرف فيه ذاتَ الله وصفاته الثمانية: القدرةَ والإرادةَ، والعلمَ والحياةَ، والسمعَ والبصرَ، والكلامَ وصفةَ التكوين، وعرف تعلقاتِها وشؤونَها [وتنزُّهها][1] عن النسب والإضافات".

صفة التكوين زادها أبو حنيفة مستدلا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾. [يس/ 82]، وهي: من صفات الأفعال؛ كالخلق والرزق، والإماتة والإحياء..ونحوها، ثم هي على قسمين: وجودية؛ كالأمثلة المتقدمة، وسلبية؛ كعفوه وحلمه على من استحق العقوبة؛ لأنها عبارة عن سلب العقوبة عمن يستحقها بعد تحقق الجناية.

والفرقُ بين صفات الفعل وصفات الذات: أن صفات الفعل كمالاتٌ للصفات؛ لأنها عبارة عن صدُور الممكنات عن القدرة والإرادة إلى آخر المعاني، وصفات الذات؛ قائمة بها، لا يُتصور عدمها عنها، بخلاف صفات الفعل؛ لأنها يصح وجودها وعدمها. والمتعلق من صفات المعاني؛ هو: الذي يطلب لذاته زائدًا على القيام بمحله.

فالقدرة: تقتضي زائدا على القيام بمحلها؛ وهو: المقدور الذي يتأتى بها إيجادُه وإعدامُه، والإرادة: تقتضي لذاتها مرادا يتخصص بها، والعلمُ: يقتضي معلوما

(1) هنا بياض بالأصل، ولعل المقدر لفظة "وتنزهها" كما ذكرنا في أول هذا الكتاب.

ينكشف به، والسمع: يقتضي مسموعا، والبصر: يقتضي مُبصرا، والكلام: يقتضي معنى يدل عليه، والتكوين: يقتضي مكوَّنا.

فمتعلقُ القدرة والإرادة والتكوين: الممكناتُ فقط، ومتعلق العلم والكلام: جميعُ أقسام الحكم العقلي، ومتعلق السمع والبصر: الموجوداتُ كلُّها؛ كانت واجبة أو جائزة، وغير المتعلق منها: الذي يطلب زائدا على القيام بمحله، وذلك (ك)[1] الحياة [33]؛ فإنها لا تطلب زائدا على القيام بمحلها، وإنما هي شرط في الإدراك كما هو مقرَّر في محله.

فقوله: "تعلقاتها" أي: تعلقات مجموعِها لا جميعِها؛ لتخلف ذلك في الحياة، لكونها لا تتعلق بشيء.

والمراد بكونه: عرف ذات الله. أي: بالكشف والعيان، لا بالدليل والبرهان؛ إذ هذه حاصلةٌ لجل الناس، فلا كبيرَ منقبةٍ فيها، والمراد - أيضا - بحسب الطاقةِ الإنسانية والقدْرِ الذي يمكن للمحدَث أن يعرفه به من طريق الكشف والشهود، لا أنها عرفها على ما هي عليه في الكبرياء والعظمة؛ إذ ذاتُه تعالى وصفاته إنما تُعرف بحسب الوُسع وعلى قدر ما تحمله العقول.

وأما الكُنْهُ[2]؛ فمحجوب عنا، وليس لأحد الخوضُ فيه بعد معرفة القدر الذي في وُسعه، إذ كيف يمتد إدراكُ العقول إلى غير أصل ولا بداية؟. فكلما مدت إليه نظرها؛ وجدت القديم قبله، ولذا قال القائل[3]:

حقيقة المرء ليس المرءُ يدركُها فكيف كيفيَّةُ الجبّار في القِدَمِ؟

وقال الضرير:

(1) زيادة لا بد منها.

(2) قال في "تاج العروس" 240/10: الكنه بالضم جوهر الشيء، عن ابن الأعرابي، وأيضا: غايته ونهايته. يقال: كنه المعرفة وبلغت كنه هذا الأمر: أي غايته. وقال ابن دريد: "يكون كنه الشيء قدره؛ يقال: فعل فوق كنه استحقاقه". وفي بعض المعاني: كنه كل شيء: وقته ووجهه.

(3) هو لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والبيت من البسيط، والذي بعده:

هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعا فكيف يدركه مستحدث النسم؟!

ولا يحـــيطُ عـــارفٌ بذاتـــهْ علمـــا كمالـــه ولا صـــفاته
إذ لـــو رآه خلقُــــه تعالـــى لأكثـــروا الإعظـــام والإجـــلال
فـــدل ذك أنـــه علـــى صـــفات مـــن الإجـــلال لـــم تـــنله مَعْـــرِفاتْ
وقـــد أتـــى عـــن النبـــي الـــصادقْ: تفكـــروا فـــي الخلـــق لا فـــي الخالـــق

لأن كلَّ صفة لها معان غير محصورة ولا معدودة، فعلمُه تعالى محيطٌ بجميع الواجبات والواجبات[1] والمستحيلات، وهي لا تنحصر، وقدرتُه متعلقة بجميع الممكنات التي لا حصر لها؛ فهي صالحة لأن يوجَد بها ألوف ألوف من أمثال هذا العالم. وهكذا سائر صفاته التي على معاني أسمائه؛ كالخالق والرزاق؛ لها معان لا تُحد ولا تنحصر، وعلى هذا حُمل قوله: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ﴾. [الأعلى/1]. أي: نزهه من إدراك العقول والأفهام. وإذا عجزتَ عن الاسم فكيف بالمسمى؟.

وقد قال سيد العارفين صلى الله عليه وسلم[2]: "اللهم [34] لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك". مع أنه أفنى عمره في الثناء عليه.

وقال الصدِّيقُ رضي الله عنه: "العجز عن الإدراك إدراك". ونظمه ابن عرَفة[3] فقال:

ألا إن إدراكَ الحقـــــيقة مُعجـــــزٌ وإدراكُ نفـس العجـز عـينُ الحقـيقةِ
كمـــا قالـــه الـــصدِّيقُ أول قائـــل بفكـــر شـــديد، أو بحُـــسن بديهـــةِ

وقال الجنيد رضي الله عنه: "سبحان من لم يجعل للخلق سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن عرفته".

---

(1) هكذا في (خ)، ولعل الصواب: والجائزات.

(2) رواه مالك في "الموطأ" 214/1 ح 499 ومسلم في "صحيح" 352/1 ح 486 عن عائشة رضي الله عنها.

(3) محمد بن محمد بن عرفة الوَرْغَمِي التونسي، يكنى: أبا عبد الله. هو: الإمام العلامة المقرئ الفروعي الأصولي البياني المنطقي، وتفرد بشيخوخة العلم والفتوى في المذهب. له التصانيف العزيزة، والفضائل العديدة، انتشر علمه شرقا وغربا، فإليه الرحلة في الفتوى والاشتغال بالعلم والرواية، حافظا للمذهب، ضابطا لقواعده، إماما في علوم القرآن، مُجيدا في العربية والأصلين، والفرائض والحساب، وعلم المنطق...وغير ذلك. توفي - رحمه الله - سنة ثمان وأربعين وسبعمائة (748هـ)، ودُفِنَ بالبقيع. انظر "الديباج المذهب" ص 337.

وقال ابنُ زِكرى[1]:

العقـــلُ لا يُحـــيطُ بـــالجلال ومـــا لـــربنا مـــن الكمـــال
يعلمُـــه هـــوَ بـــلا نهايـــهْ لا العقـــلُ لا الحـــدُّ لـــه لا الغايـــهْ

وفي "الرسالة"[2]: "ولا يبلغ كنهَ صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المعتبرون بآياته، ولا يتفكرون ماهيةَ ذاته". وقال في المراصد:

ولـــيس كـــل واجـــب فـــي حقـــه تعـــرفه هـــيهات علـــم خلقـــه
فلـــيس للكـــمـــال مـــن نهايـــه وللعقـــول منتهـــى وغـــايـــه

وفي "اليواقيت والجواهر"[3]: "اعلم أن المعرفة عند أئمة الأصول هي: العلم بالله تعالى وصفاته الذاتية والمعنوية، فهذا هو المطلوب من معرفة الصانع جل وعلا. إذ الذات مجهولةٌ من حيثُ الإحاطةُ بها".

وفي "الإبريز"[4]: "وسمعته - رضي الله عنه - يضربُ مثلا في كون العبد لا يُطيق معرفة ربه سبحانه على ما هو عليه في كبريائه وعظمته، فيقول: إن الآنية من الفخار لو أمدها الله تعالى بالإدراك وسألها سائل عن صانعها المعلم الذي صنعها، كيف هو؟، وكيف طوله؟، وكيف لونه؟، وكيف عقله؟، وكيف إدراكه؟، وكيف سمعه؟، وكيف بصره؟، وكم حياته في هذه الدار؟، وما هي الآلة التي صنعها بها؟... إلى غير ذلك من أوصاف المعلم صانعِها الظاهرة والباطنة؛ فإنها لا تطيق

---

(1) الشيخ العلامة النحوي أبو عبد الله سيدي مَحمد بن عبد الرحمن ابن زِكْرِي الفاسي المولد والمنشأ والوفاة، له شرح على ألفية السيوطي سماه "الفريدة" شاهد على علمه وتبحره، وله غيره من التآليف كشرحه على "النصيحة" لزروق، وشرح "الحكم العطائية" وشرح "الصلاة المشيشية" وشرح "الهمزية" للبوصيري، وله معارضة للهمزية مع شرحها في سفرين، ولكن نقموا عليه بشدة تأليفَه في تفضيل العرب وبني إسرائيل، إذ كان إسرائيلي النسب، ونسبوه بذلك إلى الشعوبية، غير أن المنصفين من العلماء ذبوا عنه وقرروا فضله وعلمه. مات - رحمه الله - سنة أربع وأربعين ومائة وألف (1144هـ). ينظر "نشر المثاني" من "الموسوعة المغربية" 2033/5.

(2) ص75.

(3) ص120.

(4) ص443.

معرفة ذلك، ولا تطيق ذاتُها محلَّ تلك المعارف، ولا يطيق مصنوع أبدا كيفية صفة صانعه على ما هي عليه".

قال [35] رضي الله عنه: "فإذ كان هذا العجزُ في حادث مع حادث، فما بالك بالصانع القديم سبحانه؟. فلا يطيق مخلوق - أيُّ مخلوق كان - معرفتَه بالحقيقة، لا في هذه الدار، ولا في تلك الدار، أبد الآبدين، ودهر الداهرين. والله تعالى أعلم".

قال بعض العلماء رضي الله عنه: "وبالجملة؛ فعجزُ العقول عن الإحاطة بعظيم كبريائه - جل وعلا - وباهر جماله وعلوِّ جلاله، بل عجزها عن عجائب صنعه في مخلوقاته؛ يكاد أن يكون معلوما من الدين بالضرورة".اهـ.

بل وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم؛ لا يحيط بمعرفته مخلوقٌ على الإطلاق، بل معرفته على ما هو عليه مما انفرد به الواحد الخلاق. وقد نبه على هذا صلى الله عليه وسلم بقوله[1]: "يا أبا بكر؛ والذي بعثني بالحق لم يعرفني حقيقةً غير ربي!".

ويرحم الله سيدنا أويْسًا حيث قال للصحابة لما لقيهم: "إنكم لم تُدركوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ظلَّه!". وفي رواية: "ما أدركتم"، بدل: "إنكم لم تدركوا". وفي أخرى: "ما رأيتموه إلا كالسيف في غمده". قالوا: "ولا ابنَ قحافة؟". فقال: "ولا ابن قحافة". وانظر شرح قول ابن زكرى في همزيته "أصل مدحكمُ اعترافٌ بعجز"...الأبيات الأربعة[2].

[صلاة الأوابين التي صلاها الأولياء]:

قوله: "وفي موضع آخر أنه: كان يصلي صلاة الأوابين، فيرى جميع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - والأولياء يصلون خلفه، إلا النبي صلى الله عليه وسلم؛

---

(1) لم أقف عليه.

(2)

وتتمتها............	فإذا ما اعترفت طاب الثناء
كيف نحسن مدح من ملئ الو	حيُ بمدحه آيه الغراء
كتب الله بالغت في مزايا	هُ بما ليس يبلغ البلغاء
صحف الرسل افصحت بصفات	قصرت عن بيانها الفصحاء

فكأنه قام مقامه".

أي: وكان لا يبلغ فيه مبلغه.

هذا أيضا من نمط ما ذكره أولا، فهو في الحقيقة منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فهو الذي كان يصلي صلاةَ الأوابين وجميعُ الأنبياء والأولياء يصلون خلفه، ولا إشكال في ذلك وقد صلى ليلة الإسراء ببيت المقدس إمامًا بالأنبياء والملائكة ركعتين:

لــيلةَ الإســراءِ أهــلُ كــل ســماء	ســجدَ الكــل إذ رأوك وقامــوا
وتقــدمتَ للــصلاة فــصلوا	كلهــم مقــتد وأنــت الإمــام

روى البزار[1] أنه صلى الله عليه وسلم قال: "ليلة أُسرِيَ بي؛ انتهيتُ إلى قصر من لؤلؤة [36] تتلألأ أنوارا، وأُعطيت ثلاثا، قيل لي: إنك سيد المرسلين، وإمام المتقين - أي: من الأنبياء والأولياء - وقائدُ الغُرِّ المحجَّلين".

وتقدم قولُ مولاتِنا فاطمةَ رضي الله عنها في صلاتها عليه: "اللهم صل على من هو إمامُ الأنبياء والمرسلين، اللهم صل على من هو إمام أهل الجنة وعباد الله المؤمنين".

و"الأوابين": جمع أواب: ﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾. [الإسراء/25]، ﴿ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾. [ص/44]. أي: رَجَّاعٌ إلى طاعة الله تعالى.

وصلاةُ الأوابين - كما في "الفتوحات"[2]، في باب: الوصايا الحكمية – هي: الصلاة في الأوقات المغفول عنها في العامة، وهي: ما بين الضحى إلى الزوال، وما بين الظهر والعصر، ومابين المغرب والعشاء الأخيرة. قال: "وقد ثبت[3] أن: صلاة

---

(1) عزاه إلى البزار: الحافظُ نور الدين الهيثمي في "مجمع الزوائد" 78/1 من رواية عبد الله بن أسعد بن زرارة رضي الله عنه، وقال الهيثمي: "فيه هلال الصيرفي عن أبي كثير الأنصاري؛ لم أر من ذكرهما".

(2) 213/8.

(3) روى مسلم في "صحيحه" 515/1 ح 748 عن القاسم الشيباني أن زيد بن أرقم رأى قوما يصلون من الضحى، فقال: "أما لقد علموا أن الصلاة في غير هذه الساعة أفضل، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: صلاة الأوابين: حين ترمض الفصال".قال السيوطي في "شرح مسلم" 358/2: "صلاة الأوابين: جمع أواب؛ وهو: المطيع، وقيل: الراجع إلى الطاعة. حين =

الأوابين حين ترمض الفصال".

[معنى الخلق من طينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم]:

وقوله: "وفي موضع آخر أنه: خُلق من طينة النبي صلى الله عليه وسلم".

يشير إلى أنه من ولد فاطمة رضي الله عنها. وقد صح - كما في ابن حجر - حديث[1]: "إن لكل بني أب عصبةً ينتمون إليها، إلا ولد فاطمة؛ فأنا وليهم وعصبتهم، وهم عترتي، خُلقوا من طينتي، ويل للمكذبين بفضلهم، مَن أحبَّهم أحبَّه الله تعالى، ومَن أبغضهم أبغضه الله تعالى، والذي نفسي بيده؛ لا يُبغض أهلَ البيت أحدٌ إلا أكَبَّهُ الله في النار".

بل في "تنبيه الفقير" ما نصه: "قال الغزالي رحمه الله تعالى: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: بلِّغ أهلَ الأرض عني أني حبيب من أحبني، وجليس لمن جالسني، وأنيس لمن أنس بذكري، ومصاحب لمن صاحبني، ومختار لمن اختارني، ومطيع لمن أطاعني. فإني خلقتُ طينةَ أحبائي من طينة إبراهيم وموسى وعيسى

=

تَرمَض بفتح التاء والميم؛ يقال: رَمِض يرمَض كعلم يعلم. الفصال، هي: الصغار من أولاد الإبل، جمع فصيل؛ أي: حين تحترق أخفافها من شدة الرمضاء، وهو: الرمل الذي اشتدت حرارته بالشمس إذا رمِضت بكسر الميم".اهـ. وقال الشوكاني في "نيل الأوطار" 80/3: "والحديث يدل على أن: المستحب فعل الضحى في ذلك الوقت".

(1) رواه الطبراني في "الكبير" 44/3 عن فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام مرفوعا، وأخرجه أبو يعلى 109/12، ومن طريقه الديلمي 264/3، عن عثمان بن أبي شيبة بلفظ: "لكل بني آدم عصبة ينتمون إليه إلا ولدا فاطمة؛ فأنا وليهما وعصبتهما".ورواه الخطيب في "تاريخه"11/ 285عن جرير بلفظ: "كل بني آدم ينتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم"، وفي سنده ضعف وإرسال، لكن له شواهد عند الطبراني 43/3 عن جابر مرفوعا: "إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه، وإن الله جعل ذريتي في صلب علي". قال في "المقاصد": "ويروى - أيضا - عن ابن عباس كما كتبته في "ارتقاء الغرف" وبعضها يقوي بعضا. وقول ابن الجوزي في "العلل": لا يصح. ليس بجيد . وفيه دليل لاختصاصه صلى الله عليه وسلم بذلك كما أوضحتُه في بعض الأجوبة، وفي مصنفي في أهل البيت". انتهى. ورده - أيضا - القاري فقال: "ويرد عليه أنه: رواه أبو يعلى بسند ضعيف، والحديث مرسَل، وله شواهد عند الطبراني، وغايته أنه: ضعيف لا موضوع". انتهى كلام العجلوني في "كشف الخفا" 963/2.

ومحمد صلى الله عليه وسلم".

[مرتبة الأولياء دون مرتبة الصحابة الكرام]:

وقوله: "وقال في مناقب بعض آبائه: إن ذاته جامعةٌ لكمالات النبوَّة والرسالة - أي: غير نبوة ورسالة نبينا صلى الله عليه وسلم، ليلتئم مع قوله بعد - وإنه في الفضل بعد الخلفاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي". أي: أنه بمنزلة الستة باقي العشرة المشهود لهم بالجنة، يشير بهذا إلى أنه من الأبدال.

وفي "العوارف"[1]: "وبعدهم - يعني: الأوتاد الأربعة - الأبدال الستة، بمنزلة الستة باقي العشرة المشهود لهم بالجنة". أي: إنهم الوارثون لبعض مقامهم. وليس من شرط الوارث أن يبلغ [37] درجة الموروث فيما ورث عنه وأن يبلغ فيه مبلغه!.

ومعنى الوراثة: أنه ليس ثمَّ ذاتٌ من ذوات مَن بعد الأبدال في المرتبة شربت من ذوات الستة مثل ذاتهم.

وأيضا: معنى كون ذاته جامعة لكمالات النبوءة والرسالة، أي: أنه الوارث لبعض مقامهم. ونعني به: مَن بعد الأبدال في المرتبة: النقباء والنجباء والصالحين. إذ النبوة قدرُها عظيم لا يبلغه أحدٌ كما تقدم، حتى أكابر الصحابة وجمهور الأمة. على أن فضل الصُحبة لا يعدلهُ شيءٌ، فأصحاب النبي أفضل أمته بعده على الإطلاق.

قال الشيخ أبو علي اليوسي[2]: "ونحن نقطع بأن أدنى الصحابة لا يبلغ مبلغَه

---

(1) 212/1.

(2) الإمام الكبير المحقق الشهير سيدي أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي، كان - رحمه الله - عالما ماهرا في المعقول والمنقول، وخُص من بين أهل عصره بالصدع بالحق بين يدي خليفة الوقت، فأقبل الناس عليه واستفادوا منه، وله مؤلفات سارت بها الركبان، بعضها مما لم يُسبق إليه، ومنها: "زهر الأكم في الأمثال والحكم"، وحاشية على مختصر السنوسي في المنطق، ومنها: "مشرب العام والخاص من كلمة الإخلاص"، وكتاب "المحاضرات"، وديوان "شعر" فائق، و"القانون"، وشرح على "جمع الجوامع" سماه: "الكوكب الساطع" لو تم لما قُرن به غيره، وجلها طبع...مات - رحمه الله - سنة اثنين ومائة وألف (1102هـ).ترجمه القادري بترجمة حافلة في "نشر المثاني" كما في "الموسوعة المغربية" 5/ 1801-1822.

أعظمُ الأولياء، ونحكمُ بعدالة الأولياء، ونجوِّزُ مع ذلك وقوع الزلات من غير أن يقدح ذلك في ولايتهم، فضلا عن عدالتهم".

وذهب الحافظ ابن عبد البر[1] في جماعة؛ إلى أنه: يمكن أن يكون فيمن بعدهم مَن هو أفضل من بعضهم، للخبر الحسن وقيل صحيح[2]: "مثل أمتي مثلُ المطر؛ لا يُدرى أوله خير أم آخره". وللخبر الحسن أيضا[3]: "ليُدْرِكَنَّ المسيحُ أقواما إنهم لمثلكم أو خيرا!".

وأجاب الجمهور عن ذلك، راجع العلامة [ابن زكري] في شرح "همزيته". ويأتي عن أبي طالب أن صديقي الأبدال هم من الرسل أمثال.

[وصف مرتبة الصديقية]:

وقوله: "وفي موضع أنه - يعني: بعض آبائه - في مرتبة الصديق أول الصحابة خليفة، وأكرمهم سجية، وأبرعهم علما، وأبدعهم حلما، خير أولاد آدم وحواء، من لم يختلف على أهليته للخلافة قاطبة الآراء، قدوة الصحابة، وقطب العصابة، الرفيق بالرعية، القاسم بالسوية، بحر السماحة والندا، وأول من آمن بالنبي من المكلَّفين واهتدى، أشبه أهله به شِيَمًا، وأثبتهم في الإسلام قدَمًا، ذي اليقين

---

(1) في "التمهيد" 253/20.

(2) رواه الترمذي في "سننه" 152/5 ح 2869 عن أنس بن مالك، قال الترمذي عقبه: "قال: وفي الباب عن عمار وعبد الله بن عمرو، وابن عمر. وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه". ورواه عن أنس - أيضا - أحمد في "مسنده" 150/3.قال العجلوني في "كشف الخفا" 2/ 1263: "رواه الترمذي وأبو يعلى والدارقطني عن أنس مرفوعا، وأخرجه الخطيب في "الرواة عن مالك"، وكذا أبو الحسن القطان في "العلل"، وله شاهد عن عمار بن ياسر أخرجه ابن حبان في "صحيحه"209/16 عن سليمان الأغر رفعه. وفي لفظ عند الطبراني في "الكبير" عن عمار بن ياسر: مثل أمتي كالمطر؛ يجعل الله في أوله خيرا وفي آخره خيرا. وأخرجه البزار بسند جيد عن عمران بن حُصين. ورواه الطبراني عن ابن عمر. وقول النووي في "فتاويه": إنه ضعيف متعقَّب. فقد قال ابن عبد البر: إن الحديث حسن. إلا أن يريد باعتبار ذاته، أو من طريق أبي يعلى التي عزاها له في فتاواه. وإليه يشير قول الحافظ ابن حجر: حديثٌ حسن له وطرق. ولابن عساكر في تاريخه عن عمرو بن عثمان رفَعَه مرسلا: أمتي أمة مباركة، لا يدرَى أولها خير أو آخرها".

(3) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" 206/4 عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير.

والتصديق، والإخلاص والتحقيق، خليفة الرسول: عبد الله سيدنا أبي بكر الصديق".
يشير بهذا إلى أنه: من الأوتاد.

في "العوارف"[(1)]: "وسره - يعني: القطب - الأوتاد الأربعة، في نواحي الأرض الأربعة، بمنزلة الخلفاء الأربعة [38]". أي: إنهم الوارثون لبعض مقامهم. وليس من شرط الوارث أن يبلغ درجة الموروث فيما ورث منه، وأن يبلغ فيه مبلغه.

ومعنى الوراثة: أنه ليس ثم ذاتٌ من ذوات من بعد الأوتاد في المرتبة شربِتْ من ذوات الخلفاء الأربعة مثل ذاتهم، كما تقدم.

ولا منافاةَ بين ما أشار إليه أولا من أنه: من الأبدال، وثانيا: من أنه من الأوتاد. مع أن الأوتاد أعلى مرتبة من الأبدال؛ لأن من مات من عدد من أعداد العارفين؛ يخلفه آخر من العدد الذي يليه، لا يزالون كذلك. فإذا أراد الله تعالى خراب الدنيا؛ لم يبق منهم أحد. كما في "العوارف"[(2)] .

فحاصل الأمر: أنه كان أولا من الأبدال، ولما مات من الأوتاد واحد - وكان هو من جملة الذي يليه، أي: الأبدال – خلفه، فصار من الأوتاد.

ولفظ "عوارف المعارف"[(3)] بعد ما تقدم عنها في القطب: "وبعده الأوتاد الأربعة، في نواحي الأرض الأربعة، بمنزلة الخلفاء الأربعة، وبعدهم: الأبدال الستة، بمنزلة الستة باقي العشرة المشهود لهم بالجنة، وبعدهم: النقباء الأربعون، بمنزلة الأربعين أهل الدار يوم أسلم عمر وظهر الإسلام، وبعدهم النجباء: ثلاثمائة، بمنزلة أهل بدر، وبعدهم الصالحون المتفرقون في الأرض، ومن مات من عدد منهم يخلفه آخر من العدد الذي يليه، لا يزالون كذلك. فإذا أراد الله تعالى خراب الدنيا؛ لم يَبق منهم أحد".اهـ.

وإن قلنا: إنه أراد بالصديق: الذي صدَّق الله بكل أحواله ظاهرِها وباطِنها، فكان صديقا في قوله بأن لا يكذب في عمله، بأن لا يلحَظَ فيه غير الله، ولا يلتفت لسواه، ولا يدَّعي شيئا معه؛ اتضح الحال، وزال الإشكال. أوْ: مَن كان مُراعيًا لوقته،

---

(1) 300/1.
(2) 209/1.
(3) 210/1.

حافظا على حاله، قائما على قلبه، جامعا لهمه، محصيا لأنفاسه، مراقبا لرقيبه، مجالسا لحبيبه، لا يَخرُج عنه نفَسٌ في أدنى وقت إلا في ذِكر لمذكوره، وشُكر على نعمة منه، أو صبر في محنة عتيدة، أو رضًا عند مشقة شديدة. ويكون في ذلك كله ناظرا إلى الرقيب، مُصغيا إلى القريب، ساعيا إلى الحبيب، لا ينظر إلا إليه، ولا يعكف إلا عليه، قد جعل العمر يوما، واليوم ساعة، والساعة وقتا، والوقت حالا، والحال نفسا، والنفس مراقبة، والمراقبة مواجهة؛ فَتوجَّهَ في وجهته [39] فلم ينثن، وساح في قُربه فلم ينِ، وكان من الإيمان على مزيد، ومن صفاء اليقين على تجديد، وأعطي من الحياة الطيبة بغير حساب، وكشف له عن قلبه الحجاب، فكانت المعرفةُ مقامَه، وقصرت عليه شهورَه وأيامه، فكان وقتُه وقتا واحدا، وقلبه واحدا لموحَّد، وهمُّه مفردا لمنفرد.

قال أبو طالب[1]: "وهذا هو حال صِدِّيقي الأبدال الذين هم من الرسُل أمثال، وعددهم في المؤمنين قليل، ونصيبُهم من اليقين وافر جليل، هم المقرَّبون والصديقون".اهـ.

كان من نمط قوله قبله: "وأن ذاته جامعة لكمالات النبوءة والرسالة، وأنه في الفضل بعد الخلفاء الأربعة". والله أعلم.

[توجيه ادعاء تفرد الولي بصفات الكمال]:

وقوله: "وفي موضع آخر أنه: ليس في الأمة مثلُه".

أي: في عصره وزمانه، وهذا ليس بمحال؛ فقد صدر نحو ذلك من غير واحد من أكابر العارفين، ففي: "سبحة التحقيق في بعض أهل الشرف الوثيق" للشيخ أبي عبد الله سيدي محمد ابن المسناوي[2]: "ومن خط الشيخ

---

(1) "قوت القلوب" 230/1 وكلمة: "صديقي" ليست في نسختي من "القوت". والله أعلم.

(2) المسناوي: محمد بن أحمد الدلائي أبو عبد الله الشهير بالمسناوي الفقيه المالكي يفتي ويدرس بفاس توفي سنة 1136 ست وثلاثين ومائة وألف. صنف "جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ سيدي عبد القادر". "صرف الهمة إلى شرح الذمة". كتاب "الاستبانة في إمامة الصلاة". كتاب "الرد على من زعم عدم مشروعية القبض في الصلاة في النقل". كتاب "النصر ونتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق"، ترجمه إسماعيل باشا في "هدية العارفين" 113/2

القصّار[1] ما نصه: قال الشيخ أبو محمد صالح: طأطأ الشيخُ أبو مدين رأسَه وقال: اللهم إني أُشهدك وأُشهد ملائكتك أني سمعتُ وأطعت. فسُئل عن ذلك؟. فقال: إن سيدي عبد القادر[2] قال الآن: قدمي هذه على رقبة كلِّ وليّ. وقد أمرْنا بالسمع والطاعة. فقدم أصحابُنا من بغداد فحدثونا أنه قالها في ذلك اليوم".اهـ.

ونحوه في "البهجة" - أيضا - بمعناه في ترجمة: "ذكر من حنى رأسه من المشايخ عندما قال ذلك".

وفيها - أيضا - في ترجمة: "ذكر من حضر المجلس الذي قال فيه ذلك"، ما نصه: "أخبرنا الشيخ أبو يوسف يعقوب بن بدران المقرئ[3] القاهري بها سنة تسع وستين وستمائة، قال: دخلتُ بغداد سنة إحدى وعشرين وستمائة، وقصدتُ إلى زيارة قاضي القضاة أبي صالح نصر بمدرسة جده بباب الأزج[4]، فوجدتُ عنده جماعةً، فقال أحدهم: ما سمعتَ بقول الشيخ عبد القادر رضي الله عنه: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله؟. فقال: سمعتُ أبي أبا بكر عبد الرزاق وأعمامي: أبا عبد الرحمن عبد الله وأبا عبد الله عبد الوهاب وأبا إسحاق إبراهيم - رحمهم الله تعالى - في أوقات متفرقةً يقولون [40]: حضرنا مجلس والدنا الذي قال فيه ذلك،

---

(1) الشيخ الإمام مَحمد بن قاسم القصّار، الأندلسي الغرناطي، القيسي الأصل الفاسي الدار، كان حافظا حجة، مشاركا في العلوم العقلية والنقلية، شيخ الإسلام في المغرب وقته، توفي - رحمه الله - في زيارة لمراكش عام اثنى عشرة وألف (1012 هـ)، كما في "نشر المثاني" انظر "الموسوعة المغربية" 1114/3.

(2) يعني: الشيخ العارف سيدي عبد القادر الجيلاني.

(3) أبو يوسف يعقوب بن بدران بن منصور بن بدران المصري ثم الدمشقي المقرئ، شيخ القراء في وقته بالديار المصرية. تصدر بالمدرسة الظاهرية وغيرها، أخذ القراءات بدمشق عن ابن باسويه والسخاوي، ورحل فقرأ بالروايات الكثيرة على أبي القاسم ابن عيسى وغيره. ونظم في القراءات أبياتا كثيرة، حل فيها رموز القراءات، وجعلها بدل الأبيات المرموزة في الشاطبية، تسهيلا على الطلبة. توفي في شعبان سنة ثمان وثمانين وستمائة (688 هـ) وعاش نيفا وثمانين سنة. ترجمه الذهبي في "معرفة القراء الكبار" 690/2.

(4) باب الأزج، محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد. فيها عدة محال، كل واحدة منها تشبه أن تكون مدينة، ينسب إليها الأزجي، والمنسوب إليها من أهل العلم وغيرهم كثير جدا. "معجم البلدان" لياقوت الحموي 168/1.

وكان فيه حاضرا نيفٌ وخمسون شيخا من أكابر مشايخ العراق، وحنوْا كلهم رقابهم - أي: إلا عبد حبشي، فسُلِب لحينه - ثم بلغنا عن المشايخ المتفرقين في الأمصار، الذين لم يحضروا ذلك الوقت؛ أنهم مدوا أعناقهم، وأخبروا عنه بما قال، ولم يبلغْنا عن أحد منهم أنه أنكر عليه".اهـ. ونقله ابن حجر في "الغبطة" ببعض اختصار.

وأُجيب عنه بما ذكرناه - أي: في زمانه - لأنه جمعَ من علو النسب وشرف العبادة والعلم ما لم يكن لغيره من أهل وقته.

وحُكيَ عن أبي حفص الفاسي[1] أنه كان يخرج لباب الفتوح ويستقبل بوجهه المدينة ويقول: "تبهَّيْ يا فاس بوجودي، واللهِ ما فيك مثلي!".

وللإمام تقي الدين السبكي يرثي نفسه حين اعتراه المرض، كما في "شرح التثبيت":

يا دهرُ بِعْ رُتَبًا عوالي بعدنا بيعَ الهوان، ربحتَ أم لم تربحِ
قدمْ وأخرْ ما تشاءُ من الورى ماتَ الذي قد كنتَ منه تستح

[توجيه معنى سماع الأولياء كلام الله القديم]:

وقوله: "وقال في بعضهم: إنه سمع كلام الله المنزَّه عن الحروف والأصوات".

هذا - أيضا - ليس بمُحال؛ ففي "الإبريز"[2]: "وسألته - رضي الله عنه - عن قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾. [النساء/164]. هل ذلك خاص بموسى عليه السلام؟. وهل ما يذكره السادات الصوفية - رضي الله عنهم - من المكالمة من مثل قول الشيخ العارف بالله أبي الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - في

(1) هو: الشيخ أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي الفهري، من أحفاد الشيخ أبي المحاسن الفاسي، كان - رحمه الله - من كبار علماء المغرب وأئمته، وكان يكتب في كل العلوم بطريقة الاجتهاد المطلق، توفي سنة ثمان وثمانين ومئة وألف (1188 هـ) انظر ترجمته في: "إتحاف المطالع" و"تذكرة المحسنين" من "الموسوعة المغربية" 2403/7.

(2) ص234.

"الحزب الكبير": وهَب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة؟. فقال رضي الله عنه: ما ذَكره الشيخ أبو الحسن وغيرُه من الصوفية في المكالمة حقٌّ لاشك فيه، ولا يعارض ذلك الآيةَ الشريفة؛ إذ لا حصر فيها".

قال رضي الله عنه: "وكلامُ الحق - سبحانه - يسمعه المفتوح عليه - إذا رحمه الله عز وجل - سماعا خارقا للعادة، فيسمعه من غير حرف ولا صوت، ولا إدراك لكيفية، ولا يختص بجهة دون جهة، بل يسمعه من سائر الجهات، بل ومن سائر جواهر ذاته. وكما لا يَخُصُّ السمع له جهةٌ دون أخرى؛ كذلك لا يختص بجارحة دون أخرى. يعني: أنه يسمعه بجميع جواهره، وسائر أجزاء ذاته، فلا جزء ولا جوهر [41]، ولا سن ولا ضرس، ولا شعرة إلا وهو يسمع به، حتى تكون ذاته بأسرها كأذن سامعة. ثم ذكر اختلاف أهل الفتح في قدر السماع، وبيَّنه بما لا يُذكر، نفعنا الله به. والله تعالى أعلم".

وفي "الفتوحات"[1]: "وصية أُوصِيتُ بها في مُبَشرة رأيتها، سمعتها من كلام الله تعالى بلا واسطة، في البقعة المباركة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام، مِن بَلَّة على قدر الكف، كلاما لا يُكيَّف ولا يشبه كلام مخلوق، عين الكلام هو عين الفهم من السامع، فما فهمت منه: كُنْ سماءَ وحي، وأرضَ ينبوع، وجبل تسكين، فإذا تحركتَ؛ فلتكن حركة إحياء وسيلة بتحريك عن وحي سماوي. ثم وقع في نفسي نظم، فكنتُ أنشد شعْرا:

وجعلـــتَ فِـــيَّ الـــذي جعلـــتَ ... وقلـــت لـــي: أنـــتَ قـــد علمـــتْ
وأنـــت تـــدري بـــأن كونـــي ... مـــا فـــيهِ غيـــرُ الـــذي جعلـــتْ
فكـــلُّ فعْـــلٍ تـــراه منـــي ... أنـــت إلهـــي الـــذي فعلـــتْ

وفي بعض "رسائل مولانا العربي الدرقاوي": "لما ظفرتُ بأستاذي، وعزمت على الرحيل من فات[2] إلى قبيلة بني زروال؛ قلت له رضي الله عنه: ليس لي هناك مع من نتفنن في فني. فقال[3] لي رضي الله عنه: يده. كأنه رأى الولادة المعنوية

(1) 227/8.

(2) كذا، والظاهر أنها: فاس.

(3) ربما "قال" هنا بمعنى: أشار.

تكون على يدي. فكررتُ عليه القول مرة أخرى، فقال لي: يدهم. فببركة إذنه وسره؛ جاءني رجلٌ بنفس ما رأيته ورآني حصل على مقام الفناء والبقاء، فظهر فضل الإذن وسره".

"ثم اشتاقت نفسي إلى الإذن من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، واضطرَّت إليه اضطرارا كبيرا. فبينما أنا ذات يوم بموضع خال بوسطه غابة، وأنا سكران صاحي مستغرقٌ غاية الاستغراق في سُكري وصحوي، جامعا بينهما وقويا فيهما القوة الكبيرة؛ إذ سمعتُ خطابا من ذاتي بأسرها: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. [الذاريات/55]، فسكن قلبي بذلك واطمأن، وأيقنتُ أن الخطاب من الله ورسوله؛ إذ كنتُ بالحضرتين الكريمتين: الربانية والنبوية، وكان ذلك - والله - خرق عادة من ذاتي بأسرها، كما وقع لأبي الحسن الششتري - رضي الله عنه - إذ قال: [42] وسمعتُ الخطابَ مِن ذَاتِي مِن مَكانٍ قريب: يا حيائي وأنت في ذاتي حاضر لا تغيب. وقد بقِيَتِ الآيةُ الكريمة التي خوطبْتُ بها مِن ذاتي بأسرها ممزوجةً بلحمي ودمي نحو عشرة أيام أو أكثر".

"ولمَّا وقع هذا الإذن؛ جاء المؤمنون في الحين، فبنفس ما رأيتُهم ورأونا؛ تذكروا وتذكرنا، وانتفعوا منا وانتفعنا منهم، وربحنا منهم وربحوا منا، وكان ما كان من الخير والسر، والفضل والبركة والعناية".اهـ.

[الوارث المحمدي يحس بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأنها نازلة عليه]:

وقوله: "وقال في بعضهم: إنه يحس بالصلاة التي يصليها الناس على النبي صلى الله عليه وسلم كأنها نازلة عليه نفسه - يعني: ذلك البعض من آبائه - وكذلك الأشعار النعتية التي يمتدِح الناسُ بها النبيَّ صلى الله عليه وسلم - أي: يحس بها كأنها نازلةٌ عليه نفسِه - فهو المصلى عليه والممدوح في تلك الأشعار".

يشير لما ذكره أولا عن نفسه، وأن هذا البعض من آبائه بدلٌ من النبي صلى الله عليه وسلم ووارثٌ لبعض مقامه، وإن كان لا يبلغ فيه مبلغَه، أي: إنه بلغ مقام القطبانية والغوثية. فهو - في الحقيقة - منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فهو الذي يُحس بذلك كأنه نازل عليه. ولا إشكال في ذلك.

[قدرة الأولياء على جلب المغفرة والتوبة والولاية للناس]:

وقوله: "وقال في بعضٍ: إن من استغفر له؛ غُفر له، ومن رآه؛ غُفر له، ومن أخذ قبضة من تراب مقبرته ووضعها في مقبرةٍ؛ غُفر لأهلها".

هذا - أيضا - ليس بمحال؛ ففي شرح "همزية" ابن زكري: "وقد ذكر بعضُ مشايخ العراق: ما وقع بصرُه على عاصٍ إلا صار طائعا، ولا ناسٍ إلا صار فاهما، ولا حضر عنده يهودي أو نصراني إلا أسلم لوقته، ولا مر بأرض مجدبة؛ إلا وسقيت، ولا دعا لشيء؛ إلا وبورك فيه وظهرت شواهد الإجابة فيه لوقته".

قال: "ولم يثبت له صلى الله عليه وسلم هذا المقام؛ لأن صاحبه - وإن كان كاملا - فهو ناقص التصرف؛ إذ تفوته المدادات وإقامة الأحكام بتمكين المظلوم من الحق، وردع الظالم، وإهلاك الأعداء، الذي بعثت به الرسل، وكان هذا صاحبَ حقيقة غلب عليه الفناء؛ فكان لا يساق إليه إلا من أُريد منه ذلك. وصاحب البقاء - الذي يعطي [43] كل ذي حق حقه - أكمل منه، فالأول: متخلق بالرحمة الإلهية، والثاني: بمعاني جميع الأسماء".اهـ.

وقال الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: "واللهِ ما بيني وبين الرجال إلا أن أنظر إليه نظرة وقد اغتنيته".

ونقل غيرُ واحد أن الشيخ سيدي أبا العباس المرسي - رضي الله عنه - كان يقول: "ما بيني وبين الرجل إلا أن أنظر إليه فأوصله إلى الله من حينه".

وفي "الإبريز"[1]: "وسمعتُه رضي الله عنه يقول: يقدِرُ الوليُّ على أن يكلِّم أحدا في أذنيه ولا يقوم حتى يكون هو والولي في المعارف على حد سواء من غير فرق بينهما. يعني: أن الولي الكامل يقدر على توصيل العبد إلى الله في هذه اللحظة".اهـ.

(1) ص250.

[أخبار الإمام المهدي عليه السلام]

وقوله: "وقال: إن أباه أخبر بأن المهدي المنتظر يكون من تلامذة أحد أبنائه، وكأنه يعني نفسه، وأنه يكون شيخا للمهدي".

المهدي: رجل أجلى الجبهة، أقنى الأنف، من عترة النبي صلى الله عليه وسلم[1]، يواطئ اسمُه اسمَه[2]، يترقب خروجه من مُضيِّ ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر، من وُلد فاطمة رضي الله عنها[3]، من ولد الحسين، والده: الإمام حسن العسكري[4] ابن علي النَّقِي – بالنون، نسبة إلى النقاء بالنون والقاف - ابن

---

(1) أخرج أبو داود في "سننه" 106/4 ح4285 عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المهدي مني، أجلى الجبهة أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما مُلئت ظلما وجورًا، يملك سبع سنين".

(2) أخرج أبو داود في "سننه" 106/4 ح 4282 عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم"، قال زائدة في حديثه: "لطَوَّلَ الله ذلك اليوم"، ثم اتفقوا: "حتى يبعث فيه رجلا مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمُه اسمي واسمُ أبيه اسم أبي". زاد في حديث فطر: "يملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلما وجورا".

(3) روى أبو داود في "سننه" 107/4 ح 4284 عن أم سلمة قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: المهدي من عترتي، من ولد فاطمة".

(4) هذا النسب فيه نظر عند المحققين؛ لأن الوارد في الحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود في "سننه" 106/4 ح 4282 عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "يواطئ اسمه اسمي، واسمُ أبيه اسمَ أبي"، فيكون على هذا: اسمُ المهدي "محمد بن عبد الله" لا "محمد حسن" كما يلزمه هذا النسب. قال المباركفوري في "تحفة الأحوذي" 403/6: "قوله: يواطئ اسمه اسمي. وفي رواية أبي داود: يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي. فيكون: "محمد بن عبد الله". وفيه ردٌّ على الشيعة حيث يقولون: المهدي الموعود هو: القائم المنتظر وهو محمد بن الحسن العسكري".

وقال العظيم آبادي في "عون المعبود" 247/11 نقلا عن ابن كثير: "والظاهر أن منهم المهدي المبشَّر به في الأحاديث الواردة بذكره أنه: يواطىء اسمُه اسمَ النبي، واسمُ أبيه اسمَ أبيه، فيملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما، وليس هذا بالمنتظر الذي يتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرّا، فإن ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية، بل هو من هوَس العقول السخيفة، وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر: الأئمة الذين يعتقد =

محمد التقِي – بالتاء – ابن علي الرِّضا – بفتح الضاد – ابن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وقيل: من ولد الحسن[1]، سبط الحسين من جهة أمه، وسبط العباس من جهة أبيه؛ بأن تكون أمُّ والدِه لها نسبةٌ لمولانا العباس رضي الله عنهم، فيكون حسنيا حُسينيا عباسيا.

كما أنَّ له اتصالا بسائر الطرق، ولذا ادعاه أهلُ كل طريق، وهم صادقون؛ لسلوكه على الجميع، يُختم الدين به كما فتح بالنبي صلى الله عليه وسلم، يملأ

=

فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم". انتهى.

قلت – القائل العظيم آبادي – "زعمت الشيعة – خصوصا الإمامية منهم – أن الإمام الحق بعد رسول الله: علي رضي الله عنه، ثم ابنه الحسن، ثم أخوه الحسين، ثم ابنه علي زين العابدين، ثم ابنه محمد الباقر، ثم ابنه جعفر الصادق، ثم ابنه موسى الكاظم، ثم ابنه علي الرضا، ثم ابنه محمد التقي، ثم ابنه علي النقي، ثم ابنه الحسن العسكري، ثم ابنه محمد القائم المنتظر المهدي، وزعموا أنه: قد اختفى خوفا من أعدائه، وسيظهر فيملأ الدنيا قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، ولا امتناع في طول عمره وامتداد أيام حياته كعيسى والخضر. وأنت خبير بأن اختفاء الإمام وعدمَه سواءٌ في عدم حصول الأغراض المطلوبة من وجود الإمام، وأن خوفَه من الأعداء لا يوجب الاختفاء بحيث لا يوجد منه إلا الاسم!. بل غاية الأمر: أن يوجب اختفاء دعوى الإمامة كما في حق آبائه الذين كانوا ظاهرين على الناس ولا يدعون الإمامة. وأيضا؛ فعند فساد الزمان واختلاف الآراء واستيلاء الظلمة؛ احتياج الناس إلى الإمام أشد وانقيادهم له أسهل. كذا في "شرح العقائد". قلت: لا شك في أن ما زعمت الشيعة من أن المهدي المبشَّر به في الأحاديث هو: محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر، وأنه مختف وسيظهر؛ هي عقيدة باطلة لا دليل عليه".

(1) لعل هذا هو الراجح والله أعلم، فقد روى أبو داود في "سننه" 108/4 ح 4290: عن أبي إسحاق قال: قال علي رضي الله عنه ونظر إلى ابنه الحسن، فقال: "إن ابني هذا سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق". والحديث دليل صريح على أن المهدي من أولاد الحسن، ويكون له انتساب من جهة الأم إلى الحسين جمعا بين الأدلة. وبه يبطل قول الشيعة: إن المهدي هو: محمد بن الحسن العسكري القائم المنتظر. فإنه حسيني بالاتفاق. قاله القاري.اهـ.

الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد؛ طوَّل الله ذلك اليوم حتى يلي. يخرج قبل عيسى من المشرق ومن بلاد الحجاز، يتخذ بيت المقدس دارا، وربما بنى على الصخرة قبة مرتفعة في الهواء قدر ميل، ويَرُدُّ ما أخذه بُخت نصر وأودعه رومية [44] المدائن[1].

ويَدخُل سائرُ الملوك في طاعته، ينادى عند ظهوره فوق رأسه: "هذا المهدي خليفة الله؛ فاتبعوه"، فتذعن له الناس، ويُشرَبون حبه، يبايَع بين الركن والمقام، يشبه النبي صلى الله عليه وسلم في الخَلق - بفتح الخاء - وينزل عنه في الخلُق – بضمها – أسعد الناس به: أهلُ الكوفة، يقسم المال بالسوية، ويعدل في الرعية، ويفصل في القضية، ينفرد بملك الأرض شرقا وغربا، سبعَ أو خمسَ سنين، والشك من النبي صلى الله عليه وسلم في الزيادة إلى تمام تسع.

أي: ينفرد بملكها خمسا أو سبعا أو تسعا، للشك الذي وقع في وزرائه؛ لأن لكل وزير معه سنةً، فإن كانوا خمسة؛ عاش خمسا، أو سبعة، أو تسعة. فكذلك خُص كل واحد بعِلمٍ ما يصلح في ذلك العام، لا أقل من خمس ولا أكثر من تسع.

يمده الله بثلاثة آلاف من الملائكة، يساعد عيسى على قتل الدجال بباب لُدّ بأرض فلسطين، يأتيه الرجل فيقول له: "يا مهدي؛ أعطني!". وبين يديه المال، فيحثو[2] له في ثوبه ما استطاع أن يحمله.

يخرج على فترة من الدين، يزع الله به ما لا يزع بالقرآن، يُمسي الرجل جاهلا بخيلا جبانا، ويصبح أعلم الناس، أكرم الناس، أشجع الناس. يصلحه الله في ليلة.

يمشي النصرُ بين يديه، يقفو أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يخطئ، له مَلك يسدده من حيث لا يراه، يحمل الكل، ويقوي الضعيف في الحق، ويعين على نوائب الحق، يفعل ما يقول، ويقول ما يعلم، ويعلم ما يشهد. يفتح المدينة الرومية بالتكبير في سبعين ألفا من المسلمين من وُلد إسحاق، يشهد الملحمة العظمى، يُبيد الظلم وأهلَه، يقيم الدين، ينفخ الروح في الإسلام، يُعَزُّ الإسلام به بعد ذله، ويحيى

(1) تفاصيل قصة بخت نصَّر مع بني إسرائيل في كتب التاريخ والتفسير، ينظر منها: "البداية والنهاية" لابن كثير 32/2، و148/2، و"البدء والتاريخ" 46/3 و38/4، و"تفسير ابن أبي حاتم" 210/1.

(2) في الأصل/ فيحثي.

بعد موته.

يضع الجزية، ويدعو إلى الله بالسيف، فمن أبى؛ قتل. يُظهر من الدين ما هو الدين عليه في نفسه، ما لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا لحكم به!.

تُرفع المذاهب به من الأرض، فلا يبقى إلا الدينُ الخالص، أعداؤه: مقلدة العلماء أصحاب الاجتهاد؛ لما يرونه من الحكم بخلاف ما ذهبت إليه أئمتهم، فيدخلون كرها تحت حكمه، خوفا من سيفه وسطوته، ورغبة فيما لديه، قبل تحققهم أنه المهدي. وأما بعده؛ فلا يقع الإنكار عليه [45] إلا من أعمى البصيرة.

يفرح به عامةُ المسلمين أكثرُ من خاصتهم، يبايعه العارفون بالله من أهل الحقائق عن شهود وكشف بتعريف المهدي.

له رجال إلاهيُّون[1]؛ يقيمون دعوته وينصرونه، هم الوزراء، يحملون أثقال المملكة، ويعينونه على ما قلده الله، خبأهم الله له في مكنون غيبه، أطلعهم كشفا وشهودا على الحقائق وما هو أمر الله عليه في عباده، فبمشاورتهم يفصِلُ ما يفصِل، وهم العارفون الذين عرفوا ما تم.

وأما هو في نفسه؛ فصاحب سيف حق وسياسة مرتبة، يعرف من الله قدرَ ما تحتاج إليه مرتبته ومنزلته؛ لأنه خليفةٌ مسدَّد، يفهم منطق الطير والحيوان، يسري عدلُه في الإنس والجان.

من أسرار علم وزرائه الذين استوزرهم الله له، وهم: تسعة على أقدام رجال من الصحابة صدقوا ما عاهدوا الله عليه، لعلمهم أن الصدق سيفُ الله في الأرض، ما قام بأحد ولا اتصف به إلا نصره الله.

ألا تراهم يفتحون مدينة الروم بالتكبير، يسقط ثلث سورها بالتكبيرة الأولى، وثلثه الثاني بالثانية، والثالث بالثالثة، فيفتحونها من غير سيف؟!. وهذا هو عين الصدق.

وهم من الأعاجم - أي: الفرس - ما فيهم عربي، لكن لا يتكلمون إلا بالعربية، لهم حافظ من غير جنسهم ما عصى اللهَ قطُّ، هو أخص الوزراء وأفضل الأُمَنَاء، وهو: عيسى. فهو وزيره الأخص في بعض المدة، وإن انفرد بعده، أو الملك

(1) كلمة غير واضحة في الأصل.

الذي يسدده ويؤيده، يقتَلون كلهم إلا واحدا منهم، فيكون ممن استثني في: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر/68]. أو يموت في تلك النفخة.

شهداؤه خير الشهداء، وأمناؤه خير الأمناء، ينزل عيسى في زمانه بالمنارة البيضاء – شرقي مسجد دمشق – والناس في صلاة العصر، فيتنحى له الإمامُ أميرُ المهدي على دمشق، فيتقدم فيصلي بالناس يومهم بسنة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يذهب إلى بيت المقدس، فيقتدي بالإمام في صلاة الصبح لإظهار أنه تابع لنبينا، حاكمٌ بشريعته. بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة مِن: اقتداء المفضول بالفاضل.

مولده بالمدينة، وقيل: [46] بالمغرب، ثم يهاجر إلى بيت المقدس ليلةَ النصف من شعبان سنة خمسة وخمسين ومائتين وألف، وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى. قال سيدي عبد الوهاب الشعراني في "اليواقيت والجواهر"[(1)]: "هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي، المدفون فوق كرْم الريش، المطل على بركان الرطلي بمصر المحروسة عن الإمام المهدي لما اجتمع به، ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي الخوّاص رضي الله عنهما".

"قيل: إن مدته – أي: مدة ملكه للأرض انفرادا واجتماعا، كلا أو بعضا – أربعون سنة، يجتمع مع عيسى في سبع أو تسع، ويتقدم عليه بأكثر من ثلاثين، ويتأخر عنه عيسى ببضع وثلاثين، لأن مدة مكثه: خمس وأربعون".اهـ الخ... بقديم وتأخير من "اليواقيت والجواهر" في المبحث الخامس والستين، وشرح الشرقاوي على "ورد السحر" لسيدي مصطفى البكري، مع زيادة يسيرة من غيرهما.

إذا تقرر هذا؛ فليس بمحال كون الشيخ محمد مظهر النقشبندي شيخا للمهدي – أي: وزيرا من وزرائه – وتأمل قوله: "له رجال"...الخ، خصوصا قوله: "يسري عدله في الإنس والجان، من أسرار وزرائه"..الخ.

وإذ لاحظتَ بما تقدم علما؛ فتعلم مافي قوله: "وغير ذلك من الكلام

---

(1) ص422.

الذي من رآه ووقف عليه علم أنه كذب، وافترى وتجرأ على الله والرسول والصحابة"... الخ.

وهذا آخر ما أردناهُ من هذا التقييد، جعله الله خالصًا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قال مُقيدُه غفر الله ذنبه وستر عيبه: وبعد الفراغ من هذا التقييد، واطلاع بعد الأفاضل عليه ممن له نظر سديد، وهو: سيدي الحاج محمد المصري، لازالت مواهب الله عليه تجري، أنشد:

إذا انحلَّ عبدٌ مِن قيودِ عوالم ... ولاح له مِن حضرة الحق لامعُ
وشام فضاءَ الذات ثمةَ وامتطَى ... فنونَ فروعٍ للأصول سترجِعُ
رأى كلَّ أصلٍ قد أحاط بفرعه ... وليس لفرعٍ مِن سوى الأصل منزَعُ
فلم يكُ إلا اثنان: أصلٌ وفرعُه ... وقد مر أنٍ الكل للكل راجعُ [47]
وحيث انطوت تحت الأصول فروعُها ... فما تستبن للفرع بالأصل واقعُ
فلو قال: أصل؛ قد ترى الفرعَ صاغيًا ... ولو قال: فرعٌ، قد ترى الأصل يسمعُ
فإن كنتَ ذا؛ فلتفعلنَّ لما تشا ... وقل ما تشا، فالحق للكل نافعُ
بشرط اصطلاحٍ ذا يصول على الفتى ... فيُغني، ونورُ الذات في العبد شائعُ
ولكن ذا للسائرين تلوُّنًا ... دعوهُ، وإن الواصلين هواجعُ
على نهج أحكام الظهور تثبَّتُوا ... لهم في ديار الشرع ثَمَّ مَراتعُ
وصَلِّ على روضِ العوالم مرجعًا ... ومعدنِها بدءًا، وفيه تَجمّعُ

انتهى بحمد الله وحسن عونه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه، والحمد لله رب العالمين، وهو حسبي ونعم الوكيل. انتهى[1][48].

(1) انتهيتُ من قراءته والتعليق عليه صبيحة يوم الأربعاء سابع عشر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وأربعمائة وألف (1429هـ)، أنا الطامع في كرم الغفار عدنان بن عبد الله زُهار، والصلاة والسلام على النبي المعظم، والرسول المكرَّم؛ سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. والحمد لله رب العالمين.



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الصفحة
النحل		
﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	44	97
﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	115
﴿ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	125	138
الإسراء		
﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ﴾	20	85
﴿ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾	36	129
﴿ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ ﴾	25	222
الكهف		
﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَـٰهِرًا ﴾	22	138
﴿ وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾	65	195
مريم		
﴿ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾	42	138
طه		
﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	137
الأنبياء		
﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ...إلى أن قال: وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	78	86

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأشعار

الهمزة

طلـــــبت فـــــيها وجهـــــه بـــــــــــشدة فلـــــــــم أره
معـــــــــــــــرفةٌ لكـــــــــــنه أصــــــبح فــــــيها نكـــــره
يُقـــــسِم عُــــشر عــــشرها يكفــــــي رجـــــالا عــــشره
كـــــم قـــرية للقَمْـــــل فـــــي حافاتهـــــــــا ومقبـــــــــره
لـــــو كـــــان ذاك التـــيس عـــج لا عـــــــــبدته الـــــــــسمره
160
فلـــيت فلانـــا كـــان فـــي بطـــن أمـــه ولـــيت فلانـــا كـــان ولـــد حمـــار
161

الزاي

إذا مـــــا اعتـــــز ذو علـــــم بعلـــــم فعلـــم الفقـــه أشـــرف فـــي اعتـــزاز
فكـــم طـــيب يفـــوح ولا كمـــسك وكـــم طيـــر يطيـــر وكـــلا كـــباز
132

الشين

أطـلابَ علـمِ الفقـه مختـصرُ الرضـى خلـيلٍ لكـم فـيه الحـياة فعيـشوا
فللـــه بـــيت ضـــمنوه مديحـــه بـــه يهـتدي مـــن فـي الأنـام يطـيش
سـلام علـى الدنـيا إذا لـم يكـن بهـا خلـيل بـن إسـحاق الإمـام يعـيش
111

العين

إذا لـم تـصن عرضـا ولـم تخـش خالقـا وتـستحي مخلـوقا فمـا شـئت فاصـنع
130
وجائــــز تقلـــيد غيـــر الأربعـــة فـــي غيـــر إفـــتاء وفـــي هـــذا ســـعة
116
يــا لَلـــرجال لأمـــر هـــال مفظعـــه مــا مَـــرَّ قـــط علـــى ســـمعي تـــوقعه
161

فهرس الأعلام

فهرس منشورات مؤلفات الكتانيين

نظراً لكثرة السؤال عن منشوراتنا، ومنشورات إخواننا من الباحثين الذين يقومون بنشر كتب أسلافنا من الكتانيين، تحت نظرنا في العموم، وطلب الكثير إنزال قوائم بذلك ليتسنى لمن شاء طلبها الوقوف عليها، فإنني أذكر هنا القائمة العامة بتلك الكتب غير ملتزم ترتيبا معينا:

1- ماضي القرويين ومستقبلها. تأليف الشيخ عبد الحي الكتاني. تحقيق الدكتور عبد المجيد البكاري. منشورات دار الكتب العلمية.

2- أحكام أهل الذمة. ويليه:

- رسالة في تعظيم الجنة. ويليها:

- رسالة في حكم صابون الشرق وشمع البوجي، المجلوب ذلك من بلاد الكفار، وحكم خياطتهم. كلها تأليف: أبي المواهب جعفر بن ادريس الكتاني. تحقيق الدكتور حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

3- مطالع السعادة في اقتران كلمتي الشهادة. تأليف: أبي الجمال محمد الطاهر بن الحسن الكتاني. تحقيق الدكتور حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

4- الأدب الصوفي في المغرب والأندلس في عهد الموحدين. تأليف: الدكتورة نور الهدى الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

5- الأجوبة الوفية عن الأسئلة الزكية، في إقرار العذر بالجهل والرد على أرباب التكفير. ويليه:

- نظرات في الدعوة النجدية. كلاهما تأليف: أبي محمد الحسن بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

6- انبعاث الإسلام في الأندلس. تأليف: د. علي بن المنتصر الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

7- تنبيه الأواه فيما لي من التعلق بأكرم خلق الله (ص). تأليف: أبي العباس أحمد بن جعفر الكتاني. تحقيق الدكتور حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

8- جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية. 2/1 . تأليف: الإمام محمد بن جعفر الكتاني. تحقيق أحمد فريد المزيدي. منشورات دار الكتب العلمية.

9- ديوان الكتاني: الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني في المعارف والمدح النبوي. تأليف أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني. جمع وتحقيق الدكتور إسماعيل المساوي. منشورات دار الكتب العلمية.

10- ديوان شاعر فاس: عبد الرحمن بن جعفر الكتاني (مولديات، إسلاميات، إخوانيات ومنظومات علمية). تأليف عبد الرحمن بن جعفر الكتاني. جمع وتصنيف: الأستاذ الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

11- يواقيت التاج الوهاج في قصة الإسراء والمعراج. تأليف: محمد الباقر الكتاني. تحقيق عبد الرحمن الكتاني ومحمد بن محمد الباقر الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

12- حكم الزواج من الكتابية. ويليه:

- جزء في حكم الصلاة خلف المبتدع والمفتون. ويليه:
- إلقاء الفهر على أصحاب السحر. ويليه:
- ماهية الإقالة. كلها تأليف: أبي محمد الحسن بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

13- روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات (ص). تأليف: أبو الهدى محمد الباقر الكتاني. تحقيق عبد الرحمن الكتاني ومحمد بن محمد الباقر الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

14- زهر الرى في تفسير آيات الربا. ويليه:

- التأويل عند أهل العلم. ويليه:
- بحث في كتاب "المحلى". ويليه:
- الرد على الطاعن في أبي هريرة. كلها تأليف: أبي محمد الحسن بن علي الكتاني. ويليه:
- الدفاع عن صحيح البخاري. تأليف: الدكتور حمزة بن علي الكتاني.

منشورات دار الكتب العلمية.

15- فقه الحافظ أحمد بن الصديق الغماري. تأليف: أبي محمد الحسن بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

16- نجوم المهتدين في دلائل الاجتماع للذكر على طريقة المشايخ المتأخرين برفع الأرجل من الأرض والاهتزاز شوقا لرب العالمين. تأليف: أبي المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني. تحقيق عدنان بن عبد الله زوهار. منشورات دار الكتب العلمية.

17- نظم المتناثر من الحديث المتواتر. تأليف: الإمام محمد بن جعفر الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

18- نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام. تأليف: الإمام محمد بن جعفر الكتاني. اعتناء وتقديم: الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

19- نظام الدولة الإسلامية المسمى: فتية طارق والغافقي، مع ملحقات إضافية للمؤلف من نفس الموضوع. تأليف: الشيخ محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني. باعتناء الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

20- قيد الأوابد في مختلف العلوم والفوائد.تأليف: الشيخ محمد الناصر بن محمد الزمزمي الكتاني. اعتناء وتصحيح: الدكتور أسامة الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

21- المسلمون في أوروبا وأمريكا. تأليف: علي بن المنتصر الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

22- الأسرة الإسلامية: الطفل في الإسلام - المرأة في الإسلام - المجتمع الأسري. تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن محمد الباقر الكتاني. اعتناء وجمع وتحقيق الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

23- الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب. تأليف أبي المزايا محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني. جمع وتقديم: الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

24- الذب عن التصوف المسمى: لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريق الأحمدية الكتانية. تأليف: أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق: عدنان بن عبد الله زوهار. منشورات دار الكتب العلمية.

25- البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور. ويليه:

- سلم الإرتقاء في منشأ طريق التصوف ووجوب شيخ التربية. تأليف: أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق: الدكتور إسماعيل المساوي. منشورات دار الكتب العلمية.

26- الدواهي المدهية للفرق المحمية: بحث في السياسة الشرعية. تأليف: أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: محمد الحسن الشريف الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

27- الصلوات الكتانية وتحتوي: أدل الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات (فتوح الجوارح). تأليف الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني. ويليه:

- وسيلة الولد الملهوف إلى جده الرحيم العطوف. تأليف الشيخ عبد الحي الكتاني. ويليه:

- إغاثة القلب اللاه، بالصلاة على أكرم خلق الله. تأليف: الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

28- الشرب المحتضر والسر المنتظر من معين أهل القرن الثالث عشر. تأليف: أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. ويليه:

- منطق الأواني بفيض تراجم عيون أعيان آل الكتاني. تأليف: الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

29- توجيه الأنظار لتوحيد المسلمين في الصوم والإفطار. تأليف أحمد بن الصديق الغماري. اعتناء ومراجعة: الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. ويليه:

-الرد على من قال باختلاف الأهلة واستدل بحديث كريب. تأليف: أبي محمد الحسن بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

30- صقر قريش، أو: أمير أمية عبد الرحمن الداخل. تأليف: أنطوني فون

آيزن. تعريب: نزهة عبد الرحمن الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

31- عرائس الأفكار في مدائح المختار. تأليف: الإمام أبي العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي. اعتناء وتحقيق وتقديم: الدكتور علي بن المنتصر الكتاني، والدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

32- إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ. تأليف: محمد بن الفاطمي ابن الحاج السلمي. إشراف: الدكتور حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

33- المحب المحبوب أو شرح تائية الحراق وابن الفارض في الحب الإلهي. تأليف: عبد الحق الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

34- البيان المعرب عن معاني بعض ما ورد في أهل اليمن والمغرب. تأليف: الشيخ عبد الحي الكتاني. تحقيق: الدكتور عبد المجيد خيالي. منشورات دار الكتب العلمية.

35- الديوانة في وقت ثبوت الفتح للذات المحمدية. ويليه:

- الكشف والبيان عن سر آية: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ ﴾. ويليه:

- رسالة في أبوته صلى الله عليه وسلم وأن كل نبي أب لأمته. ويليه:

- المولد بلسان أهل الباطن المسمى: السانحات الأحمدية، والنفثات الروعية، في مولد خير البرية. تأليف: أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق: الدكتور إسماعيل المساوي. منشورات دار الكتب العلمية.

36- اليواقيت الثمينة في الأحاديث القاضية بظهور سكة الحديد ووصولها الى المدينة. تأليف: الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. منشورات دار الكتب العلمية.

37- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة. تأليف: الإمام محمد بن جعفر الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

38- السر الحقي الامتناني الواصل إلى ذاكر الراتب الكتاني. تأليف: الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق: أحمد فريد المزيدي. منشورات دار

الكتب العلمية.

39- السفر الصوفي ويتضمن: الإجازة الأيوبية في أسانيد الطرق الصوفية. ويليه:

- إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة النبي وسيد الخلائق. ويليه:

- اليمن والإسعاد في مولد خير العباد. ويليه:

- نيل المنى ونهاية السول بذكر معراج النبي الرسول. ويليه:

- الورد اللزومي. كلها تأليف: الإمام محمد بن جعفر الكتاني. ضبط واعتناء: الدكتور أسامة الكتاني، والمهندس محمد الزمزمي الكتاني، والدكتور حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار الكتب العلمية.

40- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس. ثلاثة مجلدات، إضافة إلى مجلدي الدراسات والفهارس. تأليف الإمام محمد بن جعفر الكتاني. تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني، حمزة بن الطيب الكتاني، عبد الله الكامل الكتاني. منشورات دار الثقافة للطباعة والنشر، الدار البيضاء.

41- زهر الآس في بيتات فاس. تأليف عبد الكبير بن هاشم الكتاني. ويليه:

- تحفة الأكياس ومفاكهة الجلاس بما أغفله صاحب كتاب زهر الآس في بيوتات أهل فاس. تأليف محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني. كلاهما تحقيق وتنسيق الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

42- فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى. تأليف: محمد المنتصر بالله الكتاني. تصحيح وإعداد فهارس: الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

43- نظم الدر واللآل في شرفاء عقبة ابن صوال (الكتانيين). تأليف: محمد الطالب ابن حمدون ابن الحاج السلمي. تحقيق: الدكتور علي بن المنتصر الكتاني. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

44- الإشادة والإفادة بمقام رواية ابن سعادة. تأليف الشيخ عبد الحي الكتاني. تحقيق عبد المجيد الخيالي. منشورات: دار نجيبويه القاهرة.

45- مولاي علي بن المنتصر الكتاني: رجل في أمة وأمة في رجل. إعداد:

محمد خليدي.

46- حتى لا ننساك: مولاي علي الكتاني. إعداد: محمد خليلي. مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء.

47- إعلام أئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من المرويات وأسانيدها. ويليه:

- الإجازة الصغرى. تأليف: أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: د. محمد ابن عزوز. منشورات دار ابن حزم، والمركز الثقافي المغربي.

48- الرحلة السامية لمصر والإسكندرية والحجاز والبلاد الشامية. تأليف: الإمام محمد بن جعفر الكتاني. تحقيق: د. محمد ابن عزوز، ود. محمد حمزة بن علي الكتاني. منشورات دار ابن حزم، والمركز الثقافي المغربي.

49- ترجمة والدة الحافظ عبد الحي الكتاني المسماة: "ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين. ويليه:

- ترجمة ذاتية للشيخ عبد الحي الكتاني. تأليف: الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق: الدكتور محمد ابن عزوز. منشورات دار ابن حزم، والمركز الثقافي المغربي.

50- البحر الزخار والسر العمار في اسم النبي المختار المكتوب على صناديق النار (عيدان الكبريت) جرأة وجسارة من الكفار أعداء الله وأعداء رسوله الفجار. تأليف: أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: د. محمد ابن عزوز. منشورات دار ابن حزم، والمركز الثقافي المغربي.

51- منية السائل من اختصار الشمائل. تأليف: الشيخ عبد الحي الكتاني. تحقيق: د. عبد المجيد خيالي. منشورات دار ابن حزم، والمركز الثقافي المغربي.

52- البيان المعرب عن بعض ما ورد في فضل اليمن والمغرب. تأليف: الشيخ عبد الحي الكتاني. تحقيق: د. عبد المجيد خيالي. منشورات دار ابن حزم، والمركز الثقافي المغربي.

53- تبليغ الأمانة في مضار الإسراف والتبرج والكهانة. تأليف: الشيخ عبد الحي الكتاني، تحقيق: د. محمد ابن عزوز. منشورات دار ابن حزم، والمركز الثقافي المغربي.

54- النفائس الكتانية: 1- 11، وتتضمن: من مؤلفات الإمام أبي الفيض

محمد بن عبد الكبير الكتاني في الآداب والسلوك. من ضمنها: سفينة المحبة. ويليها:

- رسالة المؤاخاة. ويليها:

- نسخة من غاب عنه المطرب. ويليها:

- رسالة الفرق بين الواردات. ويليها:

- الإجازة الطرقية. ويليها:

- الرسالة إلى أهل سلا في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. ويليها:

- أركان الطريقة الكتانية. ويليها:

- العهود الكتانية. ويليها:

- الوصايا الكتانية. ويليها:

- الأمالي في علم الأمهات. ويليها:

- التائية الكتانية. كلها تأليف: الشيخ أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني. تحقيق: الدكتور محمد حمزة الكتاني، وغسان أبو صوفة. منشورات: دار الرازي-الأردن.

55- شرح آخر ترجمة من صحيح البخاري. تأليف: الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: رضوان أخرفي. منشورات دار الكتب العلمية.

56- الدراك في أحكام السواك. تأليف الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني. تحقيق: د. أسماء أبو عجين. طبعة دار الرشد-الرياض.

فهرس الموضوعات

الفجر الصادق، المشرق المفلق

في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق

جواب عن مقالات الشيخ مظهر النقشبندي
في بيان إشكالات كلام العارفين وتوجيهها

الفهارس العامة